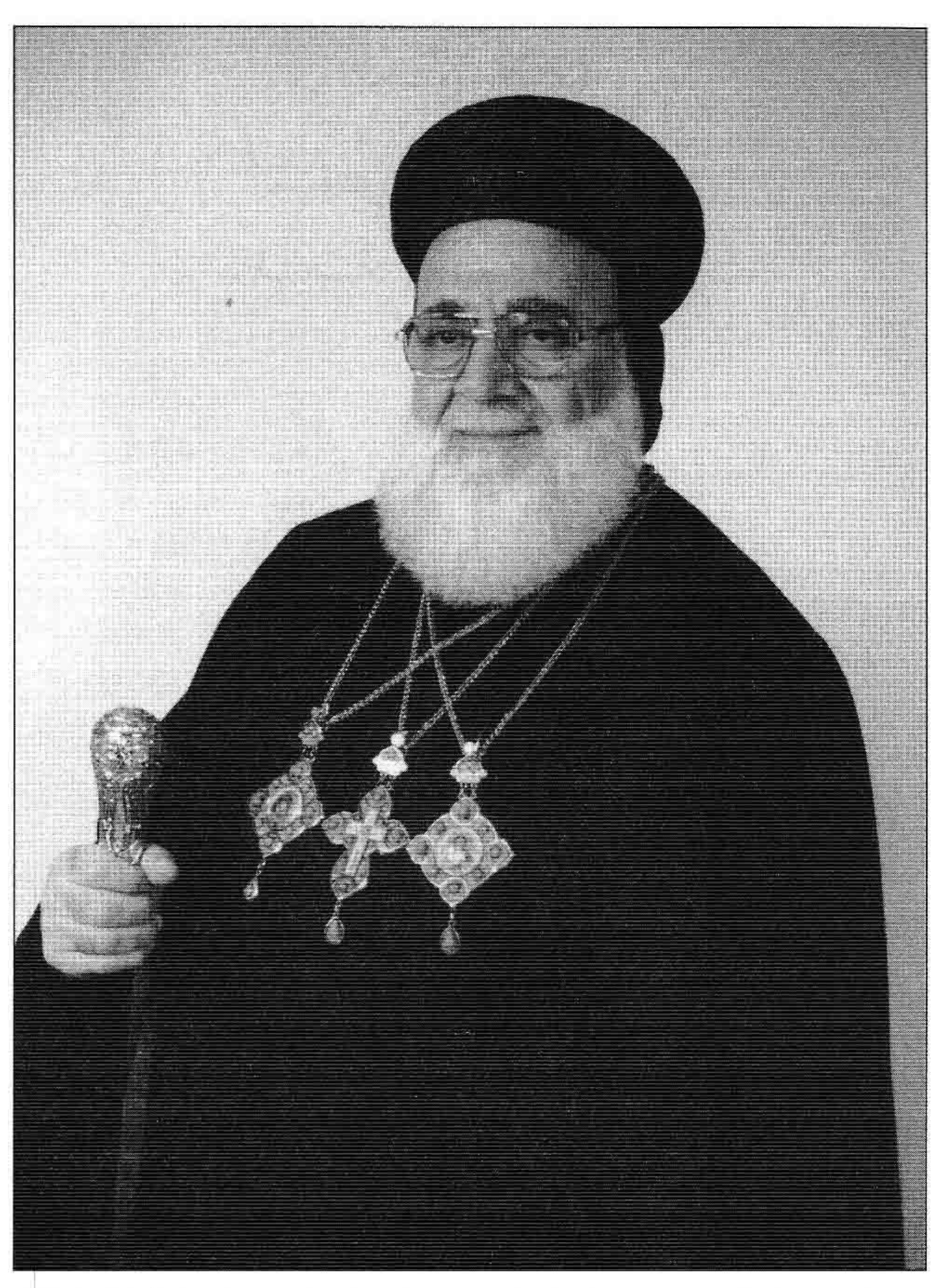

ܕܡܐ ܙܠܝܚܐ
الدم
المسفوك
The Shed Blood

ܠܥܘܕܪ ܢܝܚܐ

ܕܥܙܝܙ ܩܘܡܝ ܘܡܝ̈ܬܘܗܝ

طبع هذا الكتاب لراحة أنفس

المرحوم عزيز قومي وجميع أمواته - رحمهم الله



ܩܕܝܫܘܬܗ ܕܡܪܢ ܡܪܝ ܐܝܓܢܐܛܝܘܣ ܙܟܝ ܩܕܡܝܐ ܕܥܝܘܐܨ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܘܕܟܠܗ ܡܕܢܚܐ – ܥܐܕܐ ܦܛܪܝܪܟܝܐ ܣܐܡܐܢܝܐ 1980 - 2005

قداسة سيدنا البطريرك المعظم مار اغناطيوس زكا الأول عيواص الكلي الطوبى والجزيل البر – اليوبيل البطريركي الفضي ١٩٨٠ – ٢٠٠٥

H.H. Moran Mor Ignatios Zakka I Iwas Patriarch of Antioch – Silver Patriarchal Jubilee 1980 - 2005

ܕܡܐ ܐܫܝܕܐ

ܐܘ ܢܟܣܬܐ ܕܒܢܝܐ ܣܘܪܝܝܐ

ܒܚܝܐ ܘܡܕܒܚܐ ܣܘܪܝܝܐ

الدم المسفوك

مجازر ومذابح السريان في ما بين النهرين

تأليف

الملفونو عبدالمسيح نعمان قرهباشي

ترجمه إلى العربية وكتب مقدمته والحواشي

ثاوفيلوس جورج صليبا

مطران جبل لبنان

The Shed Blood

The Syrian Massacres

In Mesopotamia

جبل لبنان ٢٠٠٥

ܕܡܐ ܙܠܝܚܐ :
ܣܡ ܠܟܬܒܐ ܥܒܕ ܡܫܝܚܐ ܕܩܪܗܒܫ
ܐܥܒܪܗ ܡܢ ܣܘܪܝܐ ܠܥܪܒܝܐ
ܡܪܝ ܬܐܘܦܝܠܘܣ ܓܘܪܓܝܣ ܨܠܝܒܐ
ܕܛܘܪ ܠܒܢܢ

الدم المسفوك

مجازر السريان في ما بين النهرين

تأليف : الملفونو عبدالمسيح نعمان قره باشي

ترجمة : المطران جورج صليبا

طبعة أولى

جبل لبنان ٢٠٠٥

The Shed Blood

By : Malfono A. N. Qarahbashi

Translated : Arshbishop George Saliba

Mount Lebanon 2005

ܡܘܗܒܬܐ

ܠܪ̈ܘܚܐ ܕܣ̈ܗܕܐ ܘܟܐܢ̈ܐ
ܕܣܘܪ̈ܝܝܐ ܘܡܫܝܚ̈ܝܐ ܘܡܗܝܡ̈ܢܐ
ܕܣܘܪܝܝܘܬܐ ܘܡܫܝܚܝܘܬܐ
ܕܥܠ ܐܦ̈ܝ ܗܝܡܢܘܬܐ ܬܪܝܨܬܐ ܫܕܘ
ܡܫܡܠܝܢ ܐܡ̈ܪܐ ܕܡ̈ܐ ܕܣܗܕ̈ܘܗܝ

† ܬܐܘܦܝܠܘܣ

الإهداء

إلى أرواح الشهداء السريان الأبرار

المسيحيين والمؤمنين الأخيار

الذين سفكوا دماءهم الزكية

حباً بالإيمان المسيحي القويم

*وحقّقوا المثل (**دماء الشهداء بذار الإيمان**)*

† **ثاوفيلوس**

Dedicated

To our beloved Syrian Martyrs

Throw ages in every where

† Theophilus

ܣܗܕܐ ܒܪܝܪܐ

ܣܗܕܐ ܠܢܫܪܐ ܕܡܝܢ ܐܝܬܝܟܘܢ   ܘܐܦ ܐܐܪ ܩܠܝܠܝܢ ܐܝܬܝܟܘܢ
ܕܡܢܐ ܩܪܝܐ ܥܢܝܢ ܐܝܬܝܟܘܢ   ܘܒܝܒܫܐ ܠܘܬ ܐܬܛܝܒܘܢ

ܐܬܪܐ ܕܐܬܩܛܠܘ ܣܗܕܐ   ܘܐܬܦܫܦܫܘ ܗܕܡܝܗܘܢ
ܬܡܢ ܐܓܢܬ ܪܘܚ ܩܘܕܫܐ   ܘܒܣܘܪܬܐ ܥܢܝܐ ܚܕܝܬ

ܕܡܝܢ ܣܗܕܐ ܠܐܝܠܢܐ   ܕܢܨܝܒܝܢ ܥܠ ܡܒܘܥܐ
ܐܝܠܢܐ ܝܗܒܝܢ ܦܐܪܐ   ܘܣܗܕܐ ܡܪܕܝܢ ܥܘܕܪܢܐ

ܫܘܒܚܐ ܠܝܡܝܢܟ ܡܪܝ   ܕܠܣܗܕܐ ܟܠܝܠܐ ܓܕܠܬ
ܘܚܝܠܬ ܐܢܘܢ ܒܐܓܘܢܐ   ܘܦܪܥܬ ܟܠܝܠܐ ܒܙܟܘܬܗܘܢ

ܫܚܝܡܐ
ܟܬܒܐ ܕܨܠܘܬܐ ܦܪܘܫܬܐ ܕܫܒܬܐ ܫܚܝܡܬܐ

الشهداء الأبرار

أيها الشهداء، إنكم تشبهون النسور بل أنتم أسرع من الريح، فمن دعاكم من البحر تستجيبونه وعلى اليابسة انتم حاضرون ومستعدون.

حيث قُتل الشهداء وتهشّمت أعضاء أبدانهم. هناك حل الروح القدس وطمأن رهبة الصحراء.

الشهداء يشبهون الأشجار المغروسة على جداول المياه، فالأشجار تعطي ثماراً والشهداء يفيضون المعونات.

مجداً وحمداً ليمينك يا رب، التي ضفرت أكاليل المجد للشهداء وشجّعتهم في سوح الجهاد وكافأتهم بأكاليل الغار والنصر.

الاشحيم

كتاب الصلاة الفرضية الأسبوعية البسيطة



ܣܝܘܡܐ ܕܟܬܒܐ : ܡܠܦܢܐ ܥܒܕ ܡܫܝܚܐ ܕܩܪܒܫ

مؤلف الكتاب : الملفونو عبدالمسيح قره باشي

١٩٨٣ - ١٩٠٣



ܦܛܪ. ܐܝܓܢܐܛܝܘܣ ܥܒܕ ܐܠܠܗ ܬܪܝܢܐ

Patriarch Ign. Abdallah II 1906-1915

مار اغناطيوس عبد الله الثاني



ܦܛܪ. ܐܝܓܢܐܛܝܘܣ ܐܠܝܐܣ ܬܠܝܬܝܐ

Patriarch Ign. Elias III 1917 - 1932

مار اغناطيوس الياس الثالث

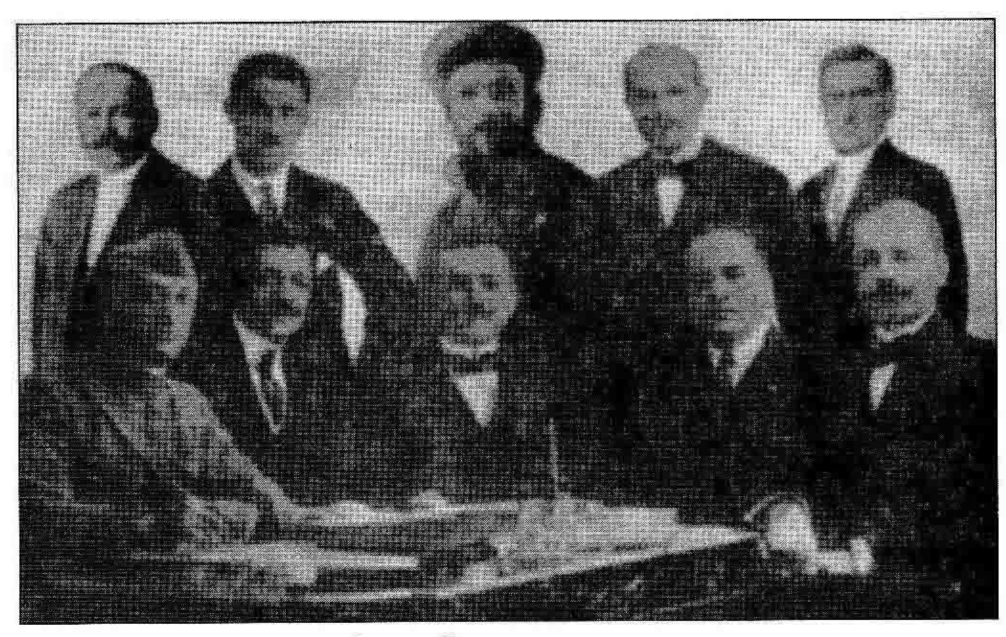


ܦܛܪ. ܐܝܓܢܐܛܝܘܣ ܐܦܪܝܡ ܩܕܡܝܐ

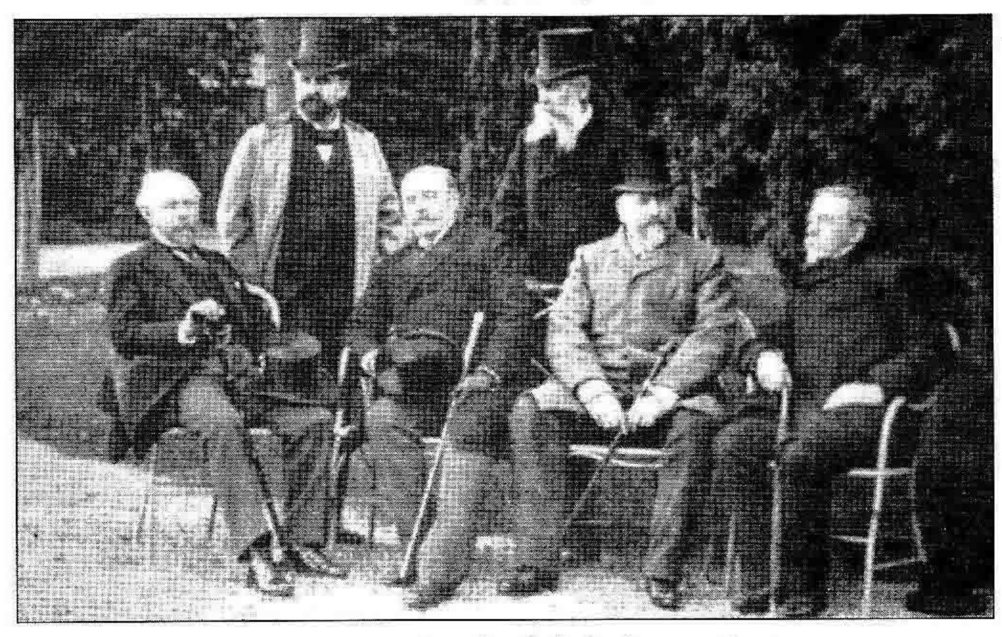
Patriarch Ign. Ephrem I 1933 – 1957

مار اغناطيوس أفرام الأول برصوم

ننشر صورهم لأنهم كانوا معاصرين لمعظم أحداث هذا الكتاب



سيادة المطران افرام برصوم واللجنة الآشورية الكلدانية السريانية
الذين حضروا مؤتمر لوزان سنة ١٩١٩



اجتماع سفراء الدول العظمى لدى الباب العالي العثماني

مقدمة المترجم

الحمد لله حمداً جزيلاً يبلغ رضاه ...

لي النقمة يقول الرب.

هذه صفحات مؤلمة ومحطّات مؤسفة، تحمل أخباراً ووقائع تاريخية لا يتقبّلها العقل بسهولة، بل يصعب على العقلاء أن يقبلوها ويستوعبوها. ولو لم تدوّنها أقلام نخبة عاينتها، وقيّض لها الله أن يعيش أصحابها وينقلوها إلينا، لما كنّا عرفنا الحقيقة والكثير من الذي دوّنه هؤلاء وسطّروه وسجلّوه عبرةً للأجيال، وتذكيراً للفظائع التي تحمّلتها تلك الأجيال التي لا ذنب لها، عانت كلّ تلك المعانيات، وذنبها إنّها بريئة.

سألت نفسي مراراً، وكلما ترجمت عبارةً أو خبراً من هذه الأخبار التي يتضمّنها هذا الكتاب : هل خلق الله الإنسان على صورته ومثاله وسلّطه على كلّ المخلوقات والتي هي أدنى منه معرفةً وقدرةً ومقاماً. ليتحوّل إلى وحشٍ كاسر في كثير من ظروف وقوع هذه المآسي، هو أشدّ ضراوةً ووحشيّة وأكثر بعداً وغربةً عن الإنسانية وأعمال الرحمة، من وحوش البراري وضواريها والحيوانات المفترسة فيها. ومن مجريات هذه الأحداث ووقائعها ودقائقها تأكدّ لي أن في الجنس البشري أناساً أكثر شراً ووحشيّة وافتراساً من هذه الحيوانات التي نسمّيها كواسر وضواري.

وأكاد لا أصدّق قناعتي هذه ولا أقبلها في كثيرٍ من الأحيان. تُرى أيُعقل أن يُقدم مخلوقٌ آدميٌّ على فعل جرائم بهذا المستوى ؟ فأعود لأتراجع عن تردّدي لأصوغ عباراتٍ وجملاً تؤكد وحشيّة الإنسان المتمثلة بهؤلاء، أجل هؤلاء الكُثر من منفذّي الجرائم بحق الأبرياء.

وتذكّرتُ قولاً لفيلسوف المعرّة، أبي العلاء المعرّي، الباقي على الأجيال جرساً يرّن ويهزّ مشاعر الناس :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصـــوّت إنســـانٌ فكدتُ أطـــير

فالذئاب والضباع والأسود والنمور والوحوش بدت أمامي، أكثر رحمةً من هؤلاء الناس اللابسين صورة الإنسان ظاهراً. ولكنّهم وحوشٌ ووحوشٌ كاسرة، فعلاً وباطناً ومضموناً.

وأنقلك أيها القارئ العزيز إلى الأحداث الدامية التي يتضمّنها هذا الكتاب، وتضمّها صفحاته بتفاصيل ودقائق قد لا تصدّقها وأنت تقرأها، لكنّها حقيقةٌ، ولسوء الحظّ، حقيقةٌ وواقع.

قد تكون الأفظع والأقسى والأشدّ ضراوةً في التاريخ، لأنها امتدّت قروناً لتُذيق أبناء المسيح وأتباعه عبر العصور أفظع العذابات وأشدّ التباريح. وقد تفنّن المعذّبون والمضطَهِدون في إذاقة ضحاياهم أشدّ أنواع العذاب، إن كان هؤلاء المعذِّبون من ذوي السلطان ملوكاً ورؤساء ومسؤولين، أو من العامّة والرُّعاع الذين تخجل الإنسانية أن ينتسبوا إليها ولو شكلاً أو بالاسم.

كلّ ذلك بأساليب ساديّة لا تروي غليلاً ولا تنقع فتيلاً ولا منفعة لهم منها، إلاّ تجسيد الحقد والبغضاء بأساليب تقرف من هولها المشاعر والأحاسيس البشريّة.

فلا عينٌ تدمع ولا قلبٌ يخشع ولا أذنٌ تسمع ولا حواس تتحرّك، فالجماد أكثر طراوةً ممّا يدور في أذهان منفّذيها ومرتكبيها من المجرمين.

لـقـد درجت المسيحية منذ نشأتها أن تحمل لواء الشهادة المتمثّل بالصليب، و هو العلامة الفارقة لأتباع الناصري شهيد الجلجلة، والذي علّم المؤمنين به " **من لا يحمل صليبه ويتبعني فلا يستحقّني** ".

والصليب معنىً ومبنىً ومضموناً، هو تحمّل الألم والصبر عليه، وفي نفس الوقت هو السلّم الذي يرفع إلى السماء والطريق المؤدّي أخيراً إلى الملكوت السماوي، وهو القائل أيضاً " **ها أنا أرسلكم مثل خرافٍ بين ذئاب، فكونوا ودعاء كالحمام وحكماء كالحيّات**".

فهذا إذاً منهجٌ مقدّس للمسيحية والمسيحيين، لهذا، كلّما عصفت بالكنيسة وأبنائها أعاصير الاضطهادات وسَوْق المؤمنين إلى الموت، يظهر الأمر طبيعيّاً وعاديّاً عند هؤلاء المحبّين الأبرياء، وأمامهم شعارٌ دائم هو قول الفادي " **بصبركم تقتنون أنفسكم – ومن يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص – والطوبى للصابرين على الآلام والاضطهادات فإن لهؤلاء** ملكوت السماوات لأنهم مُضطَهدون من أجل البرّ". على هذا الرجاء إذاً صبروا على المكاره، **وكانوا في صبرهم أبداً من الفائزين.**

يستعرض المؤلف تاريخ الكنيسة منذ تأسيسها، بواسطة فاديها وربّها ومعلّمها ربّنا يسوع المسيح الذي أقامها في العالم، علامة رجاء وسفينة نجاة وصورة مجسّمة للملكوت، وعنواناً مميّزاً سامياً وبارزاً وشاهدةً للكلمة.

ودعوة المختارين من رسل ومبشرين ومعلّمين وكارزين بالكلمة، ومجاهدين وشهداء يسترخصون كلّ شيء في الحياة من أجل الجوهرة الثمينة المحفوظة لهم في السماء، وهم بالكلمة وبدون أيّ سلاحٍ بشريّ أو وسيلة ماديّة، ينقلون هذه الرسالة، العقيدة والتعاليم إلى العالم كلّ العالم.

فاصطدمت هذه المسيحية الفتية باليهودية أولاً التي لا ترى أيّ معنى للإنسانية والحياة، خارج اليهوديّة المتزمّتة الضيّقة الحاقدة والأنانية التي لا تعترف بإنسانية الآخرين.

وجاءت المسيحية برسالة المحبّة لتدكَّ عرشها وتجعلها نسياً منسياً وهي في عُقر دارها. فناصب رؤساء اليهود وكهنتهم وكَتَبَتُهم وفرّيسيّوهم المسيحية العداء. وبعد أن تقهقرت هذه اليهودية واندحرت تملّك الحقد قلوب من تبقّى منها على إيمانه لتتجسّد هذه الأحقاد عبر التاريخ، بالصهيونية التي صارت وبالاً على المسيحية والعالم أجمع، ناكرةً جميل المسيحيين الذين آووا واحتضنوا كثيرين من أبنائهم في أديرتهم وكنائسهم وبيوتهم ومراكزهم أيام ذلّهم واضطهاد الدول والشعوب لهم، ليقابلوا خير المسيحيين بشرورهم، كما فعل كهنتهم وكتبتهم وفرّيسيّوهم بيسوع وسلّموه إلى الموت على الصليب، وهو الذي شفى مرضاهم وطهّر البرص وفتح أعين العميان وأقام الموتى وأحسن إليهم في كلّ أعماله " **إذ كان يجول في العالم يصنع خيراً**".

ومن الجهة الثانية وجدت الوثنية في المسيحية عنصراً جديداً يزعزع أركانها، ويحطّم تقاليدها البالية وعباداتها السخيفة وأنماط آرائها وتعاليمها الفاسدة وعاداتها الرديئة. فانقلبت على المسيحية تريد قتلها ووأدها في مهدها، بل القضاء عليها بدون رحمةٍ ولا شفقة، وهي المتمتّعة بالقوّة البشرية وسلطة الإمبراطورية وطغيان المنضوين تحت ألويتها والخائفين على مصالحهم ومكتسباتهم ومكاسبهم، إذ شعروا إن المسيحية وُلدت لتكون منافسةً لهم. وقد ارتعب هؤلاء الطغاة من المسيحيين العُزَّل إلاّ من الإيمان بالله ومواهب الروح القدس وتعاليم شهيد الجلجلة ربّنا يسوع.

أجل خاف أباطرة الرومان من هؤلاء المسيحيين حتى إن القيصر دومطيانوس الذي أثار الاضطهاد الثاني سنتي ٩٥ و ٩٦ م على المسيحيين توقف عن اضطهادهم، عندما علم إن معلّم هؤلاء المسيحيين أي السيّد المسيح علّمهم في رسالته " **إن مملكته ليست من هذا العالم** "، فهم لا يطمعون بمُلك أرضيّ. لأن السماء هي موطنهم الحقيقي بل مملكتهم الأبديّة.

وأثارت الوثنية اضطهادات قاسية لا تحصى على الأفراد والجماعات بدون استثناء، حصرها التواريخ الكنسيّة بعشرة اضطهادات فظيعة عامة. وكان من نتيجة هذه الاضطهادات وصبر المسيحيين عليها والقدوة الحسنة التي ميّزت المسيحيين، أن بدّلت الإمبراطورية الرومانيّة موقفها وقبلت الدين المسيحي بواسطة الإمبراطور قسطنطين الكبير الذي أعلن عام ٣١٣م بمرسوم ميلان الشهير، المسيحية ديناً رسمياً للإمبراطورية. فوقف الاضطهاد وتنصّرت الإمبراطورية برمّتها.

هذه النتائج الإيجابية والأثمار الطيّبة التي قطفتها الكنيسة، من إيمانها ورجائها وثباتها وسيرة أبنائها، والقدوة الحسنة التي قدّموها للبشرية. وهي تحت الاضطهاد وفي مهّب العواصف، لسوء الحظّ، انقلبت إلى مصالح بشريّة مع الأباطرة والملوك والحكّام وكثيرين من المسؤولين في الكنيسة، وحلّت المصالح البشريّة والزعامات وحبّ الكراسي والمناصب والرئاسة والسلطة، لتضطهد المسيحيّة ذاتها بذاتها طمعاً في هذه المكاسب الدنيوية الزائلة.

فإذا اختلف الامبراطور أو المسؤول مع فئةٍ أو مجموعةٍ من المسيحيين، يخالفونه الرأي وينظرون إلى العقيدة والترتيبات الإدارية بمنظارٍ آخر غير الفئة التي تراعيه وتسايره.

وقد اتّفقت المصالح عند تلك الفئة أو ذلك الفريق، تعود سيوف الاضطهاد لتحصد المعارضين لمجرّد خلافٍ في الرأي أو تفسير لفظيّ قد لا يفهمه أو يفسّره الآخر بطريقةٍ أخرى. فكان اضطهاد ذوي القُربى أشدّ إيلاماً من هؤلاء الذين كانوا في الأصل مخالفين لإيمانهم بالمسيح.

وهكذا عانت المسيحيّة في بيتها الداخلي ما عانت من الغرباء والأعداء في كثيرٍ من المناسبات، أكثر فأكثر من الاضطهاد والمضايقات، بلغت أحياناً كثيرة أن ذاق الموت مسيحيّون من مسيحيين. وهذه طامةٌ كبرى نذكرها بألم لكنّها واقع. ويا لوبال هذا الواقع.

وتمّر القرون والأجيال. ومنذ عام ٤٥١ حيث انعقد المجمع الخلقيدوني، وتباريح العذابات تنصّب وتلاحق فئةً من المسيحيين يتحمّلون هذه الاضطهادات من السلطة الامبراطورية وأتباعها من الذين يؤيّدونها وتؤيّدهم، ظاهراً باسم العقيدة المسيحية وباطناً سعياً وراء مكاسب ومصالح بشريّة !

وأكثر ما عانى من هذه السلطة في تلك الظروف القاسية : السريان والأقباط والأرمن، وقد صلّوا أفراداً وجماعات، في السرّ والعلَن، أن يخلّصهم الله بأيّ ثمن من هذه المظالم والتعدّيات التي كانوا يمارسونها ضدّهم باسم الدين والمسيحيّة، **والمسيحية من هؤلاء الظالمين براء.**

لاح القرن السابع الميلادي، والمسيحية تتململ في مهدها، في أرضها، وفي بقعة نشأتها من مظالم البيزنطيين، والذين أرخوا العنان لأهوائهم ونفوسهم الأمّارة بالسوء، وهم يقتلون بدون رحمة هؤلاء الأبرياء، **وذنبهم إنهم أبرياء.**

أجل، في هذه الأجواء سمعت المنطقة صوتاً يدوّي في صحراء العرب " **الله أكبر**"، يحمل ديناً جديداً وواقعاً جديداً تمثّل بما يُسمّى بالفتوحات الإسلامية.

رأى السريان في هذه المنطقة، إن هؤلاء القادمين من الصحراء يحملون رسالةً جديدة، وهم يشنّون حرباً على بيزنطية وحلفائها وفارس وسكّانها والمنطقة برمّتها. فناصروا هؤلاء الفاتحين المقبلين من الصحراء وقد اكتوتْ قلوبهم والتهبت. وعانوا ما عانوا من مظالم البيزنطيين.

فهللوا لقدوم العرب وأعانوهم وحاربوا في صفوفهم، ليتخلّصوا من هذا الاستعمار الطاغي والباغي والذي أفقدهم عبر الأجيال خيرة رجالاتهم وعلمائهم وقدّيسيهم، واعتبروا إن هذه الفتوحات تحمل بشارة خلاص لهم من أعدائهم البيزنطيين الظالمين والبعيدين عن المسيحية والإنسانية.

وهكذا امتزجت دماء السريان والذين على إيمانهم من قبائل طيْ وتنّوخ وعقيل وتغلب وذبيان بدماء هؤلاء الفاتحين.

ولسوء الحظ، كان هذا الانطباع يعمّر أحاسيس السريان ومشاعرهم تجاه البيزنطيين مع كونهم مسيحيين، لكن بالممارسة لم يكن لدى البيزنطيين تجاه السريان خاصةً — أيّ فعلٍ أو تصرّف مسيحيّ بل بالعكس.

ونقرأ في تاريخ مار ميخائيل الكبير البطريرك السرياني ١١٦٦ - ١١٩٩ قوله : نشكرك اللهمّ لأنك أنقذتنا من أيدي البيزنطيين الظالمين الأثيمين، وسلّمتنا بأيدي العرب المسلمين الرحيمين". تأملْ أيّها القارئ !

إلاّ أن هذه الآمال وهاتيك التطلّعات، وعلى الرغم من إخلاص السريان المطلق للعرب المسلمين وتثقيفهم وتعليمهم، وترجمة العلوم اليونانيّة وسواها إلى السريانيّة فالعربيّة، وتسليمها إلى هؤلاء العرب والمسلمين من مختلف القوميّات، لم يحافظ كثيرون من هؤلاء المسلمين على روابط المحبّة والإخاء والعلاقة الحسنة مع المسيحيين، على الرغم من العُهدة النبويّة الشريفة، وعُهدات الخلفاء الراشدين

وفي مقدّمتهم الخليفة عمر ابن الخطّاب، والذين كانوا بواكير الرسالة الإسلامية التي جاء بها نبّي العرب ورسولهم **محمّد بن عبد الله** الناقل الكافرين والوثنيين، والذين لا يؤمنون بالله، إلى **عبادة الإله الواحد الأحد الصمد.**

ونقرأ بأسف، أحداثاً محزنة ووقائع مؤلمة عن معاملة الخلفاء والحكّام المسلمين، ومواطنيهم في كثير من البلدان بالسوء والإساءة للمسيحيين ولا سيّما بجعلهم أهل ذمّة. وقد فرضوا عليهم الجزية وأثقلوا كواهلهم بالمتطلبات الماليّة القاسية والضرائب، ممّا قاد الكثيرين من المسيحيين أن ينضمّوا إلى الإسلام أو يموتوا لعدم تمكُّنهم من دفع الجزية وتنفيذ القوانين الجائرة بحقّهم. وتختلف نسبة هذه المعانيات بين عصرٍ وعصر ومكان ومكان وبلد وآخر، ولكنّها في معظم الحالات ظروفٌ قاسية ليست من تعاليم القرآن الكريم ولا السُّنة ولا الشرع المقدّس في الدين الإسلامي الحنيف.

وتمتدّ الأمور عبر الأجيال لنصل إلى جنكيزخان وبعده هولاكو الذي سقطت بغداد بيده عام ١٢٥٨، ثمّ جاء تيمورلنك والمماليك وسواهم، ليضيفوا إساءاتٍ وصفحاتٍ سوداء إلى تاريخ المنطقة.

ومن الطرف الآخر، ليأتي الفرنجة ويعيثوا في بلادنا فساداً باسم **الصليبيين،** وهؤلاء المدعوّون **صليبيين،** تصرّفوا ضد الصليب ورسالة الصليب، فقادوا حرب مصالح بسياسة رديئة على المنطقة باسم الصليب، والصليب منهم براء. لتختلط الأمور وتضطرب أكثر فأكثر.

وقد تضرّر المسيحيّون في هذا الشرق وفي مقدّمتهم السريان والأقباط والأرمن والروم أكثر ممّا تضرّر المسلمون من هؤلاء الحاملين زوراً اسم المسيح والصليبيّة.

فكانت خسارتنا مضاعفة من أهلنا وجيراننا ومواطنينا المسلمين بسبب هؤلاء الدخلاء الفاسدين، ومن خصومنا في الإيمان والعقيدة المسيحيّة، هؤلاء الذين نعتوا أنفسهم بالصليبيين.

ومن أين كنّا سنُفْهِم ونُقنع مواطنينا المسلمين، إن هؤلاء الآتين باسم الصليب هم أعداء لنا، قبل آن يكونوا أعداءً للمسلمين، فاختلط الحابل بالنابل وما يعرف الحقّ من الباطل، وصرنا عرضةً وضحيّة للاضطهاد من كلّ الجهات.

ولولا رحمة الله، كما يقول الكتاب المقدّس، " **لصرنا مثل سادوم وشابهنا عامورة " اللتين ذابتا في بحيرة لوط " البحر الميّت " في فلسطين.**

سنة ١٤٥٣ سقطت القسطنطينية بيد محمّد الفاتح القائد العثماني، وكان للغرب دور كبير في دعم الفاتحين ليُسقطوا القسطنطينية ويدكّوا أسوارها بعد حصارٍ طويل وتآمر من الخارج وتواطؤٍ من الداخل، وتقاعسٍ من ذوي السلطان والمقدرة، أعني بهم البيزنطيين الذين عرفوا كيف يضطهدون السريان وغيرهم من مخالفيهم في الرأي وتفسير العقيدة، فنكّلوا بهم. ولكنّهم تقاعسوا واستسلموا أمام العثمانيين الذين حوّلوا أفراحهم إلى أتراح وسلطتهم إلى عبوديّة واحتلّوا عاصمتهم وأذلّوهم.

ومنذ ذلك التاريخ رأى العثمانيون خير وسيلةٍ يحكمون فيها البلاد والعباد **هي التسلّح بالدين، وباسم الدين يحلّلون ويحرّمون، يقرّرون ويأمرون، يشرّعون وينفذّون، يفعلون كلّ ما يريدون، وفي معظم الحالات يتصرّفون بما لا يقرّه الدين ولا يقبله الإسلام بل ترفضه الإنسانية.**

كان مجيء العثمانيين إلى المنطقة علامة شرّ وخراب ودمار، إذ استعبدوا شعوب المنطقة وامتدّت بهم الفتوحات ليحتلّوا العالم العربي برمّته، ووصلوا إلى بعض البلاد الأوروبية وأساءوا التصرُّف مع مواطني البلاد التي احتلوّها.

وقد تمكّنت بعض البلاد الأوروبية من طردهم وإنهاء احتلالهم لها، لكنّهم خلّفوا وراءهم بذور فِتن طائفية ما تزال تعاني منها بعض البلاد وخاصةً في منطقة البلقان.

واستباح العثمانيون وشرّعوا لأنفسهم ما لا تقرّه مبادئ وتعاليم وقِيم، إن كان في تعدّيات حكّام الولايات والباشوات والولاة الذين لم يعطوا أيّة صورة حسنة، أو أيّ انطباع جيّد تجاه السلاطين والمسؤولين عنهم بل أساءوا بتصرفاتهم السيئة إلى الإمبراطورية برمتها، وكثيراً إلى الإسلام.

وكان الظلم والجور والرشاوى والاستئثار بكرامات الناس، ونهب أموال الدولة والمواطنين من العلامات الفارقة والمميّزة للسلطنة العثمانية. فانتشرت المفاسد بين الحكام وهم يحلّلون ما حرّم كتاب الله، ويستبيحون الأعراض والأرواح والمقتنيات بظلم قلّما يشهد التاريخ له نظيراً. ولسوء طالع المسيحيين خاصةً، إنهم كانوا ضحايا هذه السياسة اللاّإنسانية، وامتدّت سلطنتهم حوالي خمسة قرون، والمسيحية تتراجع يوماً بعد آخر حتّى تمّ فيها قول الشاعر :

" تحوّلت نهارات المسيحيين إلى ليال من ظلام وظلم وطغيان "

ازدادت أطماع العالم في تقليص صلاحيّات وإمكانات وخيرات هذه الامبراطورية، وبالتالي أخذت تراود حكّام أوروبا أن يفوزوا ويحظوا ويملكوا طاقات هذه الإمبراطورية، وتخفيف نفوذها وتقطيع أوصالها وأواصرها والسيطرة على خيراتها ومصادر ثرائها، وأخيراً بالتغلّب عليها وقهرها وحكمها.

ومن هنا بدأت المؤامرات والخطط المتعدّدة والمتنوّعة لتطويقها للظفر بها والحصول على ضالّتهم بأيّة وسيلةٍ. وبرزت من الداخل حركات تدعو للعدالة والمساواة لا سيّما بعد الثورة الفرنسية ١٧٨٩، التي جاءت بمبادئ حقوق الإنسان، فتوسّعت شريحة هؤلاء المتطلّعين إلى مستقبلٍ أفضل وإنصاف المواطنين.

فتأسست الجمعيّات والمؤسسات التي تدعو إلى التغيير وتسعى إلى التبديل وتجّد في تحقيق تطلّعاتهم وأهدافهم. واتّسعت الفجوة بين الحكّام والمصلحين المتطلّعين إلى بناء وطنٍ أفضل ومستقبلٍ مشرف وتضاربت المصالح وانتشرت الفتن.

اصطدمت هذه الآراء والأهداف والتطلّعات بمواقف صلبة للسلطة، وراح ضحيّة هذه المواقف ألوف مؤلفة من أصحاب الرأي والمثقفين، وصار هناك تململ كبير في الولايات، والكلّ يحلم بالاستقلال والتخلّص من العبوديّة والمظالم التي تقمع العقول النيّرة، وبالتالي تقضي على أصحابها لتذيقهم الموت.

كانت مصالح الغرب متجلّية وظاهرة، وهي تخطّط لضرب الإمبراطورية العثمانية، والتي خضعت لمطامع ومصالح بعضها، ولا سيّما ألمانيا التي رأت في العثمانيين خير حليفٍ يعينها في مقاومة الإنكليز والفرنسيين وسواهم.

في هذه الأثنـــاء، وفي أواخر القرن التاسع عشر، أنشأت ألمـــانيا ما يُسمى " خط بغداد " أي سكّة الحديد الممتدّة من برلين إلى بغداد، وحتّى تحقّق ألمانيا هدفها، وجدت خير مخرج لها هو ان تسهّل مهمتها لتحريض العثمانيين على المسيحيين، ليكونوا الطعم والفريسة وبالتالي الوسيلة للتدخل في شؤون العثمانيين. **والألمان يومها اسماً يحملون اسم المسيح ويُدعون مسيحيين، وفعلياً لا يعنيهم المسيح شيئاً، وكذلك المسيحية.**

فأثار العثمانيون أوّلاً حرباً مدمّرة ضدّ المسيحيين وهي حرب إبادة في دياربكر يسميّها التاريخ " سيف دياربكر "، عام ١٨٩٥ حيث قتلوا بواسطة مواطنيهم الأكراد الموجهّين من آغاواتهم وزعمائهم الحاقدين والفاسدين والطامعين في الأعراض والأموال وانتهاك الكرامات.

فهجموا على دياربكر وقراها وما يحيط بها أوّلاً، ممارسين أسوأ طرق التعدّي والفجور والانتهاكات والرذائل التي يندى لها الجبين ضدّ هؤلاء المسيحيين الأبرياء العُزّل، وذلك كطعم وفخّ من ألمانيا لكي يسيئوا إلى المسيحيين، وبهذا يحقّقون أطماعهم وأرباحهم السياسيّة ومواقعهم العسكريّة ومصالحهم في الامبراطوريّة العثمانيّة. وثم يمهّدون لدخول الإمبراطورية التي سوف تتضرّج أيديها بدماء هؤلاء المسيحيين الأبرياء.

وهؤلاء الآغاوات لم يرعوا حرمة جيرةٍ ولا صداقة ولا علاقات إنسانية مع مواطنيهم، **فقادوا شعبهم الكردي البسيط والساذج وغير المثقف وغير المتعلم يومذاك، الذي يرفض اليوم تصرّفاتهم اللاّإنسانية**، ونفذّوا إحدى أفظع مجازر التاريخ والدناءة بحقّ مواطنيهم المسيحيين باسم الإسلام، والإسلام منهم براء كما هو بريء من سلاطين بني عثمان ومنفذّي قراراتهم المقوتة والسيّئة واللاّإنسانية.

وقد فقدنا في هذه المجزرة في ديار بكر وضواحيها والبشيريّة وغرزان وموش وبدليس وسعرت وبطمان وسواها عشرات الألوف من السريان والأرمن. وكان من ضحايا هذه المجزرة بل الجريمة المروّعة **البطريرك السرياني الأرثوذكسي مار إغناطيوس عبد المسيح الثاني القلعتمراوي الذي عاين بأمّ عينه الجُثث والضحايا الساقطة في دياربكر وهو في أوّل عهده في البطريركية، فأصيب بمساس في عقله.**

اضطر المجمع المقدّس السرياني الأنطاكي الأرثوذكسي، بعد بضع سنوات إلى عزله، لعدم قابليّته للشفاء. بالإضافة إلى شخصيّات كثيرة من ذوي العلم والمعرفة والجاه والمال، منهم من مات ومنهم من قضى شهيداً، ومنهم من غادر البلاد أو هاجر إلى بلاد الغرب، **من أهمّهم رائد النهضة السريانية ملفونو نعوّم فائق** الذي غادر دياربكر والمنطقة إلى سوريا ولبنان وفلسطين، واستقرّ آخر الأمر عام ١٩١٢ في أميركا، **وكانت تدعى (العالم الجديد)** وهناك في مدينة وست نيورك ولاية نيوجرسي West Newark - New Jersy. ورقد في الرب في ٥ شباط عام ١٩٣٠ وما يزال ضريحه هناك.

وهكذا انتهى القرن التاسع عشر بسياسة ظالمة قادها السلطان عبد الحميد الثاني، ويُعرف بالسلطان الأحمر الذي استغلّ العصبيّة الدينيّة ضدّ النهضة القوميّة، في بعض مقاطعات السلطنة ولا سيّما المقاطعات العربيّة.

وقد أساء إلى العلاقات الإسلامية المسيحية إلى أبعد حدود. ومع اضطهاد المسيحيين بدأت سياسة التتريك في الإمبراطورية العثمانية باضطهاد كلّ من هو غير تركي بالعودة إلى انتهاج مبدأ " **القوميّة الطورانيّة** " التي ينتمي إليها بنو عثمان أصلاً، وهي العقيدة التي بعثّها حركة " تركيّا الفتاة " والسلطان محمّد الخامس بدعوته إلى الجهاد المقدّس عشيّة اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤، والتي تضمّنت في جملة ما تضمّنت القتل الجماعي لمسيحيي السلطنة على أثر الهزائم المتتالية على الجبهات العسكريّة إن في القوقاز أو في الشرق الأدنى.

عام ١٩١٥ بلغت قمّة الاضطهاد على المسيحيين، فبدأت المجازر في يوميات نقرأها في هذا الكتاب ونسمّيها (السوقيات)، أو (سفربلك) ومعناه المنفى البعيد.

إذ عمَّت المجازر من جديد، دياربكر والبشيريّة وسعِرْت وماردين ونصيبين وطور عبدين وأورميا وسواها، بالإضافة إلى أرمينيا وقيليقيا وبلاد الأرمن، وصولاً إلى ما بين النهرين والعراق مروراً بمدن نينوى (الموصل) وجبال هَكاري وآشور وبابل وسورية ولبنان وفلسطين وغيرها ...

وأصرّح جازماً، لو كانت الحكومات التي تحكم تركيا اليوم وتدير سياستها لَمَا أقدمت على هذه الأفعال الشنيعة، بل كانت ستقف ضدها وتقاومها وترفضها، لكنه التاريخ نقرأه ونتعلّمه لنستفيد منه العِبَر.

ونحن نبرّئ الإسلام من كل هذه التعدّيات والمجازر ولا نقبل ان يُنسَب إلى الإسلام أيّ ذنب. فالمذنبون هم بعض المسلمين وليس جميعهم، والإسلام الحقيقي هو الذي يعلّم أتباعه قول القرآن الكريم الذي خصّ النصارى المسيحيين بكرامات مميّزة منها " ولتجدَنَّ أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى، ذلك بأن منهم قسّيسين ورهباناً وإنهم لا يستكبرون ".

وكذلك وصف القرآن الكريم السيد المسيح بقوله : " **انه آيةٌ للناس ورحمةٌ منا** ". وقد مدح السيدة العذراء بقوله : **وقد اصطفاها الله وطهّرها**، وغير ذلك. لكنها السياسة والمصالح التي تضحّي بالمبادئ والقيم ومفاعيل الدين الصحيح. سامح الله هؤلاء الجاهلين الذين أساءوا إلى دينهم وأنفسهم أكثر مما أساءوا إلى هؤلاء الأبرياء.

وتأكيداً لهذا الكلام، ما نقرأه في هذا الكتاب، عن حماية العرب المسلمين وشيوخ العشائر والبدو الذين بذلوا حياتهم وغامروا من أجل حفظ حياة المسيحيين الذين لجأوا إليهم أو كانت لهم علاقة بهم.

وكذلك بعض اليزيديين وعلى رأسهم زعيمهم " **حمّو شرّو** " الذين حَمَوا المسيحيين وعرّضوا حياتهم وبلادهم في جبل سنجار خاصة إلى الخطر والموت ليحموا هؤلاء المسيحيين الأبرار، **والشيخ عبدالفتاح من عين كاف وسواهم.** كافأهم الله خيراً.

وكل شيء في التاريخ هو محفوظ بما فعل اللاعبون على مسرحه. لهذا لن ينسى المسيحيون الذين أحاطوهم بالمحبة والعناية والاهتمام وكرّسهم الله حتى تُحفظ حياة هذه البقية الباقية، والذين هم من بقايا السيوف. ويأتي العرب في مقدمة وطليعة هؤلاء الذين نحفظ لهم الود والإخلاص.

واليوم بعد مرور هذه القرون من المجازر والاضطهادات والحتوف، وحروب الإبادة المنظّمة ضدّ المسيحيين في أرض آبائهم وأجدادهم، نرى إنّ هذه الأحداث الواردة في هذا الكتاب والتي لم تَرِد، هي حقائق تاريخية فرضتها الأيام والظروف نفّذها الحكّام.

وقد طالت المسيحيين الذين كانوا يشكّلون واقعاً ديمغرافياً في أرجاء السلطنة العثمانية، وكانوا بارزين ولامعين في مواطنيّتهم واختصاصاتهم وأعمالهم وإخلاصهم للوطن وتفوّقهم في مجالات الحياة سيرةً وأخلاقاً وعلوماً والتزامات. ونتيجة مصالح وظروف صاروا ضحية لأهواء مواطنيهم والعائشين معهم.

وهنا الطامة الكبرى. فمن المسيحيين الذين كوَتهم هذه المجازر وأبادَتهم، نذكر : **الأرمن واليونان والسريان والآشوريين والكلدان والروم ومن انتمى إلى دين المسيح أو دُعي اسمه عليهم.** بالإضافة إلى العرب واليزيديين وبعض الأكراد لاحقاً، الذين تمَّ فيهم المثل " **طابخ السمّ آكله** ".

فهم نفّذوا بإرشاد آغاواتهم **هذه المجازر الظالمة**، وانقلبت عليهم فيما بعد.

إنّ المسيحيين لا يكنّون لمواطنيهم وحكّامهم والدول التي يعيشون فيها، تحت ظلّ الإسلام وللعالم أجمع إلاّ المحبة، متمثلين بقول معلمهم الإلهي السيد المسيح الذي يقول " **إن الله لا يكره الشرير ولا الخاطئ ولا المُذنب، بل يكره الشر في الشرير والخطيئة في الخاطئ والذنب في المُذنب** ".

ومن هذا المنطلق عشنا وما نزال بعد كل هذه الويلات والمجازر، لقناعتنا وإيماننا إنّ الأيام كفيلةٌ أن تغيّر الأمور، وها كلّ شيء يسير نحو التغيير.

وبكل صدق نحب تركيا اليوم وحكّامها ونشعر معهم إنهم يعانون من عقدة ذنب لم يرتكبوه، ليتهم يتابعون مسيرة الانفتاح التي تنتهجها حكوماتهم في هذه السنوات المتأخرة، فتتحول المنطقة إلى فردوس، نرجو ان نعاينه في حياتنا.

ولا مشكلة لنا في العالم العربي حيث الإسلام أكثرية، لأننا نحسّ " **إن الدين لله والوطن للجميع** ".

هذه المظالم التي عانينا منها عِبَر التاريخ، تجعلنا أن نقف أمام التاريخ ونراجع ضمائرنا سائلين : إن كانت القرارات قد صدرت ضدّ الأرمن لتبيدهم بحجّة إنهم يجمعون السلاح ويحملونه طلباً للاستقلال ومقاومةً للسلطة العثمانية، والذي هو غير صحيح أصلاً ومُفَبرَك ومُركَب ضدهم فصدر القرار بإبادتهم.

ترى ما هو ذنب السريان، حتى يموتوا وهم لم يفكروا يوماً أن يحملوا سلاحاً أو ينادوا باستقلال واقتطاع أرضٍ من هذه الإمبراطورية، ولم يفكروا يوماً ان ينتفضوا ضد السلطنة حتى تصدر الأوامر فتشملهم حرب الإبادة.

اللّهم في برقيات خجولة كان يبعثها السلطان من الآستانة بوقف المجازر ضد السريان، فإذا تلّقفها موظفٌ حاقد أو مسؤول يكره المسيحيين، يؤجل إعلانها حتى ينفّذ الوحوش مآربهم بقتل من تصل إليه أيديهم. وإذا نجت بقية باقية بقدرةٍ إلهية، يذيع إنّ هناك أمراً قد صدر بوقف السيوف عن رقاب السريان. وهذا ما كان يحدث نادراً وأي رادع يمنع تصرفات الظالمين والذين لا ضمائر لهم ... نترك ذلك لعدالة السماء.

أعود لأقول ما ذنبنا، وإذا أحببتُ ان أشخّص الذنب : **إننا أبرياء**. فهل من المعقول أن يُباد شعبٌ، خدم البشرية في كل مواقعها وعِبرَ التاريخ، وقدّم للإنسانية ما هو للبُنيان والرقي والتقدّم. أهو عدلٌ أن يموت هذا الشعب جزاء كلّ الصالحات التي فعلها، لكنه مصنَّف لديهم بالكافر (كاور) سامحهم الله.

أترك ذلك للقارئ الحصيف ليقرأ ويفهم ويَعلَم : إن العدالة مفقودةٌ على الأرض، وإننا بحاجة إلى عالمٍ آخر تظهر فيه عدالة الله الذي يعطي الحق لأصحابه ويعاقب المذنبين.

وقد تم فينا قول الشاعر الكبير أديب اسحق :

قَتلْ امرئٍ في غابة جريمةٌ لا تغتفر

وقتلُ شعبٍ آمنٍ مسألةٌ فيها نظر

اليوم، كلما رأيت وتابعت المآسي التي يعاني منها الشعب الفلسطيني البريء، وتعديات الصهاينة والممارسات غير الإنسانية التي يذيقونها لهؤلاء الأبرياء الذين فقدوا وطنهم وهُجّروا من أراضيهم، وأذاقهم اليهود التباريح والعذابات على أنواعها بأسلوب إرهاب الدولة المنظم، تتماثل أم ناظريَّ المظالم والجرائم التي

ارتكبها هؤلاء المجرمون عبر الأجيال بحق شعبنا وأهلنا. ولا أبرّر أيادي الصهيونية الأثيمة من مجازرنا في تلك الأيام، وما يصيب الأبرار في المنطقة والعراق اليوم.

الفرق بين المجازر التي ضربت السريان المسيحيين في بلاد ما بين النهرين اعتباراً من عام ١٨٩٥ – ١٩١٤–١٩١٨، والمجازر التي تمارس بحق الشعوب المغلوبة على أمرها اليوم.

ان المجازر في تلك الأيام، لم تكن وسائل إعلامية لتعلنها وتوضحها وتوصلها في حينها، إلى الرأي العام العالمي. وكثيراً ما أبيدت قرى ومناطق دون ان يعلم الجيران من القرى المحيطة بحقيقة ما جرى أو أصابها.

أما اليوم فأي خبر يتابعه الكون عبر وسائل الإعلام الحديثة والمتطورة جداً بالتفاصيل والدقائق في نفس اللحظة.

لهذا، كل ما تقرأه في هذه الصفحات هو وشل من محيط مآثم الطغاة الظالمين الذين أبادوا المسيحيين. ففقدوا حياتهم وأرضهم ومهد آبائهم وأجدادهم بالإضافة إلى تراثهم العزيز جداً.

هذه المذكرات التي تقرأها في هذا الكتاب هي بقلم **الأديب السرياني الكبير والشاعر الملهم ملفونو عبدالمسيح نعمان قره باشي** الذي عاينها وسمعها وكان وقتها تلميذاً وشماساً في دير الزعفران قرب ماردين في تركيا اليوم. وصوّرها بأصدق عبارات المؤلف والأديب والشاعر، وقد سمّاه :

ܕܡܐ ܙܠܝܚܐ ܐܘ ܢܟܣܬܐ ܕܥܢܐ ܡܫܝܚܝܐ

الدم المسفوك أو ذبيحة أغنام المسيح.

لقد طبع هذا الكتاب بلغته السريانية الأصيلة والأصلية **اتحاد الأندية الآثورية في السويد عام ١٩٩٧**. ثم أعاد طبعه ونشره بالسريانية أيضا **نيافة مار يوليوس عيسى جيجك مطران أوروبا الوسطى في مطبعة ابن العبري عام ١٩٩٩ في هولندا**. وقد ترجم الكتاب من السريانية إلى الهولندية والألمانية وطُبع.

واليوم يسرّنا ان نترجمه إلى اللغة العربية العزيزة وبمسؤولية وأمانة علمية عرّبناه بحرفيته وترجمناه قادرين للمؤلف - رحمه الله - جهوده وتجنده لكتابة هذه الصفحات المهمة والضرورية، والمذكّرات الواقعية لتلك الحقبة القاسية في تاريخنا الأسيف ولئن كانت مؤلمة وأليمة، لكنها تحمل العبر. وفي التاريخ عبر للجميع.

ولقد زيّنا صفحات الكتاب بصور عن الحواضر والمدن والقرى والمناطق والأحداث التي ورد ذكرها في هذه المذكرات.

ونعبّر عن عميق تقديرنا ومحبتنا إلى عزيزنا الغالي **أفرام قومي** الذي بادر وقام مشكوراً بدفع نفقات طبع هذا الكتاب. أثابه الله خيراً وحفظ عائلته وأحباءه ومحبيه لسنوات عديدة بالصحة والعافية والتوفيق.

لن يفوتني أن أذكر بيت شعر ورد في أقوال شهيد الإيمان والتراث السرياني الخالد **ملفونو آشور يوسف الخربوطلي المستشهد عام ١٩١٥** وكأنه يتنبأ عن موته مع آخرين قائلاً :

فتك الأعداء فينا   يا لهم من ظالمين
بلا ذنب قتلونا   حيث كنا آمنين

لقد أضفت إلى هذا الكتاب لائحة بأسماء المدن والقرى والمناطق التي اجتاحتها الاضطهادات والمجازر في الحرب العالمية الأولى بالإضافة إلى اعداد الأفراد والأشخاص الذين استشهدوا في حروب الإبادة القاسية وهي من اعداد مار سويريوس أفرام برصوم مطران سورية ولبنان يومئذ (**البطريرك أفرام الأول برصوم بعدئذ**) وقد عرضها في مؤتمر السلام في لوزان/سويسرا عام ١٩١٩.

و لم تلقَ بحسب قوله أي تجاوب من السامعين وأحياناً كانت عيونهم عمياء وآذانهم طرشا، وقلوبهم صمّاء ... على الرغم من صدقه وبلاغته وفصاحته في التعبير ... وقد حفظ أرشيف هذه المؤسسات في هذه اللائحة وسواها. وقد نشرتها مجلاتنا ونشراتنا التي تصدر في اوروبا.

واليوم ترى رسائل المطران أفرام برصوم (البطريرك فيما بعد) في أرشيف وزارتي الخارجية البريطانية والفرنسية التي راجعها المطران أفرام برصوم، وقبلتها منه رسمياً بصفته مطران سوريا ولبنان للسريان الأرثوذكس، و لم يقبلوها منه بصفته عضواً في الجمعية السريانية الآشورية الكلدانية التي راجعت بشأن المجازر واهتمت أن يلتفت العالم الغربي فينصف هؤلاء المظلومين من أبناء هذه الطوائف التاريخية بناة حضارة ما بين النهرين وأصحابها الشرعيين.

و كان - رحمه الله - يذكر هذه الوقائع ويتحسّر عليها بأسف، لأن العالم الغربي الذي كان معتبراً عالماً مسيحياً لم يتصرف كعالم مسيحي بل بالعكس، ويا للأسف.

ومن هذين الأرشيفين وصلت إلينا هذه المعلومات.

لائحة خسائر السريان

في بلاد ما بين النهرين خلال الحرب العالمية الأولى

ولاية ومدينة وقرية	قرية	عائلة	عدد القتلى	كنيسة ودير	كاهن ورجل دين	مطران ونائب بطريركي
ولاية دياربكر :					١	
دياربكر وضواحيها	٣٠	٧٦٤	٥٣٧٩	٥	٧	
سليفان		١٧٤	١١٩٥	٥	١	
ليجة	١٠	٦٥٨	٤٧٠٦	٥	٤	الراهب سمعان نائب أسقفي
ديركه		٥٠	٣٥٠	١	١	
سفيرك	٣٠	٨٩٧	٥٧٢٥	١٢	١٢	المطران دنحا (سيفرك)
ويرانشهر	١٦	٣٠٣	١٩٢٨	١		
ماردين	٨	٨٨٠	٥٨١٥	١٢	٥	
صاعور	٧	٨٨٠	٦١٦٤	٢	٣	
نصيبين	٥٠	١٠٠٠	٧٠٠٠	١٢	٢٥	الأب اسطيفان نائب بطريركي
جزيرة	٢٦	٩٩٤	٧٥١٠	١٣	٨	
بشيرية	٣٠	٧١٨	٤٤٨١	١٠	١٠	الأب الربان جبرائيل
بارافات	١٥	٢٨٢	١٨٨٠	١	١	
مديات	٤٧	٣٩٣٥	٢٥٨٣٠	٦٠	٦٠	الأب أفرام والمطران أنتيموس يعقوب (دير الصليب) كربوران
ولاية بتليس :						
بتليس	١٢	١٣٠	٨٥٠	١		
سعرت		١١٠	٦٥٠	١	٢	الأب ابراهيم
شيروان	٩	٢٨٣	١٨٧٠	٢	٤	
شارزان	٢٢	٧٤٤	٥١٤٠	١٢	٩	
سنجق خربوت :						
خربوت	٢٤	٥٠٨	٣٥٠٠	٥	٢	
سنجق اورفة :						
اورفة		٥٠	٣٤٠			
المجموع	٣٤٥	١٣٣٥٠	٩٠٣١٣	١٥٦	١٥٤	٧

ملاحظة : يوجد خطأ في جمع القرى أرقام وأعداد العائلات والكنائس والأديرة والكهنة ويجب ان يكون كما يلي : (٢٣٦ قرية)، (١٣٣٦٠ عائلة)، (١٦٠ كنيسة وديراً)، (١٥٥ مطراناً وراهباً وكاهناً متزوجاً).

عندما تتصفّح جيداً أيها القارىء العزيز وتقرأ كل ما ورد في هذا الكتاب، ستتأكد وتعرف مدى العذابات والصعوبات والاضطهادات وأساليب الموت القاسية التي مارسها هؤلاء الظالمون بحق الأبرياء. وكما درجنا ان نعلّل الأسباب التي قادهم إلى هذه التصرفات اللاإنسانية بأناس عُزَّل، نقول : **ذنبهم أنهم أبرياء.**

والغريب الغريب ان مرتكبي هذه الفظائع، كانوا إما معارف أو أصدقاء أو جيران هؤلاء المظلومين. فلم يتورعوا من الاقدام على ارتكاب الجرائم البشعة في حقهم، وهذا هو الغدر بعينه. وتحليلنا وتعليلنا ان هؤلاء الجيران والأصحاب لم يكن لهم أي هدف إلا الطمع بأعراض هؤلاء المسيحيين وأموالهم ومتاعهم ومقتنياتهم. ففازوا بما تمنّوا.

وهل يدوم مال الظلم وتصرفات الظلم، وهل كانت أبواب السماء مغلقة وآذان عدالة السماء لا تسمع، لا لعمري، فالله طويل الأناة يمهل ولا يهمل. ولا بد من أن ينصف المظلوم وينتقم من الظالم ولو تأخر الزمان.

ونحن كمسيحيين نردد قول السيد المسيح " ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ".

فماذا نفعتهم المسلوبات والمنهوبات والمسروقات من متاع المسيحيين وأموالهم وأملاكهم. صارت وبالاً عليهم اتماماً لقول الكتاب المقدس " **لي النقمة يقول الرب** ... " هل تصدق إذاً، إن بشراً يتصرفون هكذا. لا وأيم الحق.

وفي الختام، خسر السريان المسيحيون مقتنياتهم المادية وحياتهم الفانية على الأرض، لكنهم سجلوا لأنفسهم إرثاً لا يزول في السماء واسماً يشهد لهم انهم حافظوا على إيمانهم ومبادئهم ورسالتهم الحقيقية.

وتم فيهم قول الوحي الإلهي (كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة) فنالوا الأكاليل وانضموا إلى قوافل الشهداء الحقيقيين ليسجلوا عبر التاريخ وإلى اليوم وحتى انقضاء الدهر (**اننا أبناء الشهداء، والمسيحية شهادة حقيقية أبداً**)، لأن مؤسسها وفاديها علّمهـــا قائلاً : " **أنا هو القيامة والحياة، من آمن بي وإن مات فسيحيا** ".

مغبوطون هم هؤلاء الشهداء، ومحتقـــرون هم المجرمـــون الذين لعنهم الله ورفضتهم الإنسانية.

اذكرنا يا رب متى أتيت في ملكوتك.

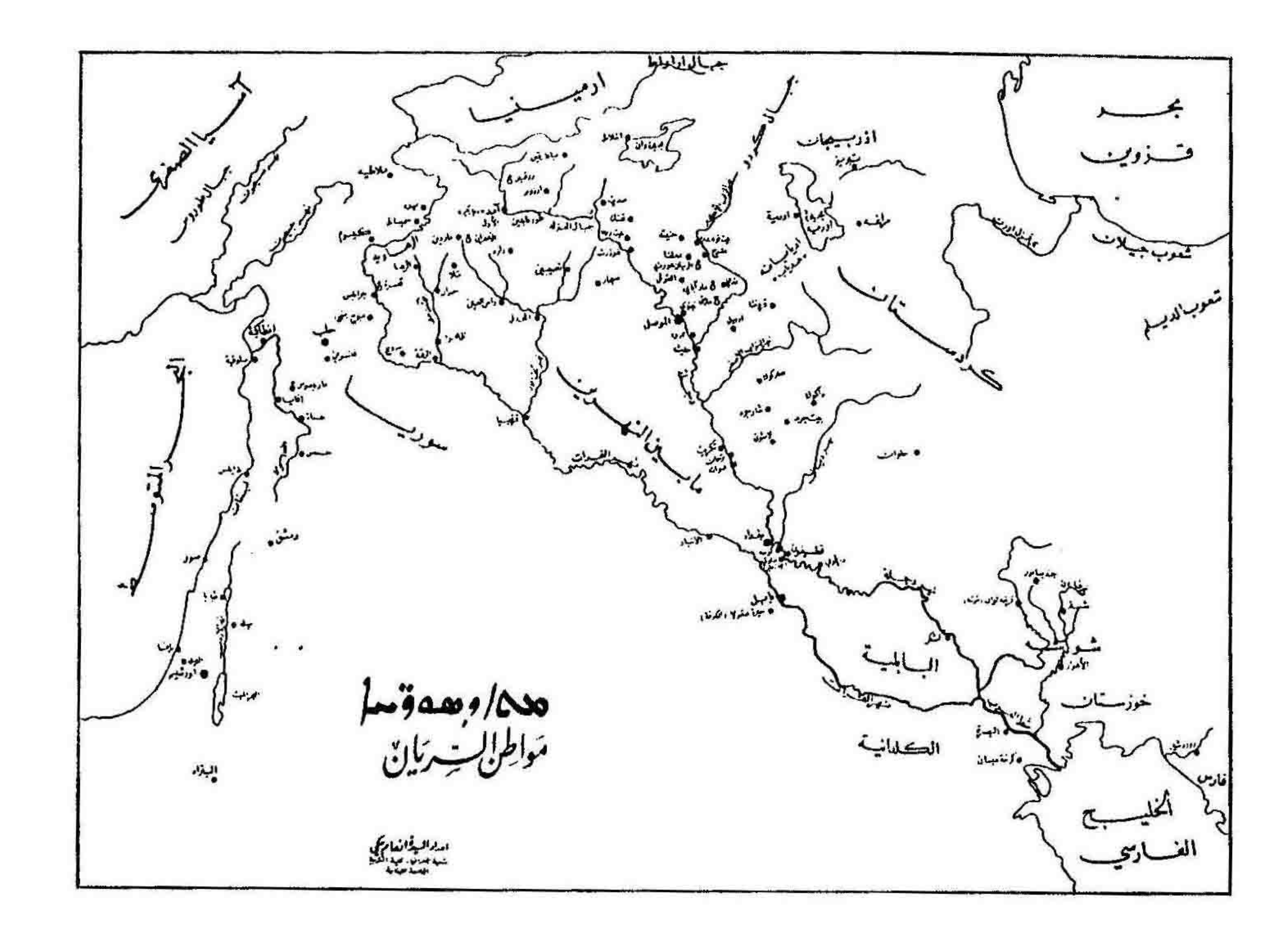
جبل لبنان

تيوشرية ١/٥/٢٠٠٥

عيد القيامة الخلاصية

† ثاوفيلوس جورج صليبا

مطران جبل لبنان وطرابلس


مواطن السريان
البحر المتوسط
آسيا الصغرى
جبال طوروس
ارمينيا
بحر قزوين
اذربيجان
جبال كردو
كردستان
شعوب جيلان
شعوب الديلم
بين النهرين
سورية
البابلية
الكلدانية
خوزستان
الخليج الفارسي


ܕܡܐ ܐܫܝܕܐ
الدم
المسفوك
The Shed Blood

ܕܡܟܐ ܐܠܗܝܐ

ܐܘ ܢܓܗܐ ܕܚܝ̈ܐ ܕܡܫܝܚܐ

ܠܡܫܡܫܢܐ ܕܡܠܬܐ ܗܢܐ

ܠܐܒܝܠܐ ܕܡܢ ܗܘ ܐܡܪ ܡܪܝܐ :

ܟܡܐ ܡܣܒܪ ܗ̱ܘܐ ܘܡܣܟܐ ܗܘ ܥܡܐ ܐܪܥܐ ܕܐܬܠܒܟ ܦܠܣܛܝܢ ܒܐܬܪܐ ܕܒܝܗܘܕ، ܘܟܡܐ ܡܣܟܝܢ ܗ̱ܘܘ ܚܝܝܗܘܢ ܕܢܗܘܐ ܗܟܢ ܒܙܒ̈ܢܐ، ܕܢܒܝ̈ܐ ܦܪܩܘ ܕܡܐ ܕܢܬܪܚܡܘܢ، ܥܠ ܐܦܝ̈ ܗܡܢܘܬܗܘܢ ܘܐܣܪܘܬܗܘܢ ܒܪܝܫܘܬܐ ܡܟܬܒ̈ܢܝܬܐ ܕܠܘܝܬܗܘܢ ܣܡܝܟܬܐ، ܘܐܘܡܢܘܬܗܘܢ ܐܡܝܢܬܐ ܗܡܝܢܘܬܗܘܢ ܫܪܝܪܬܐ ܘܚܣܝܢܬܐ.

ܐܝܟ ܟܡܐ ܪܚܝܩ ܗ̱ܘܘ ܢܦܫ̈ܬܗܘܢ، ܕܢܚܙܘܢ ܚܙܘܗ ܪܒܐ ܕܡܫܝܚܐ ܡܠܟܐ ܕܡܫܘܚܬܐ ܘܐܠܗܐ ܕܟܠ ܟܠ.. ܠܟܠܗ ܥܘܠܡܐ ܕܒܟܠ ܙܒܢܐ ܘܡܟܬܒܐ ܡܫܝܚܐ ܕܡܬܟܪܙܝܢܐ، ܒܢ̈ܝܐ، ܒܢ̈ܬܐ، ܐܚ̈ܐ، ܐܚ̈ܘܬܐ، ܐܒ̈ܗܐ ܘܐܡ̈ܗܬܐ، ܠܐ ܡܕܡ ܚܣܝܪ ܗ̱ܘܐ ܠܗܘܢ، ܒܪܡ ܕܝܢ، ܡܣܬܟܝܢ ܗ̱ܘܘ ܠܗܘܢ ܗܟܢ ܗܟܝܠ ܘܒܠܒܗܘܢ، ܒܦܫܛܐ ܕܡܬܥܒܕܢܘܬܐ ܢܦܫܬܐ ܕܚܝ̈ܐ ܕܐܬܝܗܒܬ ܠܗܘܢ، ܕܠܐ ܒܐܦܝܐ ܕܚܝ̈ܐ ܕܟܠܗܝܢ، ܘܐܦܝ̈ܗ ܦܠܚܝܢ، ܘܐܬܩܢܘ ܠܦܠܚܝܢ ܕܢܩܘܡܘܢ ܠܡܬܥܒܕܢܘܬܐ ܗܕܐ، ܕܣܓܝܐܐ ܕܗܘ ܡܣܬܟܝܢ ܠܡܚܙܝܗ̇ ܡܢ ܟܠ.

ܘܗ̇ ܠܗ ܠܟܝܢܐ ܡܪܝܐ، ܘܠܗܘܢܐ ܕܒ ܚܙܝܐ، ܘܐܬܐ ܡܠܟܐ ܘܫܪܝܐ ܕܚܕܘܬܐ، ܕܫܘܪܝܐ ܘܐܬܝܗܘܢ ܡܫܝܚܐ ܡܢ ܦܠܚܝܢ ܒܬܪܬܐ ܫܡܝܐ، ܕܘܟܐ، ܐܦܩܘܪܐ، ܡܚܠܬܐ ܘܡܘܬܐ ܘܠܐ ܪܚܡܐ ܒܠܒܗ ܘܐܡܥܪܗ، ܟܠܗܐ ܕܝܢ ܕܦܠܚܗ ܗܘܐ، ܒܪܝܪܘܬܐ ܕܪܚܡ ܢܘܪܐ ܘܡܪܝܪܘܬܐ ܕܗܘ ܫܘܪܐ ܕܫܘܠܛܢܐ ܕܟܠ ܐܦܝ̈ ܐܝܣܘܬܐ ܕܐܝܬ ܠܟܠܐ ܕܡܘ، ܐܝܟ ܘܐܝܟ، ܒܢ̈ܝܐ ܘܐܒ̈ܗܐ، ܡܘܬܐ ܠܟܠܗܘܢ ܐܠܗܐ، ܕܫܘܪܐ ܠܐܝܣܘܬܐ ܘܕܘܟܝܐ ܛܒܐ ܒܡܫܡܠܝܐ ܒܪܐ ܕܡܠܟܗܘܢ ܢܦܪܘܩ ܘܢܦܨܐ ܘܢܠܘܬ، ܘܒܪ ܡܫܝܚܝܘܬܗܘܢ، ܗܘ ܕܗܘܐ ܠܟܘܠܐ ܢܠܒܘܫ..

ܡܢܐ ܦܪܐ ܐܝܟ ܗܒܠܐ ܒܥܠܡܐ ܗܢܐ، ܛܒ̈ܐ ܕܚܝ̈ܐ ܠܐ ܡܫܬܡܠܝܢܐ
ܘܐܚܪܢܝ، ܦܠܚܘ، ܘܠܒܫܘܗ ܟܪܐ، ܡܢ ܥܒ̈ܕܐ ܘܢܘܟܪ̈ܝܐ ܘܫܒܝ̈ܐ ܒܢ̈ܝ
ܡܠܟܘܬܐ ܘܫܘܠܛܢܐ ܕܐܪܥܐ، ܘܣܝ̈ܦܐ ܘܡܘܬܒ̈ܐ ܘܐܦ̈ܣܐ ܩܪ̈ܒܐ ܘܒܥܠܕܒ̈ܒܐ
ܒܫܡ̈ܝܐ ܘܐܪ̈ܥܐ. ܐܘ ܐܠܗܐ، ܟܡܐ ܒܫܡ ܗܘ ܛܠܘܡܐ، ܘܟܡܐ ܣܓܝܐ
ܘܡܬܡܟܟܐ ܡܢܐ ܐܢܬ ܐܠܗܝ ܐܠܗܝ !..

ܐܪܐ ܛܝܒܘܬܐ ܗܝ، ܘܠܐ ܒܥܠܡܐ، ܕܒܬܪܐ ܬܫܬܚܠܦ ܘܕܬܪܬܐ ܬܫܬܦܩ،
ܘܒܗܘܒܐ ܠܛܠܝ̈ܡܐ ܘܢܫ̈ܒܐ ܢܘܟܪ̈ܝܐ، ܘܥܠܘܬܐ ܘܡܘ̈ܡܐ ܘܛܒ̈ܐ
ܘܡܠܝ̈ܡܐ ܘܥܢ̈ܝܐ ܠܢܘܦܩܗܘܢ ܘܫܘܠܡܗܘܢ ܘܠܛܘܒܗܘܢ ܘܢܐܚܘܢ ܘܫܘܦܪܗܘܢ..
ܘܣܓܝ ܠܓܐܡܪ، ܕܢܛܘܪܬܐ ܕܚܕܪܝܐ ܕܒܬܪܐ ܘܐܘܡܬܐ ܘܐܝܟܢܘܬܐ ܐܠܗܝܬܐ
ܠܓܒܪܐ ܘܢܐܚܐ.

ܐܘ، ܐܪܐ ܛܝܒܘܬܐ ܗܝ، ܕܦܠܚܘܗ̇ ܗܠܝܢ ܡܫܬܡܥܢܐ ܒܥܡܐ ܘܠܐ ܐܢܫ̈ܐ ܢܚܦܫܘܢ
ܠܥܠܡܐ ܗܢܐ ܕܫܘܪܚܐ، ܕܫܘܒܩܢܐ ܐܝܟ ܠܗ ܒܠܐ ܐܝܫܘܬܐ ܘܡܕܝܢܘܬܐ ܒܦܠܚܘܗ̇
ܛܘܪܐ ܕܚܝ̈ܐ. ܗܘܐ ܡܢ ܕܝܢ ܢܗܘܪܐ ܕܝܕܥܬܐ ܘܐܚܝ ܒܪܢܫܐ ܒܟܝܢܐ
ܕܡܬܛܘܪܢܘܬܐ ܘܡܬܥܒܕܢܘܬܐ..

ܒܟܡܐ ܗܢܐ، ܠܐ ܐܬܡܨܝ ܠܡܫܬܠܐ ܠܐܝܫܘܬܐ ܐܠܐ ܦܠܚܝܢ ܕܡܪܝܢ ܘܡܬܬܚܝܢ
ܘܡܬܥܪܒ، ܘܡܟܠܐ ܠܥܘܒܕܐ ܕܒܥܙܐ ܘܪܘܚܢܐ ܕܡܕܝܢܘܬܐ.

ܡܛܠ ܫܘܐܠ ܪܒܐ، ܡܛܠܐ ܡܘ، ܐܬܛܠܩ ܫܘܪܝܐ ܘܡܢܐ ܗܘ ܒܥܠܡܐ
ܕܡܛܠ ܘܡܬܒܪܢܘܬܐ ܘܡܫܒܚܢܘܬܐ ؟...

ܠܐ ܚܕܐ ܐܝܬ ܒܥܠܡܐ، ܐܠܐ ܒܡܫܘܠ ܐܫܬܪܘܬܐ ܕܫܘܪܝܐ ܘܡܫܡܫܢܐ ܕܒܛܝܒܘܬܗ
ܒܡܫܝܢܘܬܗܘܢ ܕܒܫܡܗ ܕܡܠܟܐ ܐܠܗܐ ܕܐܬܚܡܪ، ܘܐܣܝܪܘܬܗܘܢ
ܒܡܬܒܪܢܘܬܗ ܐܠܗܝܐ، ܘܫܡܝܐ ܘܐܪܥܐ ܕܒܡܫܝܚܐ ܠܐ ܡܬܡܫܝܢܐ ܛܠܘܡܝܐ
ܘܦܘܪܐ ܘܦܝܬܐ ܡܘܬܐ، ܘܦܡܐ ܠܒܘܬܐ، ܘܠܐ ܪܘܚܐ، ܒܪܡ ܕܝܢ ܦܬܘܪܐ
ܘܪܚܡܐ ܡܢ ܒܪܐ..

ܐܘ، ܐܢܫܐ ܗܢܘܢ، ܕܗܘܝܐ ܕܒܚܝܝܐ ܐܚܪܢܝ، ܒܪܡ ܕܝܢ ܦܬܓܡܘܗܝ
ܘܡܬܪܚܡܢܘܬܗ، ܕܒܪܝܬܐ ܐܝܟ ܘܕܝܢܘܬܐ ܕܡܪܒܐ.

ܟܕ ܢܦܩ ܠܫܘܡܠܐ ܪܒܐ ܡܠܦܢܐ ܚܒܝܒ ܡܫܝܚܐ ܢܥܡܢ ܕܦܪܘܫܥ ܘܚܕܐ
ܐܠܝܢ ܩ̈ܝܢܐ ܘܡܕܒܪܢܘܬܐ ܚܦܪܘ ܓܘܫܐ ܗܠܝܢ ܒܠܒܗ. ܘܥ̈ܩܒܐ ܘܚ̈ܝܐ
ܕܐܠܝܢ ܗܘ̈ܦܟܐ ܓܘ̈ܢܐ ܒܢܦܫܗ ܘܪܘܚܗ ܘܐܘ̈ܦܝܢ ܘܚܘܫ̈ܒܝܢ ܘܐܠܝܢ
ܐܝܟ ܡ̈ܕܒܪܢܘܬܐ ܕܐܬܒܥܝ ܒܝ.. ܐܠܗܐ ܗܘܒܐ ܠܥܡܗ ܠܢܘܪܐ ܗܘ ܕܡܢܐ
ܢܛܠ ܟܝ ܒܗܠܐ ܐܡܗܡܟܪܘ ܘܠܥ̈ܛܝܢ ܥܡܘܟܬܐ ܗܠܝܢ ܡܪܢܝܬܐ ܒܛܪ
ܥܕ̈ܢܐ ܗܠܝܢ ܕܒܬܪܗ ܒܥܠܐ ܒܗ ܦܥܠܝܢ ܗܘܘ ܥܡܘܟܬܐ ܗܠܝܢ ܠܗܠܝܢ ܕܢܗܘ
ܘܥܡܟܘ ܡܢ ܡܘܪܐ ܐܘ ܢܝܚܘ ܠܚܘܫ̈ܒܬܐ ܘܠܐ ܡܬܡܠܟܝܢ.

ܢܘܡܐ ܕܝܢ ܠܝ ܐܫܬܘܕܥ ܐܪܒܐ ܡܢ ܟܘܡܪܘܬܗ ܘܫܘܪܝܐ ܐܬܟܪܙܘ
ܒܡܥܡܪܐ ܘܒܫܘܦܪܐ ܘܒܦ̈ܫܝܛܬܐ ܒܒܠܝܗ ܗܠܝܢ ܒܝܢܬܐ ܘܫܢ̈ܝܐ ܘܢܣܒ ܫܡܘܢ
ܛܐܠܐ ܘܥܡܥܡ ܢܩܒ ܠܡܩܬܘܝ ܩܡ ܕܝܢܝ ܘܢܝܚܐ ܠܪܒܘܬܐ ܕܐܒܘܬܝ
ܒܪܓܘܫܬܐ ܘܡܕܝܢܘܬܗܘܢ .. ܘܐܝ ܦܠܚܘܢ ܗܠܝܢ ܓܕܫܐ ܡܪܢܝܬܐ ܒܪܗ
ܒܠܝܢ ܕܢܟܠܗܘܢ ܗܡܢ ܐܠܐ ܒܫܘܪܐ ܕܓܘܓܠܬܐ ܕܒܠܐ ܐܦܝܢ ܠܪܒܐ ܕܡܗ
ܐܦܝ ܕܡܢܝܪܥ ܝܬܬܐ ܐܒܝܐ ܘܢܘܦܩ ܛܝܒܐ ܘܡܥܝܪܐ ܠܚܪܬܗܘܢ.. ܘܗܠܝܢ
ܕܗܘܠܝ ܐܝܕܘ ܠܐ ܢܟܬܪܘܢ ܒܕܡܐ ܕܚܪܐ ܠܡܬܪܘܝܢ ܢܘܦܩܝ ܘܡܘܡܬܐ ܝܬܝܪ
ܕܗܠܗ ܘܐܕܡܐ ܕܓܠܘܡܝܐ ܢܫܪܢ ܦܠܡܕܝܢ ܒܬܝܡܐ ܕܥܡܘܣ ܡܪܝ
ܘܒܕܝܬܘܬܗ ܢܦܝܐ ܠܪܕܘܦܝܢ ܘܗܐ ܦܠܐ ܢܘܦܪܝ ܐܬܦܪܣ.

ܢܒܥܐ ܠܥܘܒܕܝܢ ܡܕܡܐ ܘܢܘܦܩ ܠܒܝ ܗܘܪܝܐ ܐܘ ܐܠܗܐ ܡܪܐ ܐܝܬ ܚܝܠܐ
ܦܠܐ ܐܬܠܝܩ..

ܥܡܗ ܒܒܘܬܝ ܘܒܒܝ ܬܝܡܐ ܒܠܐ ܢܦܫܬܝ. ܕܬܘܒܬܐ ܕܠܟܘ ܗܘ ܠܥܘܕ.

ܛܘܪ ܠܒܢܢ : ܐ ܕܐܝܪ ܒܗ
1 - 5 - 2005

ܛܠܝܐ ܕܡܫܝܚܐ ܦܪܘܩܐ

† ܬܐܘܦܝܠܘܣ ܓܘܪܓܝܣ ܨܠܝܒܐ
ܕܛܘܪ ܠܒܢܢ

ܡܠܬܐ ܕܡܦܩܢܐ

ܡܥܡܘܕܝܘܬܐ ܗܠܝܢ ܕܟܠ ܐܝܬܝܐ ܡܫܡܥ̈ܝ ܡܕܡ ܡܢ ܟܬ̈ܒܐ ܕܐܘܟܪ̈ܢܐ ܘܐܬܥܝܒܐ ܕܢܘܣ̈ܚܐ ܡܕܝܢ̈ܬܐ ܘܥܡܡ̈ܐ ܘܕܘܟ̈ܝܬܐ ܕܚܪܒܐ ܕܛܘܟܣܐ ܕܐܬܐܚܕܘ ܛܪܘܢܐܝܬ ܒܫܢܬ 1915 ܒܗܘ ܟܪ̈ܝܬܐ ܘܫܘܪ̈ܝܐ ܡܝ̈ܬܐ ܩܪ̈ܘܒܐ ܐܡܪ ܐܝܬ ܘܛܘܪܝܐ. ܟܠ ܒܥܡܡ̈ܐ ܡܫܝܚ̈ܝܐ ܒܥܕܢܐ. ܡܛܠ ܟܠ ܒܗܐ ܕܡܢ ܣܘܪ̈ܝܐ ܒܐܬܪܐ ܕܒܛܘܪܥܒܕܝܢ ܘܒܬܪܗܘܢ ܡܢ ܓܪܒܝܐ ܒܟܠ ܘܡܕܢܚܐ ܢܦܫܐ ܕܐܪܥܐ ܒܝܬ.

ܒܬܪ ܕܝܢ: ܡܥܡܘܕܝܘܬܐ ܗܠܝܢ ܒܟܬܒܐ ܛܘܦܣܐ ܡܫܠܡ̈ܝܢ. ܐܘܣܦ ܠܗ ܢܘܟܪ̈ܝܐ ܡܕܡ. ܗܘܐ ܕܝܢ ܟܠ ܕܫܪ̈ܒܐ ܕܐܬܒܬܢܘܢ ܒܗ ܒܪ̈ܝܬܐ ܣܓܝܐܐ ܕܒܗ ܫܡܐ ܕܛܘܪܥܒܕܝܢ ܒܥܘܠܐ ܗܘܐ ܘܠܐ ܡܬܚܫܒ ܫܪܝܪ ܟܕܡܐ ܕܡܟܣܝ ܕܒܟܠܗ̈ܝܢ ܡܫܝܚ̈ܝܐ ܡܠܐ ܝܘܡ ܡܢ ܥܡ̈ܡܐ ܘܫܥ̈ܬܐ ܘܒܟܠܗ̈ܝܢ ܘܟܠܗܝܢ ܟܢܘܫ̈ܬܐ, ܒܪܡ ܕܝܢ ܘܥܡ̈ܡܐ ܘܡܫܡܫ̈ܢܐ, ܘܗܘܝܐ ܟܠ ܚܕܐ ܡܢܐ ܘܡܕܝܢܬܐ ܐܠܐ ܦܪܘܩ ܢܝܫܐ. ܘܒܚܕܐ ܗܝ ܒܗ ܟܠܗ ܩܕܡ ܩܕܝܫܐ.

ܐܝܟ ܚܘܠܐ ܕܝܢ ܕܥܡܐ ܕܟܠ ܝܘܡ. ܘܐܝܟ ܫܒܥܐ ܕܐܘܠܐ ܕܡܢ ܦܘܡ ܫܝܢܐ ܘܫܠܡ̈ܐ ܕܡܢ ܩܛܠܐ ܦܠܛܘܢ، ܒܙܪܐ ܐܒܘܪܐ ܐܘܣܦ ܚܕܐ ܡܢ ܐܟܘ ܫܪ̈ܝܬܐ ܡܢܐ ܐܝܬ. ܡܛܠ ܠܐ ܒܛܝܠ ܠܗ ܟܠ ܛܘܦܣܐ ܐܘ ܫܪܒܐ ܡܫܡܥܐ. ܒܬܪ ܟܠ ܒܗܘ ܫܪ̈ܒܐ ܒܠܚܘܕ ܕܐܬܒܥܐ ܐܝܟ ܕܐܬܚܙܝ ܠܡܫܠܡܘ ܢܘܩܒܐ ܡܛܠ ܕܝܢ ܕܠܐ ܡܫܟܚ ܐܝܬ ܒܟܠܗܘܢܐ ܕܐܝܟ ܗܠܝܢ ܫܪ̈ܒܐ ܕܐܬܚܙܝ ܚܕ ܡܢ ܐܬܚܒܪ ܕܒܗ ܡܦܪܫ ܟܘܠܐ ܒܝܕܐ ܕܐܟܬܒ (ܒܘܪܟܡܐ) ܒܗ ܦܛܪܝܪܟܘܬܐ ܕܡܘܪܝܐ. ܘܐܠܐ ܒܕܒܠ ܦܫܝܛ ܟܠ ܡܫܡܫܢ̈ܐ ܕܥܠܝܗ ܚܝ̈ܐ.

ܒܪܡ ܕܝܢ ܒܠܒܘܠܬܐ ܕܡܕܝܢ̈ܬܐ ܗܘܝ ܒܫܘܪܝ ܫܢܬ 1915 ܘܥܕܡܐ
ܠܫܢܬ 1918 ܕܒܗ ܐܬܩܛܠܘ ܡܐܘ̈ܬܐ ܒܐܠܦ̈ܝܗܘܢ. ܘܚܕ ܦܠܓܐ ܘܝܬܝܪܐ
ܘܡܢ ܪܘܒܐ ܕܥܡܐ ܡܚܒܪ ܟܦܢܐ ܘܡܘܬܢܐ ܕܗܘܘ ܐܚܕܘ ܣܘܓܐܐ ܕܥܪ̈ܘܩܐ
ܘܡܫܪ̈ܝܐ. ܘܠܐ ܦܠܛܘ ܐܠܐ ܐܢ ܝܚܝ̈ܕܝܐ ܟ̈ܦܢܐ ܥܪ̈ܘܩܐ ܘܡܬܛܫ̈ܝܢܐ. ܘܗܠܝܢ
ܕܫܒܩܘܗܘܢ ܬܘܟܠܐ ܕܡܘܥܒܬܐ ܫܡ̈ܝܐ ܐܘ ܕܫܥܒܕܘ̈ܬܐ ܕܫܡܫܥܝܢܘܗܝ ܠܐ
ܕܒܥܠ ܐܠܐܦܘܗ ܟܠܐ ܕܟܠܗ ܡܢ ܕܢܦܩ ܕܠܗܘܢ (ܕܢܬܟܬܫܠ) ܐܘ ܕܢܬܟܫܠ
ܠܗ ܠܟܠܗܘܢ.

ܦܬܓܡ ܕܝܢ ܡܕܝܢ̈ܬܐ ܗܘܝ ܠܗ ܠܫܡܐ ܕܣܘܪܝܝܐ ܐܘ ܡܫܝܚܝܐ. ܐܘ
ܒܘܫܝܐ ܐܦܠܐ ܕܐܬܐ ܠܒܠܒܠܐ ܡܕܝܢܝܐ: ܒܒܪ̈ܝܢܘܬܐ ܕܫܡܐ ܘܡܒܥܪܐ ܡܢ
ܕܦܬܘܚܟ ܟܠܐ ܕܢܕܥ ܐܢܐ ܐܡܠܐ ܕܥܠܝܟ ܢܕܥ. ܕܐܟܢܐ ܢܟܠܐ ܗܘ ܠܐ ܡܫܟܚ ܐܠܐ
ܟܬܘܒܐ. ܕܫܡܐ ܢܬܫܡܠܐܘ. ܠܐ ܢܐܫ ܟܠܐ ܡܫܬܠܐ. ܘܦܐܝܘܬܐ ܐܦ ܠܐ ܒܦܬܠܐ
ܠܗ ܟܠܐ ܒܫܡܐ ܕܒܢܝ ܟܬܒܐ ܠܟܢܙ ܦܬ̈ܐ. ܘܡܦܩ ܐܢܐ ܕܗܘܝ ܠܒܠܐ ܡܕܝܢܝܘܬܐ
ܕܬܪܐ ܕܒܥܢܝ ܡܕܝܢܝܘܬܐ ܐܦܢܝܬܐ ܕܒܥܠܬܗ ܢܬܒ ܟܠܐ ܬܫܥܝܬܗ ܘܟܠܗ ܠܡ
ܕܢܥܪܐ ܐܠܐ ܒܝܬ ܟܬܒܐ. ܗܘ ܕܒܚܢܘܬܐ ܙܘܥܗ ܠܗܘܐ ܦܫܩ ܥܒܪܐ ܠܒܪܢܫܐ
ܢܝܐ.

ܒܪܡ ܕܝܢ ܦܬܓܡ ܐܝܟ ܐܝܟ ܕܗܘܝ ܦܠܐ ܡܕܝܢܬܐ ܕܐܬܡ ܒܐܕܢܐ ܕܕܪܐ ܒܝ
ܐܕ̈ܢܝܗܘܢ ܢܬܦܫܛ ܠܡܫܡܥܘ ܒܚܝܠܐ ܕܟܠܢܬܐ. ܗܘܝܐ ܡܕܒܪܢܐ ܕܪܒ
ܠܗܘܟܠ ܟܢ̈ܬܐ ܘܡܫܟܚܬܐ ܕܐܝܬܘܬܐ ܒܡܕܝ̈ܢܬܐ ܕܐܬܘܬܐ ܢܬܦܫܛܢ، ܐܟܢܐ ܐܦ
ܕܗܘܝ ܡܫܝܚܬܐ ܡܬܥܒܕܐ ܠܗܘܟܠ ܟܢܬܐ ܕܒܝܬ ܗܘܐ ܒܫܢܬܐ ܦܬܓܡܐ ܒܝ
ܒܪܘܚܬܐ ܢܦܫܗ ܘܢܫܟܚ ܚܝ̈ܐ ܦܐܪܐܚ ܢܫܬܘܫܗ (ܢܫܬܘܫܘܗ).

ܠܗ ܕܝܢ ܐܢܐ ܒܥܘܕܪܢܐ ܘܡܥܕܪܢܐ ܢܦܫܐ ܐܡܝܢܐ ܕܥܠ ܟܠ ܕܐܝܬ ܒܗܘܢ
ܘܐܬܬܘܟܠ ܒܫܒܝܚܘܬ ܢܦܫܗ ܐܒܗ̈ܐ ܘܢܨܚܢܘܗܝ ܟܢܫܘ ܘܐܬܐܢܣ ܘܐܒܠܐ
ܥܠ ܓܘܢܐ ܘܛܘܪܦܐ ܘܐܘܠܨܢܐ ܡܪܝܪܐ ܕܥܒܕܘ ܐܟܘܡ ܘܐܝܟܢ ܒܪܡ
ܕܐܠܨܝܢ ܡܬܝܣܪܘܬܐ ܕܐܬܐ ܕܒܪܐ ܐܒܐܠܗܝܐ ܢܦܫܬܐ ܘܐܬܒܟܝ ܘܕܐܠܨܝܢ
ܡܬܝܣܪܘܬܐ ܐܠܗܝܬܐ ܒܚܘܠܐ ܕܒܢܐ ܕܐܝܬܝ. ܘܗܟܢܐ ܕܠܐ ܡܫܬܐ ܐܒܘܢ ܕܒܫܡܝܐ
ܕܚܝܠ ܘܐܡܬ ܐܢܫܐ ܕܠܠܒܢܐ ܘܦܘܠܚܢܐ ܡܪܝܪܐ. ܥܠ ܡܘܬܐ ܘܐܘܠܨܢܐ
ܘܥܒܕܐ ܡܪܝܪܐ ܡܒܠܗ ܘܟܒܝܫܐ ܥܒܕܘ ܕܡܢܗܘܢ ܐܬܐܡܪ. ܐܠܐ ܐܢ ܠܗܘܒܗ ܕܗܘ ܕܡܐ
ܕܐܬܐܠܝܢ ܒܪܘܡܐ ܕܓܘܢܚܐ ܠܟܬܒܘܗܝ ܐܝܟܢ.

ܐܢ ܗܟܢܐ ܗܘܝ ܐܢܫܐ ܠܗܐ ܗܘܝܘ. ܘܢܦܠܘ ܠܐܬܪܘ ܥܠ ܒܫܘܡܐ
ܒܒܝܬܗ. ܘܐܬܬܘ ܗܐܬܐ ܠܟܫܡܐ ܥܠ ܒܪܟܐ ܕܗܠܝܢ ܡܬܝܪܐ ܕܟܠܗܘ ܡܢ
ܗܢܐ ܛܘܦܐ ܕܡܢܐ. ܘܐܬܟܠܦܘ ܐܘܠܨܢܝܗܘܢ ܠܪܘܚܐ ܘܥܘܢܝܗܘܢ
ܟܢܫܐ ܘܦܬܓܡܝܗܘܢ ܠܡܫܡܥܘܬܐ. ܘܦܠܚܘ ܟܢܫܝܗܘܢ ܠܗܘܪܐ ܕܫܢܐ
ܘܕܝܪܘܬܐ. ܒܬܪ ܢܦܩܘ ܒܗܠܝܢ ܡܥܘܕܪܢܘܬܐ. ܒܬܪ ܢܦܪܘ ܐܝܟ ܘܠܗܝܟܘܢ
ܒܗܘܢ. ܘܢܦܫܗܘܢ ܡܢ ܟܢܫܝܗܘܢ ܫܪܝܐ ܡܪܝܪܐ ܕܥܒܕܐ ܘܛܘܪܦܐ ܕܫܪܒܐ
ܡܚܪܦܐ ܕܐܒܗܝܗܘܢ ܘܐܚܝܗܘܢ ܘܐܚܬܗܘܢ ܒܥܠܡܐ ܕܠܐ ܪܚܡܐ ܘܕܠܐ ܒܘܝܐܐ
ܐܠܐ ܒܢ ܥܠܡ ܘܡܬܠܚܡ ܐܝܟ ܐܒܗ̈ܐ ܕܒܢܝܫܐ ܡܬܪܒܪܝܢ.

ܗܫܐ: ܐܝܟ ܗܢܝܢ ܒܬܪ ܢܦܩܘ ܐܢܫܐ ܕܫܡܐ ܥܠ ܪܘܚܐ ܡܬܒܥܝܗܘܢ.
ܘܢܦܫܗܘܢ ܡܬܟܠ ܚܘܫܒܐ ܥܠ ܪܥܝܢܐ ܬܘܫܠܡܗܘܢ. ܗܘܝ ܕܐܬܟܠܝܬ ܥܠ ܡܥܒܪܐ
ܕܐܬܚܠܐ ܠܐܘܡܬܐ. ܗܘ ܕܠܐ ܛܥܝܐ ܠܗ ܓܒܠܐ ܕܡܫܝܚܐ.

ܕܝܪܐ ܕܐܒܗ̈ܬܐ (ܡܘܪܥܫܐ) ܗ. ܛ. ܐܪܢܝ ܡ.
1918 _ 9 _ 5

ܡܫܘܡܫܐ
ܒܪܒ ܡܥܡܝܐ ܢܒܥܡ ܕܡܪܘܒܥ

مقدمة المؤلف

هذه المذّكرات تحمل أخبار الضيقات والآلام والمآسي المريرة القاسية، ووقائع السبي والاضطهاد والخراب في حرب الإبادة التي أثيرت ظلماً وعدواناً على المسيحيين عام ١٩١٥.

وقد أثارها متوحشون وهمج وكواسر لهم في الظاهر شكل البشر، إلاّ انهم غرباء (غريبون) عن الإنسانية أعني هم هؤلاء البرابرة، من بني عثمان وأترابهم من آغاوات الأكراد الملاعين.

نعم هؤلاء حنقوا على المسيحيين عامة وحقدوا على السريان بشكل خاص فساموهم العذاب والتنكيل في أرض ما بين النهرين (ܒܝܬ ܢܗܪܝܢ) وضواحيها شمالاً وغرباً لمدة أربع سنوات.

لعل هذه المذكرات تظهر ضَعيفة وغير منسَّقة أو بمعنى آخر تراها غير متسلسلة تاريخياً. وسبب هذا أن هذه الآلام والاضطهادات حدثت في الوقت الذي كانت سيوف الطغاة تحصد بدون رحمة أعناق هؤلاء الأبرياء من خراف المسيح الذين سقطوا ألوفاً وربوات غير مميزة بين رجل وامرأة شاب وشابة طفل ورضيع ... وبدون استثناء قرية أو مدينة فالأسى والذعر والخوف سيطر وبسط ظلاله ... حيث تتعالى التنهدات والحشرجات المريرة وقد تحوّل كل بيت إلى مكان عزاء وبكاء وصراخ وعويل.

وعن شهود عيان وسماع الآذان من أفواه المشردّين المصابين والمتضررين والناجين من الموت، انقل بأمانة جزءاً يسيراً من هذه الأخبار التي هي واحدة من آلاف الحقائق.

انا لست مهتماً بترتيب الوقائع وحسن التعبير. لكنني سعيت إلى تدوين هذه المآسي وجمعها، لاسيما واني لست مثقفاً، وفن الكتابة لم اتقنه بعد (*) **حيث انني ما أزال تلميذاً في المعهد الكهنوتي في دير الزعفران مقر بطريركية أنطاكية السريانية.** ولّما أتجاوز الخامسة عشرة من سني حياتي.

لقد بدأت بكتابة هذه المذكرات في بداية عام ١٩١٥ حتى عام ١٩١٨ حيث أعيدت السيوف إلى أغمادها. وتوقفت المجازر والاضطهادات. وجفّ سيل الدماء، وولّى الجوع والوباء حيث فني وباد بسببها كثيرون من بقايا ومخلفات هذه المجازر. ولم ينجُ من الهلاك والموت إلاّ بعض الجائعين والعطاش والعراة. هؤلاء الذين ترى آثار الجراح وعلامات السيوف والبنادق على أجسادهم إذ ليس لهم من يهتم بهم ويداويهم ويعالجهم..

لم أدوّن هذه المذكرات لأجل أمور إدارية أو وشاية أو تذمر ... وكذلك لم أسعَ إلى أن أصوّر للعالم المتمدن، الوحشية الأكثر سوءاً وأشر وأرذل من ضواري الغابات. **لأني عارف كما يعرف كل إنسان، ان الزمان غدّار، ولا يخدم إلاّ الطغاة.** والعالم ظالم لا يشفق على الضعفاء. والعدالة غير آبهة ولا همَّ لها بمعاونة الشعب المهيَّض الجناحين والضعيف.

لقناعتي ان مدنية القرن العشرين تقتضي وتبغي هذه السياسة والممارسات حيث تفوق سيئاتها وشرورها كل خير وهي المدنية الزائفة والمزيَّفة ...

(*) هذا تواضع من المؤلف، فلغته السريانية تؤكد ضلوعه وتعمقه فيها منذ نعومة أظفاره وهذا ما جعلني أن أبقي مع هذه الترجمة النص الأصلي للمقدمة بالسريانية ليميّز القارئ ... (المترجم).

لكن ماذا نقول ؟ ... فليس لنا حمى إلا اللجوء إلى رحمة الله. والله، تقدس اسمه، لكثرة مراحمه وطول باله وأناته يقود المظلوم إلى اليأس وقطع الرجاء.

فأنا أصرّ، اني كتبت هذه المذّكرات لتكون صوتاً يرن في آذان الأجيال، حتى إذا تفتحت آذانهم، فحينئذ يسمعون تألّم وتنهد المظلومين والمغلوبين على امورهم. فتتجسد هذه الصور لأفكارهم وأنظارهم، فيتذكروا ويروا ويلمسوا معاناة الانسانية في مرائر هذا الشعب الشاهد لدينه وعقيدته والشهيد البريْ بسبب ايمانه ورسالته، والمعتدى عليه والمظلوم حقاً، وهو الذي لم يسئْ أبداً إلى قريب أو بعيد.

وهناك أجل هناك، تذرف البشرية دموع الأسى والندم على أمّة أعطت العالم حضارة وتاريخاً وإيماناً ومبادئ سامية وخالدة. وهذا هو دور هؤلاء الناجين من مظالم القساة وأضحوا بقايا السيوف ... فيعلنوا في مستقبل الأيام وبأجواء الحرية، ان آباءهم وأجدادهم ماتوا ظلماً وقضوا بسبب أحقاد هؤلاء الضواري.

أما أنا، فهذه المذكرات هي بالنسبة إليّ ذكرى ومذكّرة ثمينة، إذ كلما أطالعها وأقرأها، وأتأمل بمظالمها وقساوتها، تتجدد أحزاني وتنتفض آلامي ومضايقاتي، فأتنهد وأبكي بمرارة، الفواجع والتعذيب والضيقات والتعديات والآلام التي تحمَّلها آباؤنا واخوتنا وأبناء قومنا، وبالأكثر نمعن التفكير والنظر بأنواع الاجرام والعار حيث ابتذلت عفة أمهاتنا، وبأي فظاعة انتهكت بتولية أخواتنا.

وهكذا وبدون تردد اسكب دموع الألم والأسى وأتنهّد ملء أحاسيسي ومشاعري وأبث تنهدات تمزق نياط القلوب والكلى ... متأملاً أنواع الميتات والضيقات والآلام المريرة التي تحمَّلوها بدون ذنب وسُفكت دماؤهم الطاهرة.

أجل، كل هذه وأكثر بذلها آباؤنا وأهلنا حباً بذلك الدم الطهور الذي سفكه من أجلنا شهيد الجلجلة ربنا يسوع المسيح.

فإن عاد الزمن وارعوى وحكّم العقل، وبكّته ضميره بسبب هذه الأعمال الشريرة، وندم وفكّر بمراحم مجرّدة، بهؤلاء الناجين من هذا الطوفان الدموي. فيحوّل ضيقاتهم إلى انفراج، وعذاباتهم إلى راحة واخطارهم إلى أمن واستقرار، ويفتح أعينهم على نور الحياة والحرية، لعلهم بذلك يجدون في هذه المذكرات وهم يقرأونها ويطالعونها، فيصّوروا أمام أبصارهم وأعينهم هذه المشاهد المريرة والآلام القاسية والتباريح المخرّبة والمهينة التي ألّمت بآبائهم واخوتهم وأخواتهم، تحملوا كل هذا بدون تذمر ولا تأفف وبهدوء وهم صامتون يساقون مثل الخراف إلى الذبح.

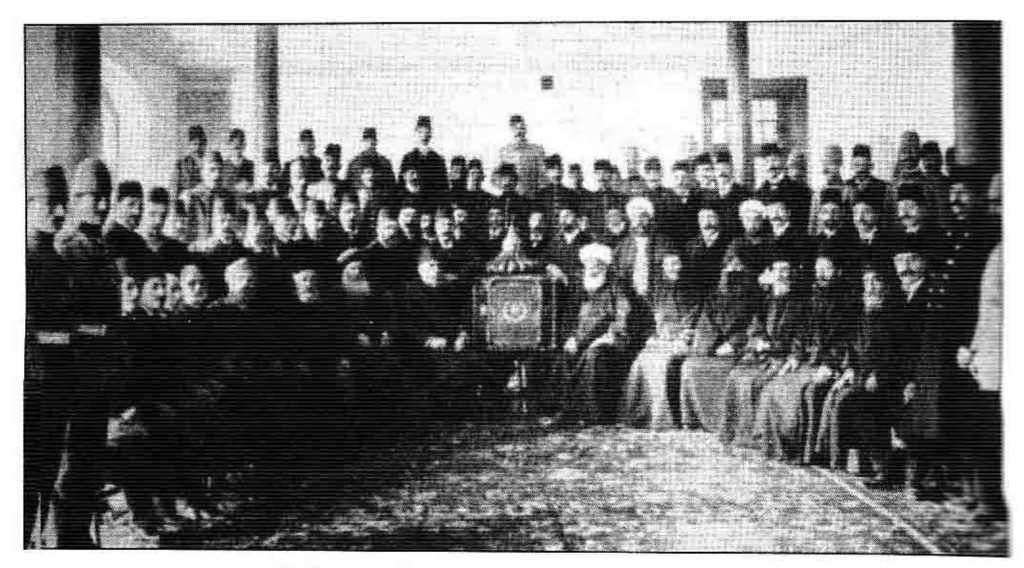
حين ذاك نعم حين ذاك، لعلهم يبعثون تنهدات ألم على ضحاياهم الأبرياء، ويترحمون على أرواحهم الطاهرة التي استشهدت وقضت وانتقلت على رجاء النعمة الإلهية التي لا تنسى صراخ المساكين والمظلومين.

دير الزعفران – ماردين

٥/٩/١٩١٨م

المؤلف

عبد المسيح قره‌باشي



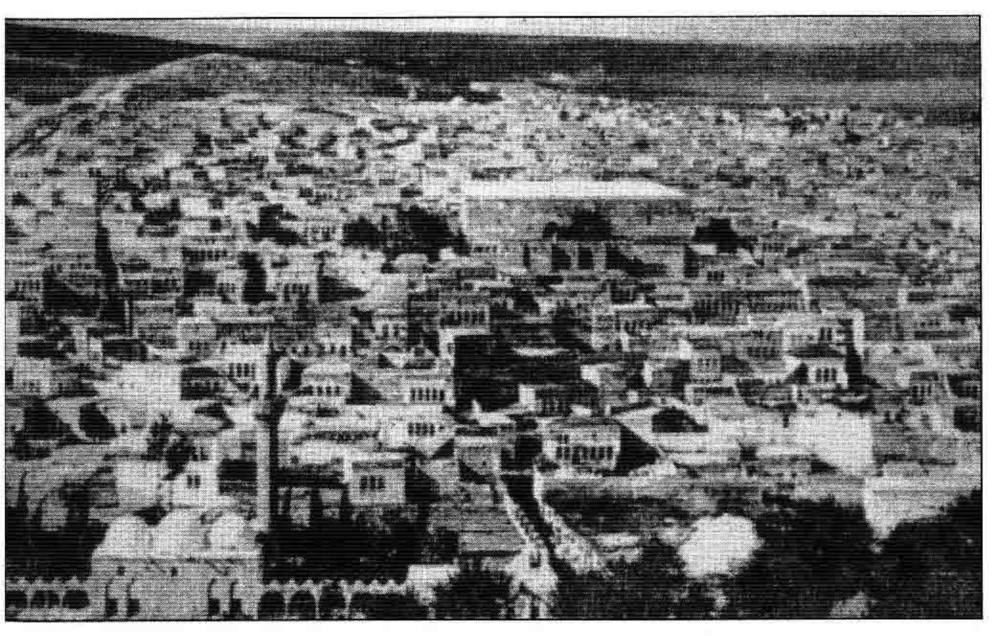
المجمع الانتخابي من ممثلي جميع الطوائف التركية



مدينة انطاكيه – نهر العاصي



منظر عام لمدينة أضنة



منظر عن قرب لبركة ابراهيم الخليل في الرها

الباب الأول

وفيه تسعة فصول

الفصل الأول :

ظهور المسيحية وانتشارها

قبل أن أشرع في كتابة الأحداث المؤسفة التي وقعت عام ١٨٩٥ وسنة ١٩١٥ أود أن أكتب باختصار عن تاريخ بداية المسيحية وانتشارها في بلاد المشرق ولاسيما في أرض الرافدين (ما بين النهرين) وازدهارها. ثم أتحدث عن الأحداث الأليمة والمصائب القاسية والطوارئ الظالمة التي ألّمت بالمسيحية جيلاً بعد أخر. لأعود وأدوّن ما استطعت أخبار هذه المآسي والاضطهادات المريرة التي تحملناها في عصرنا.

الإيمان المسيحي:

ظهر الإيمان المسيحي في أورشليم مدينة القدس أولاً، وهناك تردد صوت معلمنا الفادي ربنا يسوع المسيح. وفيها سُفك دمه الطاهر من أجل خلاص البشر وفدائهم. وفيها أيضاً حل الروح القدس على الرسل الأطهار القديسين، ومِلأهم قوة وحكمة، وطفقوا يكرزون ويبشرون ويتلمذون ويعمّدون اليهود وسواهم

ومن أورشليم انطلقت المسيحية إلى كل اليهودية والسامرة والجليل بواسطة الرسل والمبشرين، وهكذا ازداد عدد المؤمنين، وتأسست الكنائس في كل مدن فلسطين وفي بلدان ساحل البحر الأبيض المتوسط.

وهكذا شرع المبشرون من قيصرية وصور وصيدا وبيروت ونقلوا الكلمة إلى البلدان العليا الشمالية، التي منها دمشق وانطاكية وجذبوا كثيرين وهدوهم إلى حظيرة الإيمان المسيحي.

فدمشق، تكرمت وتشرفت بالعقيدة المسيحية بعد حلول الروح القدس على الرسل القديسين خلال أشهر قصيرة، وأرسل إليها **حنانيا المبشر** (البشير) ونادى بالإنجيل وهدى خلقاً كثيراً إلى الديانة المسيحية.

ولكثرة المنتسبين إلى هذا الإيمان المسيحي في دمشق، قام عام ٣٤م شاول الطرسوسي وبغيرة يهودية حاقدة مزوَّداً برسائل من رؤساء الكهنة ليضطهد المؤمنين هناك. وظهر له الرب في الطريق وهداه، وأرسله إلى البشير حنانيا في دمشق ليعلّمه سر هذا الإيمان.

وفوراً بعد تتلمذه بدأ يعلّم في المجامع عن الرب يسوع شارحاً لليهود خاصةً ومؤكداً ان هذا المسيح هو المسيا Massia المنتظر وهكذا تثبتت المسيحية وتعززت في دمشق وفي سائر مدن سورية ممتدة من ساحل البحر المتوسط إلى حلب ومنبج.

أما كنيسة **انطاكية** : فهي أقدم الكنائس المسيحية بعد كنيسة أورشليم. وهي المنبع الأول للاسم الشريف للمسيحية **وفيها دعي التلاميذ مسيحيين أولاً** (أعمال الرسل١١/٣٥) وهي أساس النصرانية في المشرق.

تأسست كنيسة انطاكية في عام 34 الاضطهاد الذي حدث برجم الشهيد مار اسطيفانوس حيث تبدد ولجأ بعضهم إلى انطاكية، وكانوا يكرزون بالمسيح ويدعون اليهود هناك إلى الإيمان المسيحي. وكان بينهم تلاميذ من قبرص ومن كورنثوس وكانت رسالتهم دعوة اليونانيين والأمم إلى هذه العقيدة السماوية.

ومكن هؤلاء المضطَهدون والمشتَّتون والمبدَّدون أن يهدوا كثيرين ويعمّدوهم. وعام ٣٧م قصد مار بطرس الرسول انطاكية لزيارة الاخوة المبشَّرين. وهناك نادى بالكلمة وعمّد كثيرين وأسس كرسيه الرسولي الذي هو بكر الكراسي الرسولية الكبرى، والذي تتسلسل منه قائمة بطاركة السريان المستقيمي الرأي (الأرثوذكس) منذ تأسيسه بواسطة مار بطرس هامة الرسل وحتى اليوم (*).

الفصل الثاني :

مسيحية الرها وبلاد ما بين النهرين

معظم بلاد ما بين النهرين ومادي وفارس كان لديها الاستعداد لاتبّاع الديانة المسيحية. وذلك قبل أن يرسل مار ادى البشير إلى الرها بحسب وعد ربنا يسوع المسيح. فعندما ولد ربنا يسوع المسيح في بيت لحم، زاره مجوس من المشرق والنجم يرشدهم. ولما وصلوا إلى بيت لحم قدّموا هداياهم **ذهباً ومراً ولباناً**.

(*) يومها (عام ١٩١٨) كان المثلث الرحمات مار اغناطيوس الياس الثالث شاكر بطريركاً على الكرسي الرسولي الأنطاكي السرياني الأرثوذكسي. (المترجم).

ومعروف أيضاً ان كثيرين من اليهود من سكان مادي وفارس وفرتو والبيني وما بين النهرين كانوا في أورشليم عام ٣٤ في عيد العنصرة (الخمسين) وعرفوا بحلول الروح القدس على الرسل القديسين وسمعوا خطاب بطرس الشهير، وشاهدوا الجموع التي آمنت واعتمدت ونقلوا هذه الأخبار العجيبة إلى بلادهم.

ومار توما الرسول، عندما توجه إلى الهند، مر ببلاد ما بين النهرين وبشر وتلمذ وعمّد كثيرين من الأقوام هناك وهو في طريق رسالته. وخاصة في الرها تلك المدينة السريانية التي كانت ام تلك المدن في ما بين النهرين **والعاصمة الصغيرة للملوك المدعوين (الأباجرة)** وكانت خاضعة للإمبراطورية الرومانية. إذ عندما سمع ملكها **أبجر الخامس المدعو اوكومو (الأسود)** أخبار ربنا يسوع المسيح والآيات والمعجزات التي كان يفعلها خلال تدبيره الخلاصي على الأرض، بعث رسلاً إلى أورشليم يسأله ان يزور مدينته ويشفيه من مرض الجذام (البرص) الذي كان أبجر مصاباً به موجهاً إليه رسالة خطية، هذا نصها:

رسالة الملك أبجر الخامس إلى السيد المسيح:

(من أبجر ܐܘܟܡܐ اوكومو (الأسود) ملك الرها إلى يسوع المسيح المخلّص الظاهر في أورشليم

سلام ...

سمعت عنك وعن الآيات والمعجزات والعجائب التي تفعلها بدون أدوية وعلاجات. لهذا أسألك أن تتكرم وتتحمل تعب زيارتي وتأتي وتشفيني من المرض الذي يؤلمني. وسمعت ان اليهود يتذمرون منك بل يريدون الإساءة إليك. وأنا ملك على مدينة صغيرة وجميلة وهي تكفينا وتستوعب كلينا).

وأعاني من مرض الجذام فتحضر لتشفيني من مرضي أو ترسل أحد تلاميذك لأنال الشفاء على يديه.

وزيادة في ايمانه أمر الوفد قائلاً: إذا لم يشأ يسوع ان يحضر معهم، فليجلبوا له صورة يسوع ليراه.

وعندما بلغ رسل أبجر أورشليم وسلّموا الرسالة إلى يسوع وقرأها. كتب إلى أبجر الجواب التالي:

(طوبى لمن آمن بي ولم يرني) ... اما انك تطلب ان آتي إليك وأراك، أعلمك انني يجب ان أكمّل كل شيء وأصعد إلى أبي الذي أرسلني. ومتى صعدت إلى السماء أرسل إليك واحداً من تلاميذي. الذي يشفيك من مرضك ويمنحك الصحة ويبارك مدينتك ولا يتسلط عليها غريب.

والرب يسوع العارف بالخفايا، طلب ماءً وغسل وجهه وأخذ منديلاً كأنه ينشف محيّاه وفوراً ارتسمت صورة وجهه على المنديل وسلّمه مع جوابه إلى رسل أبجر وعادوا إلى الرها.

لقد أتمّ **توما** وكمّل وعد ربنا. وأرسل أخاه **البشير مار أدى إلى الرها**. وشفى الملك من مرضه وأرشده إلى طريق الخلاص وعمّده مع حاشيته وعظماء مملكته وكان ذلك عام ٥٠م (*). ثم خرج **ادى** وشرع ينادي بحرية وبدالة كاملة في الرها معلماً وهادياً الناس إلى يسوع. ذهب إلى مدن وبلدات كثيرة في ما بين النهرين منها مدينة (دياربكر) (**ܐܡܕ**) آمد (*).

(*) حقيقة ان هذه الواقعة تمت عام ٣٤م أي بعد صعود الرب إلى السماء مع بداية انطلاق البشارة الخلاصية (المترجم).

(*) ܐܡܕ (آمد) كلمة سريانية معناها النجاة (المترجم).

وتجول في سهول دجلة الشرقية وفي حدياب (أربيل) وبازبدي (آزخ) والبلدان المجاورة ثم عاد إلى الرها حيث بنى كنيسة ومدرسة وصار أول أسقف للرها. وهناك جاور ربه وانتقل إلى الخدور السماوية.

وقد خلفه تلميذه مار آجي الذي كان قد أرسله إلى بلاد قردو وبازبدي ... وهكذا انتشرت المسيحية وتعززت في بلاد المشرق.

الفصل الثالث :

المسيحية في بلاد الحبشة (كوش)

وفي سنة ٣١٦ مرّ رجل يدعى هيروبيوس من صور بشواطئ بلاد الحبشة ومعه الأخوان الشابان **ايديقوس وفرومنتوس**. فهجم الأحباش على السفينة التي كانت تنقلهم وقتلوا من فيها ما عدا هذين الشابين وحملوهما وقدّموهما هدية إلى ملكهم. أما الملك فعيَّن فرومنتوس أميناً لسره. وساعة موته أمره أن يهتم بتربية ابنه ولي عهده الذي كان صغيراً وقاصراً.

أما الأخوان ايديقوس وفرومنتوس فأخذا يبشران بالديانة المسيحية في بلاد الحبشة. وبعد مدة عاد ايديقوس إلى صور حيث رُسم كاهناً. أما فرومنتوس فذهب إلى الاسكندرية خفيةً وقابل مار أثناسيوس الرسولي حاملاً إلى قداسته بشرى اعداد بلاد الحبشة لقبول الديانة المسيحية، والتمس ان يرسل مار أثناسيوس أسقفاً وكهنة إلى الحبشة.

سمع مار أثناسيوس هذه البشارة السارة وقال، من يستحق هذه البركة والنعمة أكثر من الذي بشَّرهم ودعاهم إلى يسوع المخلص وهداهم إلى حظيرته المقدسة.

فرسم فرومنتوس اسقفاً حوالي عام ٣٤١. وأعاده إلى الحبشة. فاستقبل بترحاب وكرامة عظمى من قِبل الملك والأحباش عامة. فآمنوا وتتلمذوا وصارت الحبشة مملكة مسيحية إلى يومنا (*).

الفصل الرابع :

المسيحية في بلاد الايباريين (اسبانيا)

في النصف الأول من القرن الرابع. كانت هناك فتاة تدعى (نينا)، وصلت الى عاصمة الايباريين. وانضمت إلى خدمة (ميديان) ملك تلك المنطقة. وحدث أنه مرض ابن الملك. فصلّت **نينا** واستعطفت الله من أجله فشفاه الله. وكذلك صلّت من أجل الملكة فشفاها الله. ولما سئلت **نينا** ما سبب استجابة الله لها وما هو دينها وإيمانها، فأجابت انها مسيحية وبقوة الرب يسوع تم هذا الشفاء وصارت الأعجوبة.

هذه البشارة بل هذه الكلمات والتعاليم أبهجت الملك وأسعدته. فأحب المسيحية. وجهته **نينا** وطلبت منه أن يستدعي كهنة من مملكة الرومان (*).

(*) عام ١٩٦٨ تحولت إمبراطورية الحبشة (اثيوبيا) إلى جمهورية و لم تبق مملكة مسيحية صرفة لكن ما تزال الغالبية من المسيحيين ومعظمهم من مؤمني الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية علماً ان سفر أعمال الرسل يذكر ان فيليبس الرسول نقل البشارة إلى الحبشة في صدر المسيحية (المترجم).

(*) العالم كان منقسماً بين مملكتين عظيمتين هي الرومانية والفارسية.. لهذا طلب من بلاد الرومان الذين قبلوا المسيحية وانتشرت هذه الديانة في معظم أرجائها وكانت أقرب إلى بلاد الايباريين. وقد صارت ديانة الإمبراطورية الرسمية عام ٣١٣ بواسطة الإمبراطور قسطنطين الكبير (المترجم).

وكتب إلى الإمبراطور قسطنطين الذي أرسل إليه رسلاً وكهنة. وهدوا وأرشدوا الايياريين (الاسبان) إلى الديانة المسيحية وعمّد الملك والشعب. وهكذا صارت ايبريا (اسبانيا) مملكة مسيحية.

الفصل الخامس :

المسيحية في بلاد سبأ (اليمن)

في أواسط القرن الرابع. ذهب بعض المبشّرين المسيحيين إلى بلاد سبأ. وبشّروهم وهدوهم إلى الديانة المسيحية. وفي هذه الفترة ازدهرت المسيحية في **بلاد الحيرة وجنوب الفرات** امتداداً لبشارة أدى البشير وتلميذه آجي. وقد بثوا هناك الكنائس وأسسوا المدارس. ونبغ منهم أساقفة قديسون وعلماء كبار رفعوا شأن المسيحية عالياً.

وقد ازدهرت المسيحية أكثر بسبب انتشار الرهبنة في بلاد المشرق. وتأسست الأديرة الكثيرة. واشتهرت بالعلوم والمعارف. وتحطمت معابد الأصنام وقامت على أنقاضها كنائس المسيح.

يؤكد المؤرخون الكنسيون أن المسيحية انتشرت في معظم بلاد المشرق وخاصة في بيت نهرين وأرض الرافدين وازدهرت في القرن الثاني الميلادي.

يقول العلاّمة السرياني الكبير برديصان المتوفى عام ٢٢٢م في كتابه النفيس (ܢܡܘܣܐ ܕܐܬܪܘܬܐ شرائع البلدان) :

ماذا نقول عن امتنا المسيحية الجديدة التي أسسها وأنشأها ربنا يسوع المسيح في العالم كله. وقد انتشرت وتعززت خاصة في بلاد الفرات وفارس ومادي والرها. ويؤكد هذا الخبر العلاّمة ترتلياس بقوله :

" لقد آمن بالمسيح جميع شعوب الفرات ومادي وفارس وعيلام وما بين النهرين الذين احتضنوا المسيحية وسبقوا المصريين الذين انضموا هم أيضاً إلى صف المؤمنين بالمسيح. وانتشرت كذلك في ولايات الرومان حيث نقلها الرسل القديسون. **وكان مار مرقس البشير هادياً للمصريين. ومار بطرس وبولس مرشدين رومية بعد أن بشّرا دمشق وانطاكيا. أما كرسي الإسكندرية فقد تأسس عام ٦١م وكرسي روما عام ٦٨م** " (*).

الفصل السادس :

الضيقات والاضطهادات التي أثارها اليهود على المسيحية عبر الأجيال

كل من يتأمل ويمعن النظر ملياً ويتعمق في تاريخ الديانة المسيحية، ويتمعَّن في الدم الزكي الطاهر الذي سفكه ربها ورئيسها السيد المسيح على قمة الجلجلة من أجل تثبيتها. وحتى اليوم، يرى ان طريق المسيحية وحياة المسيحيين مضرّجة بالدماء التي يبذلها المؤمنون والتابعون لهذا الفادي العظيم.

وكذلك فإن الشهادة والقتل والاضطهاد والعذابات على أنواعها هي من علامات هذه الديانة السماوية. الأمور التي لا يستطيع ان يتحملها ويصبر عليها، إلا الذين قد افتدوا بدم يسوع الحبيب، ونالوا منه القوة والشجاعة وحسن الثبات.

(*) تصحيح عام ٦٧ حيث استشهد مار بطرس وبولس في روما (المترجم).

فقيامة المسيح من بين الاموات التي صارت سبب عار وخجل وانكسار لليهود. فامتلأ رؤساء كهنتهم والقيّمون على رعايتهم وإدارتهم، حقداً وحسداً، هؤلاء نفثوا سمومهم وغضبهم وحقدهم ومرارة قلوبهم على الرسل والمؤمنين به. إذ أثاروا عليهم الاضطهادات وأنواع الضيقات والمضايقات القاسية قاصدين إبادتهم.

وبعد حلول الروح القدس على التلاميذ القديسين. رأى اليهود ان كثيرين من شعبهم يؤمنون بالمسيح. فألقوا الأيدي على الرسل وساقوهم إلى السجون، وملاك الرب فتح لهم أبواب السجن وأخرج الرسل من معتقلاتهم، وهو يشجعهم أن يعلنوا كلمة الحياة ويعلموا الشعب.

وسنة ٣٤ بعد ان اختار الرسل الشمامسة السبعة لمساعدتهم ومساندتهم في الخدمة. عاين اليهود ان عدد المسيحيين يزداد يوماً بعد يوم، من شعبهم وكهنتهم.

اتقد رؤساؤهم غيرة وبغضاء وغضباً فاجتمعوا وحكموا على **مار اسطفانوس رئيس الشمامسة** بالموت رجماً بالحجارة. وأثاروا اضطهاداً قاسياً ومريراً على المسيحيين في أورشليم. وبسبب هذا الاضطهاد، تشتت المسيحيون وانتشروا في كل اليهودية والسامرة، أما الرسل الذين بقوا وصمدوا في أورشليم فكان صمودهم حباً بالشهادة والاستشهاد.

وعام ٤٣ أثار اليهود اضطهاداً قاسياً على الكنيسة وقتلوا كثيرين من المؤمنين. **وبهذا الاضطهاد، قتل الملك هيرودس أغريباس الرسول مار يعقوب ابن زبدي وسجن بطرس لكي يرضي اليهود.**

كان اليهود يهددون الرسل ويراقبون الرسول بولس ويتعقبونه بحقد وكراهية وقد أقسموا ونذروا وحرّموا على أنفسهم أن يأكلوا ويشربوا، ما لم يقتلوه ويبيدوه.

والله – تقدس اسمه – كان ينجّيه من كل المكائد والأفخاخ والمؤامرات التي كانوا يدبّرونها له. وقد عسر عليهم ولم يتمكنوا من إلقاء القبض عليه. فصبّوا جام غيظهم وشفوا غليلهم ونفّذوا أحقادهم بقتل **مار يعقوب أخي الرب أول أسقف لأورشليم**. الذي ألقوه من جناح الهيكل ورجموه وحطّموا رأسه بمرزبة فصار (بمطرقة ثقيلة) وفاضت روحه عام ٥١م (*).

بسبب هذه الاضطهادات المريرة القاسية، كاد اليهود أن يبيدوا المسيحيين، لو لم يحفظهم الله ويفتقدهم في الوقت المناسب، منجّياً إياهم من غضب وحقد هذه الأمة القاسية القلب وغير الرحيمة، وقد حلت عليهم اللعنة بخراب أورشليم بواسطة القيصر تيطس بن وسبيانس عام ٧٠م. وقد مات منهم ستمئة ألف نفس بسبب الجوع. ما عدا الذين ماتوا وقضوا في الآبار وبرك الماء وفي الطرقات لعدم وجود من يدفن جثثهم. ومات بحد السيوف ألوف مؤلّفة لا يقدّر لها عدد. وسُبي منهم خلق كثير يقدّر بمئة ألف إنسان. والقلة الباقية التي نجت من السيوف، استعبدها المحتلون وصاروا عبيداً للأمم وتشتتوا في أنحاء المعمورة.

وهكذا تحولت أورشليم إلى تلال خربة، وتمت بها نبوات الأنبياء، بل نبوة رب الأنبياء سيدنا يسوع المسيح القائل:

(سيهدمونك وأولادك فيك، لن يتركوا فيك حجراً على حجر).

(*) تصحيح عام ٦١. (المترجم).

أما المسيحيون القليلو العدد الذين كانوا في أورشليم عندما رأوا علامة الخراب، عرفوا ان أورشليم سوف تهدم، بحسب كلمة الرب يسوع، فغادروا المدينة قبل سقوطها ولجأوا إلى قرية قريبة تدعى (بلاّ) تقع على الجهة الشمالية من نهر الأردن. وكانوا يقتاتون بزهد وتقتير بما كان لديهم من مؤونة وطعام. وبقيت اليهودية وما تزال تناصب المسيحية والمسيحيين هذا العداء.

الفصل السابع :

اضطهادات الرومان للكنيسة المسيحية

لم تتحمل المسيحية الاضطهادات من اليهود فحسب، بل كان شأنها هكذا مع الوثنية، لقد تحملت اضطهادات عديدة ومتنوعة محلياً وإقليمياً وعمومياً.

أما الاضطهادات الأقسى والأشد مرارة، فكانت الاضطهادات العشرة التي أثارها المملكة الرومانية في القرون الثلاثة الأولى وبداية القرن الرابع.

إن أسباب هذه الاضطهاذات تصنّف على النحو التالي:

- اضطهادات خاصة وشخصية.
- اضطهادات إدارية واجتماعية وسياسية.

الاضطهادات الخاصة الشخصية :

أ – سوء أخلاق الوثنيين، لكونهم مخالفين ومضادين لتعاليم الديانة المسيحية، التي تحث على حسن الأخلاق واستقامة السيرة وسائر الفضائل.

ب – المصالح الشخصية لكهان الهيكل وخدامه وصانعي الأوثان والتماثيل والمتاجرين بهذه السلع، الذين اضرّت بهم المسيحية بانتشارها فخسروا كثيراً من وارداتهم ومصادر حياتهم. هؤلاء اخذوا يفسدون المجتمع ويثيرون الخصومات على المسيحيين من أجل إبادتهم.

الأسباب السياسة :

أ – خوف الملوك الوثنيين وعظماء المملكة من الانشقاقات والانقسامات في الوحدة الوطنية، بسبب اختلاف المذاهب والأديان.

ب – عدم خضوع المسيحيين لأوامر القياصرة القاسية حيث كانوا يجبرون الشعوب ان يخضعوا لهم كالآلهة. إذ يستحيل على المسيحية ان تذعن لنظام كهذا، وتسجد لإله غير الله. ومن هنا كان القياصرة يتّقدون غيظاً على المسيحيين وكانوا يأمرون باضطهادهم وقتلهم.

ج – تجارة العبيد (الرق) التي كانت منتشرة يومئذ في العالم كله. والديانة المسيحية تحرّم وترفض هذه التجارة. إذ تعلّم ان جميع البشر متساوون عند الله. وكل إنسان يحق له ان ينادي الله ويدعوه (أبانا).

الاضهاد الأول :

سنة ٦٤–٦٨م

أثار الاضطهاد الأول نيرون القيصر الطاغية عام ٦٤ وأمر بحرق مدينة روما، ولكرهه للمسيحيين، ولعلّ ذلك كان بمشورة اليهود الأشرار الذين كانوا من أتباعه ،تهم المسيحيين بهذا الحريق. فأمر باضطهادهم وإبادتهم.

وتفنن المضطهدون في تعذيب المسيحيين وقتلهم. فكانوا يلفون المسيحيين بجلود الحيوانات ويلقونهم للكلاب، ويصلبون آخرين ويطلون بالزيت أجسام آخرين ويوقدونهم بالنار ليضيئوا في الليل. ولم يدع وسيلة إلاّ واستعملها في تعذيب المسيحيين وقتلهم. وقد استشهد كثيرون وفي مقدمتهم هامتا الرسل مار بطرس وبولس عام ٦٧ إذ استشهد بطرس منكس الرأس مصلوباً، وقطع رأس بولس بحد السيف ولم يتوقف الاضطهاد حتى هلاك نيرون عام ٦٨.

الاضطهاد الثاني :

سنة ٩٥-٩٦م

أثار الاضطهاد الثاني القيصر دومطيانوس بن وسبيانوس وشقيق تيطس الذي هدم أورشليم عام ٧٠م.

وكان هذا الاضطهاد لأن المسيحيين رفضوا ان ينادوا بالقيصر إلهاً [*]. فأمر بقتلهم واستشهد خلق كثير. وبهذا الاضطهاد استشهد مار ديونيسيوس الأريوفاغي اسقف اثينا، والقديس انتيبوس والقديسة برياتي، وألقي القديس مار يوحنا الرسول في خلقين (دست) مملوء بزيت مغلي ولم يصبه أذى فخرج بقوة الله سالماً ولم تحترق منه شعرة. فنفاه إلى جزيرة بطمس [*].

---

[*] ولخوفه على مملكته من المسيحيين الذين انتشروا بقوة في المملكة الرومانية ... وبعد كل شروره وإساءاته إلى المسيحيين، وسماعه منهم رسالتهم بأن مملكة المسيح ليست من هذا العالم، تراجع عن الاضطهاد وهلك غير مأسوف عليه. (المترجم).

[*] يوحنا الرسول الإنجيلي هو الوحيد بين رسل الرب يسوع الذي لم يستشهد بل مات موتاً طبيعياً. وجزيرة بطمس هي إحدى جزر اليونان النائية وهناك كتب سفر الرؤيا آخر أسفار العهد الجديد بل الكتاب المقدس. (المترجم).

مات دومطيانوس عام ٩٦ وسلمت الكنيسة وخفّ الاضطهاد.

الاضطهاد الثالث :

سنة ١٠٠-١٠٧م

أثار الاضطهاد الثالث القيصر طريانوس (تراجان) لشعوره ان الشعب المسيحي هو عدو للحضارة الرومانية. فأمر بقتل المسيحيين واضطهادهم، وهو يقصد ان يكمّل الناقص من آلام المسيح.

فصلب مار سمعان أسقف أورشليم عام ١٠٦ وأحرق بالنار القديس الشهيد مار فوقا سنة ١٠٤ وجزّ بالمنشار عنق مار شربل الشهيد واخته بيبي في الرها عام ١٠٥ وألقى مار اغناطيوس النوراني الأنطاكي ثالث بطاركة أنطاكية للأسود فافترسته وفاضت روحه الطاهرة في روما عام ١٠٧.

وازدادت الاضطهادات وتتابعت بدون انقطاع. إذ تبرد حيناً وتشتد وتقسو أحياناً.

الاضطهاد الرابع :

سنة ١٢٤م

أثار هذا الاضطهاد القيصر ادريانوس، وكان سبب هذا الاضطهاد ان لوسيانوس غرايناس موفد القيصر إلى اسيا كتب إلى القيصر ادريانوس قائلاً:

ان الرومان يقتلون ويعذّبون أتباع المسيح (المسيحيين). وكان فكره ان يشي بتصرفات الرومان ضد المسيحيين.

أما القيصر ادريانوس فأجاب بدون تفكير ولا تمعّن قائلاً: يجب ان يعاقب كل من يخالف قوانين المملكة، واعتبر ان المسيحيين يخالفون هذه القوانين، لهذا يجب ان تطبّق القوانين بحقهم. فأثار ادريانوس اضطهاداً قاسياً وعنيفاً على المسيحيين، حيث استشهد آباء عظام واساقفة ومؤمنون بدون عدد.

وعام ١٣٤ عاد ادريانوس واضطهد البقية الباقية من اليهود وقضى على ما تبقّى من اورشليم هادماً بيوتها ومدّمراً كل معالمها. وأمر ببنائها من جديد ودعاها (ايليا كابيتولينا Elia Capitolina)، وبنى فيها معبداً وثنياً على اسم الإله (زيوس) على أنقاض هيكل سليمان. وبنى معبداً للإله (ادونيس) قرب مغارة بيت لحم، وطمر بالتراب بوّابة القبر المقدس والجلجلة، وبنى عليهما معبداً للآلهة (افروديت وعشتار)، ولم يهدأ هذا الاضطهاد حتى هلاك ادريانوس وخلفه القيصر انطونينوس بيوس عام ١٣٨م.

الاضطهاد الخامس :

سنة ١٦٢-١٧٧م

بدأ الاضطهاد الخامس في عهد القيصر مرقس اوراليوس الفيلسوف عام ١٦٢. وقعت اضطرابات كبيرة ومجاعات وزلازل مؤلمة. وأصيب القيصر بمرض عضال، وبمشورة بعض الأردياء والأشرار، ارتأى القيصر مفسّراً ان هذه التجارب حدثت بعلة خطايا المسيحيين وذنوبهم.

لذلك قرر انزال أقسى العقوبات بالمسيحيين عام ١٦٦ وخاصة في بلاد اسيا الصغرى.

ذاق المسيحيون مرائر لا توصف ويصعب على العقل البشري ان يعبّر عنها، فكانوا يعذّبون المسيحيين بأنواع وطرق شتى، فمنهم يجلدوهم بالسياط، وبعضهم يشجون رؤوسهم بالحجارة، وغيرهم يلقوهم في النار أو يُعملون السيوف في أعناقهم ورقابهم او يجعلوهم يسيرون على سكك حديدية حامية فتخدش أقدامهم وتحرقها وهكذا دواليك ... **أين عدالة السماء ؟.**

ومن شهداء هذا الاضطهاد كان مار يوسطينوس النابلسي الفيلسوف الشهير الشهيد عام (١٦٧م +) في رومية. واستشهد آخرون كثيرون.

وعام ١٧٧ تجدد الاضطهاد في مدينة ليون من بلاد الغال (فرنسا)، حيث استشهد فوتيوس أول أساقفة ليون مع كهنة كثيرين وشعب غفير. وبعد ان أحرقوا أجسادهم ذرّوا رمادها في نهر روين (الرين).

الاضطهاد السادس :

سنة **٢٠٢-٢١١م**

ثار الاضطهاد السادس في عهد سبتيموس سويروس قيصر. لقد بدأ عهده بالإحسان إلى المسيحيين. وعهد إلى كثيرين منهم مسؤوليات ومهمات في البلاط والمملكة الاّ انه عندما رأى ان المسيحيين يزداد عددهم ويتقدمون في المراتب والوظائف وخاصة في تنظيمهم الكنسي وقد تجمعوا بعد شتات، فانقلب القيصر عليهم وأصدر أوامره بمنع أي مواطن في المملكة ان يبدّل ديانة آبائه ويتبع الدين المسيحي أو اليهودي.

ومن يبدّل دينه موتاً يموت.

عام ٢٠٢ بدأ باضطهاد المسيحيين إذ أجبرهم ان يسجدوا للأصنام ويأكلوا ذبائح الأوثان، والذي يرفض هذا القرار يسام بأنواع العذاب وبدون رحمة. وقد عانت الإسكندرية خاصة ما لا يستوعبه العقل أو يدركه، فاستشهد مؤمنون كثيرون لا يحصى عددهم، وهدمت الكنائس.

وفي هذا الاضطهاد استشهد حرقاً العلاّمة اثينوجيتوس والجندي الباسل باسيليدوس مع لاونيدوس والد العلاّمة اوريجانوس. وامتد الاضطهاد في أرجاء آسيا وأفريقيا وبلاد فروجية حيث سقط كثيرون شهداء.

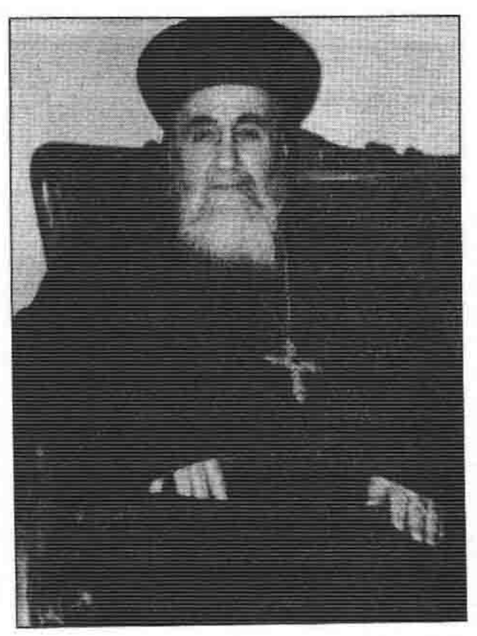
هدأ الاضطهاد السادس عام ٢١١ بعد هلاك هذا الطاغية القيصر سبتيموس. وكان المسيحيون في رومية حتى هذا التاريخ، يمارسون عباداتهم وصلواتهم في المغاور وثغور الأرض والأبنية والمقابر سراً وفي عتمة الليل والظلام.

الاضطهاد السابع :

سنة ٢٣٥– ٢٣٨م

عندما قتل مكسيموس الطاغية القيصر الكسندروس الشاب الهادئ والوديع والمحب للمسيحيين وحلّ محله. رأى ان المسيحيين قد كثر عددهم. وحيث ان القيصر الكسندروس كان يحبهم، لهذا قرر مكسيموس ان يقتل آباء الكنيسة وعلماءها، خاصة هؤلاء الذين اعتبرهم من جماعة الكسندروس.

ثم امتد الاضطهاد ليشمل المؤمنين المسيحيين أيضاً. فأحرق الكنائس وأمر بنهب أموالهم وممتلكاتهم. ومن أشهر شهداء هذا الاضطهاد القديس بونطيانوس أسقف روما والقديس هيبوليطوس. إذ نفاهما القيصر إلى جزيرة (سردينيا) التي كانت مصابة بالوباء والطاعون. وهناك فاضت روحهما الطاهرة.



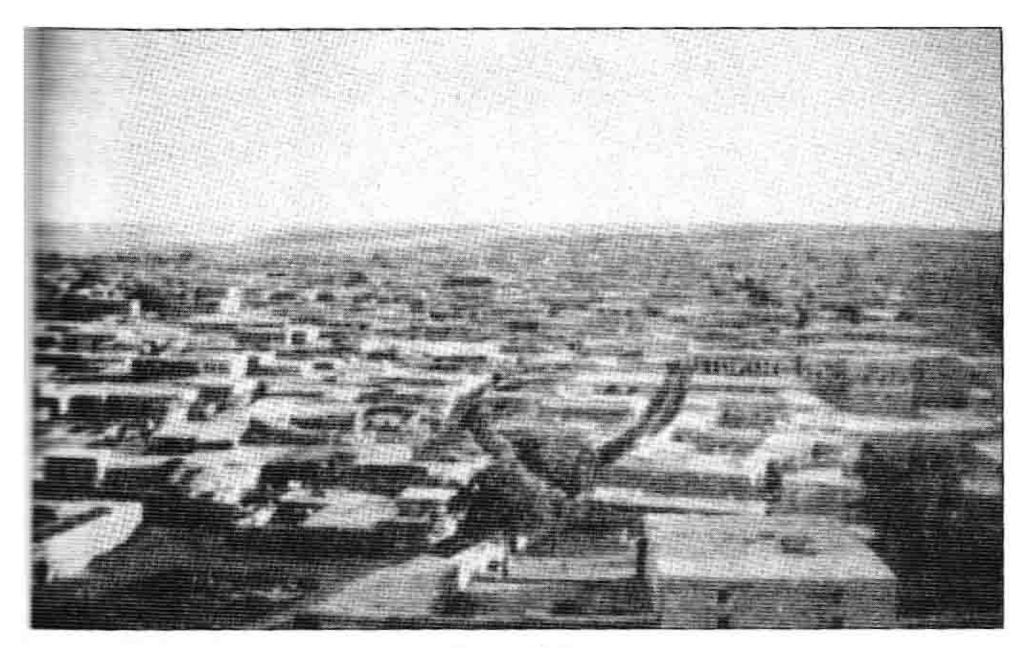
المثلث الرحمات المطران يوحنا دولباني



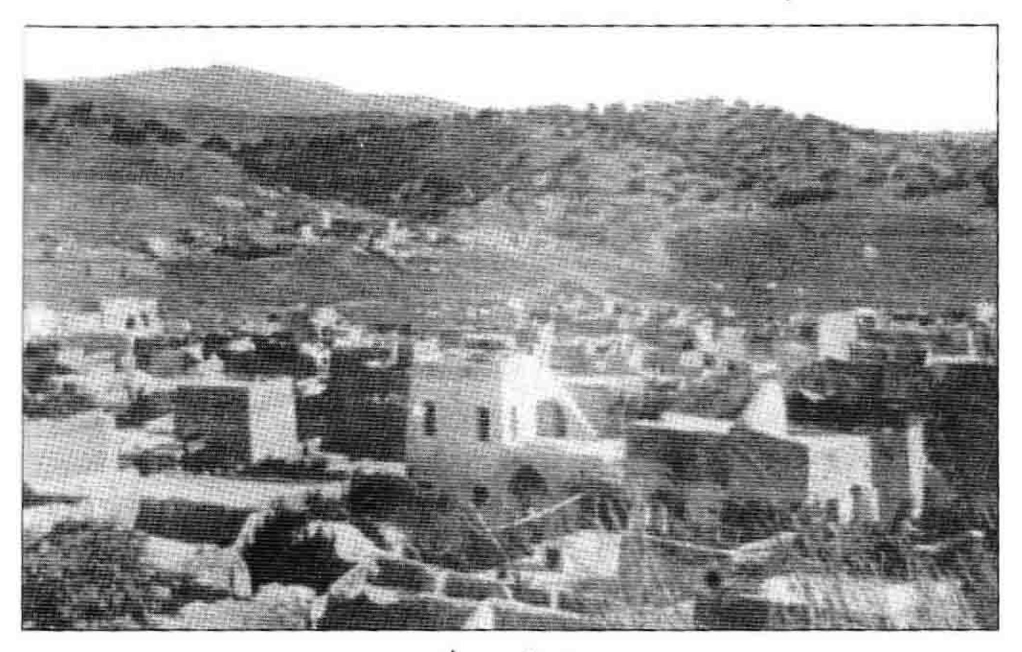
الصحافي الشهيد اشور يوسف



ملفونو نعوم فائق



مدينة سعرت



مدينة سويرك

الاضطهاد الثامن :

سنة ٢٥٠-٢٥١م

أثار الاضطهاد الثامن الطاغية داقيوس قيصر المبغض للمسيحيين. ففي عام ٢٥٠ أمر القيصر ان تسفك دماء جميع المسيحيين.

ومن هنا اشتد الاضطهاد ونظمت أنواع التعذيبات المريرة، وتنوعت وسائل الاضطهاد. فقتلوا بعضاً في السجون، وألقوا آخرين في الزفت المغلي، وأبادوا غيرهم بسكك حديدية حادة وحامية، وطرحوا كثيرين للأسود المفترسة والضواري.

وعلى الرغم من قصر مدة هذا الاضطهاد، كان مريراً وقاسياً جداً وكان منتشراً في أوروبا وأفريقيا واليونان وآسيا الصغرى وبلاد البنطس. واستشهد فيه مؤمنون كثيرون لا يحصيهم عدد.

ومن شهداء الاضطهاد الثامن القديس خابنيوس أسقف روما. والشيخ نوقور مار الكسندروس أسقف أورشليم. والمتقد غيرة رسولية القديس مار بابولا بطريرك أنطاكية. والمعلم الشهيد والملفان الكبير مار ديونيسيوس بطريرك الإسكندرية. وامبيون كاهن (سميرنا) القديس ومار قوريللوس أسقف تكريت. واعتقل وألقي في السجن العلاّمة الكبير اوريجانس.

والجدير ذكره، ان الشباب (الفتية) الثمانية من افسس هربوا ولجأوا إلى مغارة قريبة من المدينة وهؤلاء يعرفون بــ (أهل الكهف). وعلم القيصر خبرهم، فأمر ان يغلق عليهم الكهف فسدوا فوهته ومدخله. فألقى الله عليهم نوماً طويلاً فناموا لمدة مئة وثمانين سنة. واستيقظوا من نومهم في أيام القيصر تيودوسيوس الصغير.

الاضطهاد التاسع :

سنة ٢٥٧-٢٥٩م

ثار الاضطهاد التاسع في عهد القيصر فاليريان، بتوجيه مستشاره الشرير مرقيان الذي خدعه ليصدر أمرين جازمين جائرين.

الأول : حظر على المسيحيين ان يجتمعوا في المقابر أو مغاور الأرض للصلاة. وأمر كل الطغمة الكهنوتية ان تضحّي للأوثان. وإذا رفضوا يكون مصيرهم النفي.

أما **الأمر الثاني** : قضى ان تؤخذ وتصادر أموال المسيحيين المنقولة وغير المنقولة لاسيما هؤلاء الذي كانوا يعملون في البلاط وفي أجهزة الدولة. وبالتالي يجب ان يسلّموا إلى العذاب والاضطهاد، ورؤساء الدين يحكم عليهم بالقتل.

وعامة الشعب يتركون وشأهم ليختاروا عبادة الأصنام بأنفسهم. لشعوره إذا أباد رجال الدين والمرشدين واحتلّ كنائسهم وحجز ممتلكاتهم، ستقع الفوضى في صفوف الشعب ويعودون إلى الوثنية.

وفي هذا الاضطهاد نُفي القديس مار قبريانوس مطران قرطاجنة، وحكم بالأشغال الشاقة على أساقفة مع الكهنة والشمامسة والشعب الغفير ووسموهم على جبينهم بحديد يميزّهم عن الآخرين، وجزّوا نصف شعور رؤوسهم، لتتسنى معرفتهم إن حاولوا الهرب.

وانتقم الله من فاليريان في أيامه الأخيرة، فتوالت عليه الحروب، واعتقله الملك شابور الأول الفارسي وأسره حتى موته عام ٢٦٢، حيث سلخه وصبغ جلده بلون أحمر وصبّه في سور أحد هياكله ليقضي تعيساً شقياً.

وامتد هذا الاضطهاد حتى أيام القيصرين جاليان وكلوديوس، إذ كان هذا الاضطهاد يهدأ حيناً ويشتد أحياناً حتى عام ٢٧٥م حيث هلك اورليان قيصر وهو الذي احتلّ مملكة تدمر، واعتقل ملكتها الشهيرة زنوبيا (الزباء) ونفاها إلى روما وهي مقيّدة بيديها بسلاسل من ذهب.

الاضطهاد العاشر :

سنة ٣٠٣-٣١٣م

يعتبر الاضطهاد العاشر الأشرس والأكبر والأقسى والأكثر مرارة من سائر الاضطهادات التي أثيرت على المسيحيين، لطول مدته ولأنواع التعاذيب ولكثرة شهدائه.

ففي عام ٣٠٣ استصدر الملك غاليريوس الطاغية من القيصر ديوقلطيانس أربعة قرارات تقضي بهدم كنائس المسيحيين وحرق بيوت القديسين ومصادرة أملاكهم وقتلهم جميعاً بدون استثناء إن لم يعودوا إلى الوثنية.

كان موقف الموظفين الكبار والمسؤولين في المملكة من المسيحيين انهم يفضلون الموت ويرفضون الخضوع لهذه الأوامر الجائرة، والعودة إلى الوثنية.

فاستباح القيصر وأعوانه دماء المسيحيين وطفقوا يهدمون كنائسهم ويعبثون بكل مقتنياتهم بدون رحمة ولا شفقة.

وصادروا كتبهم المقدسة وكتابات عباداتهم وطقوسهم وأتلفوها وأحرقوها كمحاولة يائسة لإجبارهم على الوثنية وعبادة الأصنام. **واستبسل المسيحيون بصمود منقطع النظير**، وبإقدام وإقبال على الشهادة والاستشهاد.

ولم يشذ عن هذا الموقف إلا قلة مترددة وخائبة، خشيت الموت والاضطهـــاد ... هلكت مع المضطّهدين واستحقت عقاب الدينونة.

وانتشر الاضطهاد العاشر وكان يزداد قسوة يوماً بعد يوم، إذ استنبط الطغاة طرقاً ووسائل قاسية في تعذيب المسيحيين لحملهم على إنكار المسيح وديانته. هؤلاء الظالمون لم يحصدوا من محاولاتهم اليائسة إلا الخسارة والعار.

ففي بلاد ما بين النهرين كانوا يصلبون المؤمنين منكسي الرؤوس. وفي سورية كانوا يشووهم بالنار. وفي بلاد البنطس كانوا يضعون تحت أظافرهم مسامير حديد محمَّاة ثم يذيبون فيها رصاصاً مغلياً. وفي مصر كانوا يسلخون جلودهم ثم يلقون عليها الخزف ويشجّون ما تبقى من عظام. وبفروديا أحرقوا المدينة عن بكرة أبيها وقتلوا كل سكانها لأنهم لم يجدوا أحداً يتبع الوثنية. وفي بعض البلاد كانوا يكحلون العين اليمنى لكل مؤمن ويقطعون ساقه اليسرى. وفي أمكنة أخرى كانوا يربطون أرجل المسيحيين بأغصان الأشجار ويشدونها يمنىً ويسرىً. ولم يدعوا وسيلة بشرية شيطانية مهلكة إلاّ واستعملوها.

وبنعمة الرب لم يغلبوا الكنيسة بل انتصرت المسيحية، وحفظ الناصري المصلوب كنيسته وشعبه ولم تؤثر فيهم أنواع الاضطهاد.

استمر هذا النوع من العذاب حتى عام ٣٠٦ حيث هلك ديوقلطيانس. وملك مكسيميانوس في الشرق وهو ابن عشرين عاماً.

وهذا زاد في حدة الاضطهاد إذ تابع ما فعله أسلافه في قتل المسيحيين ومحاولة إبادتهم حتى عام ٣١٣م (*).

(*) وفي هذا الاضطهاد العاشر شاع المثل القائل: **دماء الشهداء بذار الإيمان**. (المترجم).

عام ٣١٣ ظهر الملك قسطنطين الكبير الذي آمن بالمسيح (*) ورفع شأن الكنيسة عالياً **وأصدر مرسومه الشهير (مرسوم ميلان) عام ٣١٣ بمنح المسيحيين حرية العبادة واعتبار المسيحية ديناً رسمياً للإمبراطورية الرومانية.** ونادى بنفسه حامياً للإيمان المسيحي وللمسيحيين حيث وجدوا. وبدأ ينشر المسيحية ويعززها ببناء الكنائس والعطايا والمواهب التي كان يغدقها على المؤمنين. وأعفى الاكليروس من الجزية والضرائب، بل خصص لهم رواتب ومصادر عيش، وأدخل المسيحيين في خدمة البلاط، وأمر ان تكون العطلة الرسمية في الإمبراطورية يوم الأحد.

كما منع قسطنطين حكم الإعدام للمجرمين بالموت صلباً، وذلك احتراماً وتقديراً للصليب المقدس.

ولما تمكن في رئاسته من حكم الغرب والشرق بقدرة وقوة. أمر ان تهدم هياكل الأصنام ومعابد الوثنيين وبنى محلها كنائس ودور عبادة للمسيحيين، وأفسح كل المجالات أمام هؤلاء لينشروا تعاليم السيد المسيح.

فتحولت الإمبراطورية إلى واحة استقرار وحرية. وتعززت النصرانية وامتدت إلى كل البلدان.

وتنفّس المؤمنون الصعداء بعد عناء واضطهاد ومرارة عانوا منها طيلة ثلاثة قرون. وافتقد الله الكنيسة، وتمت كلمته مع مؤمنيها : **ها أنا معكم كل الأيام وحتى انقضاء الدهر.**

(*) آمن قسطنطين بالمسيح بفضل وتوجيه والدته الملكة هيلانة السريانية من الرها التي هذبته وعلّمته مبادئ المسيحية فرضعها من الحليب. (المترجم).

الفصل الثامن :

اضطهاد القيصر يوليانوس الذي حكم في روما

سنة ٣٦١-٣٦٣م

كان يوليانس قيصر شاباً فظ الطبع سيئ السيرة، تبع الوثنية وأثار اضطهاداً عنيفاً على المسيحيين. وأمر بطردهم من وظائف الدولة، وأغلق مدارسهم وأذل طغمة الاكليروس وأوقف رواتبهم. وأفاض بخيراته على الوثنيين وعزّز شأن الأصنام والتماثيل، وجدد معابد الأوثان على حساب المسيحيين وممتلكاتهم، ونقل إلى هذه المعابد كل مقتنيات المسيحيين من آنية كنسية وأثاث وسواها ...

وهكذا تعرضت الكنائس إلى النهب والسلب والدمار، ونجّس المقدسات وهدم الهياكل وأضرحة القديسين والمزارات المقدسة.

واستشهد الأساقفة والكهنة والرهبان والراهبات وبنات العهد بالإضافة إلى خلق لا يحصى من المؤمنين. ومن هؤلاء القديس باسيليوس أسقف انقورا ودومطيانس الناسك الشهير.

وبلغت بهذا القيصر الأرعن الحماقة والرعونة، إذ قرر تجديد هيكل أورشليم الكبير، حتى يكذّب ويبطل نبوة الرب يسوع القائل :

ان لا يبقى حجر على حجر إلا وسيهدم ...

وبذل بسخاء مالاً كثيراً وأرسل عمالاً وفعلة وصناعيين كثيرين لإنجاز هذا المشروع، فاجتمع حوله كثيرون من اليهود والحاقدين على المسيحية وأخذوا يحفرون أسس وقواعد الهيكل.

كانت عين الله تراقب هذا القيصر الجاني، فما ان بدأ العمال بوضع اسس البنيان، حتى ضربهم الله بزلزال قوي جداً حيث ردمت الاساسات وامتلأت تراباً وتبددت آلات وأدوات العمل والعمال وطُمر بل دُفن العمال تحت الردم والأنقاض وقضوا.

ولم يتعظ هذا القيصر ولم يرعو، فعاد وأرسل العمال من جديد، وفجأة انفجرت الأرض وقذفت حمماً نارية، فأردت العمال وقضت عليهم بالحجارة المعدة للبنيان وتحول كل شيء إلى ركام ورماد. فشكر المؤمنون العناية الإلهية التي عاقبت الطاغية. الأمر الذي قاد كثيرين من اليهود ليؤمنوا بالمسيح ويُقلعوا عن معتقداتهم الفاسدة ومقاومتهم للمسيح والمسيحيين. وهكذا توقف العمل في بناء هيكل أورشليم.

في هذه الأثناء كان يوليانس الجاحد والأثيم يستعد ليخرج إلى مقاومة الفرس. فتوجه إليه القديس مار باسيليوس وبعض الأساقفة لتوبيخه على سوء تصرفاته. فما ان رأى يوليانس مار باسيليوس الكبير مقبلاً إليه، حتى خاطبه بوقاحة وصلف قائلاً، ماذا تريد ؟.. فأجاب القديس، اننا نطلب ملكاً صالحاً ليحكمنا.. فقال يوليانس وأين تركت ذلك النجار ؟ (*) أجابه القديس.. لقد تركته وهو يعد لك نعشاً (تابوتاً) لدفنتك. فغضب يوليانس وقال للحضور : أمسكوه واعتقلوه، وعندما أعود من الحرب، سأريه أية ميتة سيموت ... فقال له القديس مار باسيليوس، إذا عدت من الحرب حياً، فليس الروح القدس هو الناطق بلساني !!!.

(*) يعني الرب يسوع (المترجم).

وتحققت كلمة القديس مار باسيليوس، فعند خروج يوليانس إلى الحرب، سقط صريعاً بسهم مرير أصابه..

وإذ كان يتضرج بعبيط دمه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، أخذ بحفنـــتيه دمه النازل منه وقذف به نحو السماء، وبغضب وحقد شديدين صرخ قائلاً.. **أخيراً غلبتني أيها الناصري. فرث ملك الأرض مع ملك السماء.**

وتعظم اسم الله الذي أنقذ كنيسته من سيئات وشرور هذا الطاغية. وارتاح المسيحيون قليلاً في أيام خلفائه والذين حكموا بعده، إذ ان كثيرين من هؤلاء الحكام ساعدوا المسيحيين وحوّلوا معابد الأوثان إلى كنائس وعم السلام في الإمبراطورية.

<u>الفصل التاسع :</u>

الاضطهاد الأربعيني الذي أثاره شابور الثاني

سنة ٣٣٩-٣٧٩م

هذا الاضطهاد الأربعيني الممتد أربعين سنة، أثاره شابور الثاني على المسيحيين عام ٣٣٩ في كل بلاد فارس (الشرق) وخاصة في بابل والأهواز والسليمانية وأربيل ونينوى وتوابعها.

كان سبب الاضطهاد بغض شابور للرومان، فأفرغ عصارة حقده على المسيحيين مواطني امبراطوريته، الذين اعتبرهم جواسيس عليه من قبل الرومان، لكونهم مسيحيين يؤمنون بالعقيدة نفسها مثل أبناء المملكة الرومانية.

بدأ شابور أولاً بفرض الجزية مضاعفة على المسيحيين، **وألزم الطوباوي القديس مار شمعون برصبّاعي (ابن الصبّاغين)** ان يجمع الجزية، وإذ رفض مار شمعون ولم ينفذ أمره، قتله واثنين من خلفائه من بعده مع عدد غفير من الاكليروس والمؤمنين ثم أمر ان يكون الاضطهاد عاماً وشاملاً، بهدم الكنائس والأديرة.

وكتب إلى المرازبة والحكام والولاة ان ينفذوا هذه الأوامر والقرارات. وتحرك كهان الوثنيين والمجوس واليهود والمانويون (*) لمساعدة الظالمين المحقونين بالحقد والضغينة ضد المسيحيين. فقوي الاضطهاد وامتد الشر وانتشر الاضطهاد وسفك دماء المسيحيين في كل بلاد فارس.

لقد بلغ عدد الشهداء والقتلى المسيحيين ثلاثمئة وعشرة آلاف نسمة في مناطق الدير الأحمر وباجرمي (السليمانية) والمرج وبلاد بابل وقد حفظ لنا التاريخ أسماء معظم هؤلاء ما عدا المغمورة أسماؤهم. والله وحده يعلم عددهم.

لم تهدأ السيوف ولم تتوقف الحرب ضد المسيحيين إلاّ بعد حلول السلام والصلح بين الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية وذلك بوساطة القديس الشهيد مار ماروثا الميافرقيني (أسقف ميافارقين) الذي رتب الأمور بين المملكتين. وانتظمت إدارة الكنيسة في المشرق بأيام يزدجرد الأول الذي حكم بلاد فارس من ٣٩٩-٤٢٠م. إلاّ ان الاضطهادات لم تنقطع كلياً، فالمسيحيون كانوا يعيشون ظروف راحة واستقرار حيناً وظروف قتل واضطهاد أحياناً، والأسوأ من كل هذا، ان المسيحيين كانوا وقوداً للنقمة من الامبراطوريتين

(*) أتباع ماني الثانوي الذي كان يؤمن بإلهين، إله الخير وإله الشر. قتله بهرام الفارسي وعلق جثته على باب مدينة جنديسابور عام ٢٧٥م. (المترجم).

ولاسيما سكان ما بين النهرين. **امتدت هذه الحالة حتى عام ٦٣٥ حيث انتصر العرب المسلمون على الفرس واستولوا على بلاد ما بين النهرين برمتها.**

لم تنعم المسيحية بالراحة مع انتصار العرب على الفرس، إذ أحاطتهم الاضطهادات من الفرس شرقاً والرومان غرباً. **على الرغم من مساعدة المسيحيين والسريان تحديداً، للعرب المسلمين على مقاومة الفرس** والبرهان **على** ذلك فأن الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب في بداية الدعوة الإسلامية أرسل قواته وأحتل (الرقة) وراس العين وغملين وكفرتوت ودارا وماردين وتل موزلت (ويران شهر) فأجبروا كثيرين من السكان والمواطنين ليعتنقوا الإسلام.

سنة ٦٤٢ هجم المسلمون على قريتا وحاصروها واحتلوها وقتلوا معظم سكانها وحولوا كنائسها إلى مساجد. وهرب أرسيس صاحب ماردين إلى حران فدخل المسلمون ماردين، فاضطهدوا المسيحيين وقضوا على معظمهم وحولوا كثيراً من كنائسهم إلى مساجد. وهكذا فعلوا برأس العين وكفرتوت فانتقل المسيحيون إلى الإسلام وتبدلت ديانة المدينة.

وعام ٦٩٢ أرسل محمد بن مروان أمير ما بين النهرين إلى موعد رئيس التغالبة المسيحيين يدعوه إلى الإسلام، وإذ رفض الأمير آلقاه في جب للقذارة ثم قتله.

وكذلك فعل مع إسماعيل (شماعلا) رئيس قبيلة التغالبة، إذ طلب منه ان يعلن إسلامه، وإذ رفض ... عنّفه وعامله بقساوة وشراسة لا نظير لهما. وأخيراً اقتطع (قصّ) قطعة من فخذه وشواها وأطعمه إياها ... وبقيت علامة هذا الجرح في جسم (شماعلا) حتى وفاته ... أين هي عدالتك يا رب السماء والأرض ؟ ...

وبسبب هذه الاضطهادات والمظالم أسلمت قبائل : عقيل وطي وتنوخ وتغلب، واستمرت الاضطهادات حتى عام ٨٣٣م، إذ هاج المسلمون في مدن دارا ونصيبين وآمد (دياربكر) وماردين ورأس العين فقتلوا وجوه المسيحيين وشخصياتهم والمسؤولين عليهم والتجار والأغنياء، فنهبوا أملاكهم وأحرقوا القرى. وقتلوا الشباب وشهّروا بالعذارى والفتيات والنساء وتصرفوا بما لا يليق، وحوّلوا الكنائس إلى مساجد.

وهكذا اندحرت المسيحية في بلاد ما بين النهرين أمام مظالم المسلمين واضطهاداتهم القاسية.

وفي سنة ١١٥٥ أعمل المسلمون السيف بالمسيحيين في آمد وماردين فحولوا كنيسة مار يوحنا للسريان في آمد (دياربكر) إلى مسجد دعوه (مسجد الوالي) وكنيسة الأربعين شهيداً في ماردين إلى مسجد ودعوه (مسجد الشهيد).

سنة ١١٧٠م احتلوا كنيسة مار توما كما يؤكد العلامة ابن العبري والمؤرخ الرهاوي في تاريخهما.

وهكذا عانى مسيحيو ما بين النهرين من اضطهادات مريرة وعنيفة وقاسية جدا إذ كان يتعذر عليهم ان يمارسوا حياتهم بحرية وخاصة فيما يتعلق بالتجارة والصناعة والشؤون العامة.

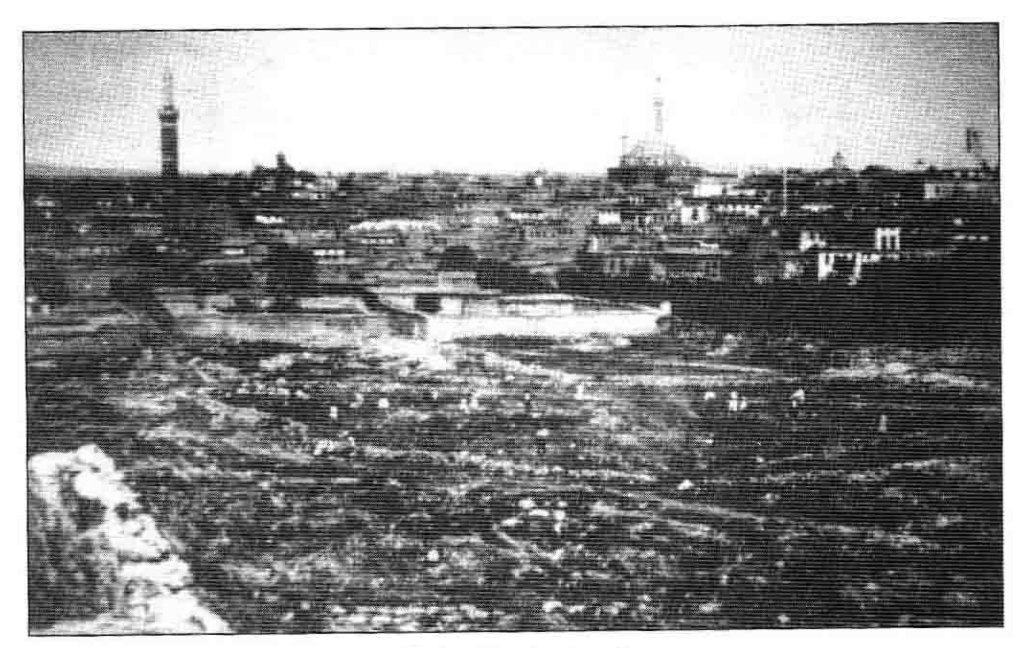
وسنة ١٤٥٣م سقطت القسطنطينية (استانبول) بيد محمد الفاتح العثماني، إذ اشتد الاضطهاد على المسيحيين في العهد العثماني أكثر فأكثر ... وكثيرون لم يتحملوا الاضطهادات فأعلنوا إسلامهم أو قضوا شهداء تحت وطأة هذه المعاملات اللاّإنسانية الجائرة.

وسنة ١٦٥٠ أثار العثمانيون اضطهاداً منقطع النظير على السريان فمات من مات وما أكثر شهداء هذه المرحلة وأسلمت مدن شورا وقرى الأحمدي واستل ورشمل وقبالا وعشائر المحلمية والراشدية والمخاشنية وطوق وفترى ومعظم القرى والدساكر والضيع التابعة لها، وقد أحصى المؤرخون أعداد هؤلاء الذين تركوا المسيحية واعتنقوا الإسلام بستمئة ألف نسمة، ولم تنجُ من هذه الاضطهادات، وحافظت على مسيحيتها الا قرية (قلت) التي ما تزال مسيحية في ذلك المحيط (*).

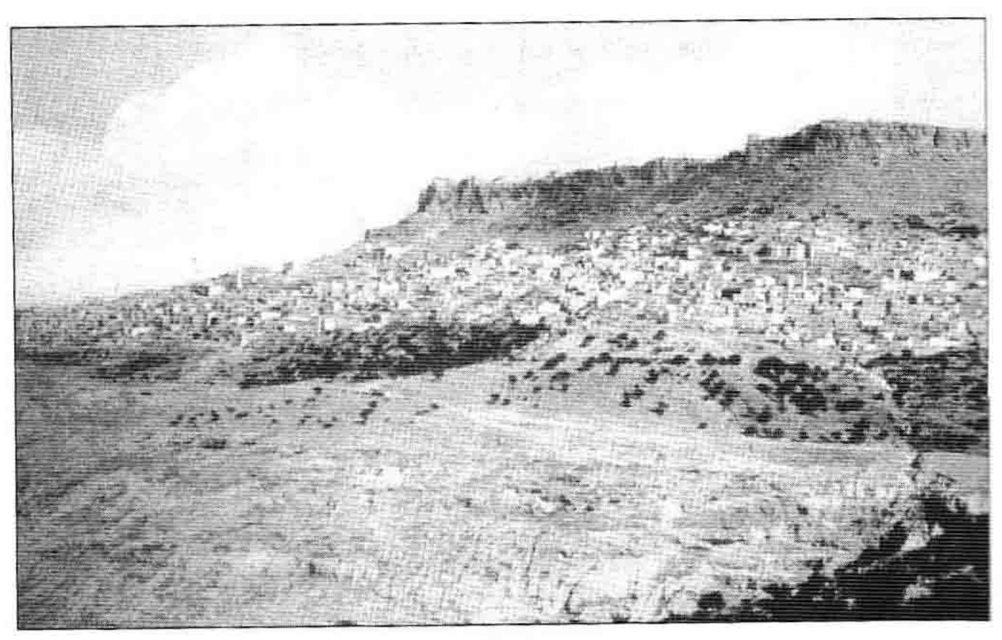
وبالإجمال، اندحرت المسيحية وأصابها الذل في وطنها الأصلي وأرضها ومنبتها، فخضعت للتجربة ولكل أنواع الاضطهاد والمظالم وقد تمت بالمؤمنين حكمة الرب يسوع : **سيضطهدونكم ويطردونكم من قرية إلى أخرى ومن مكان إلى آخر ويقتلونكم من أجل اسمي.**

ومن يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص.

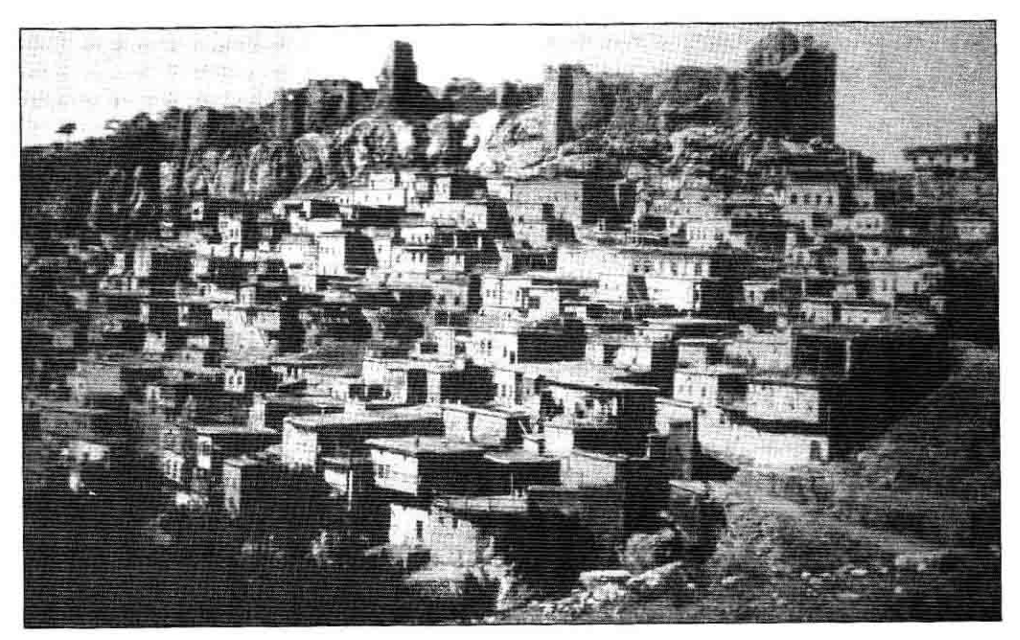
ت ونهايـــة القرن العشرين فرغت (قلت) من معظم أهلها السريان الذين غادروا إلى أوروبا وتحديداً إلى السويد وألمانيا ... واليوم يسعى بعض مواطنيها إلى العودة إليها وتجديد بنائها وكذلك أهالي بعض القرى الأخرى في طور عبدين. وقد عاينا ذلك بأم العين صيف عام ٢٠٠٤ (المترجم).



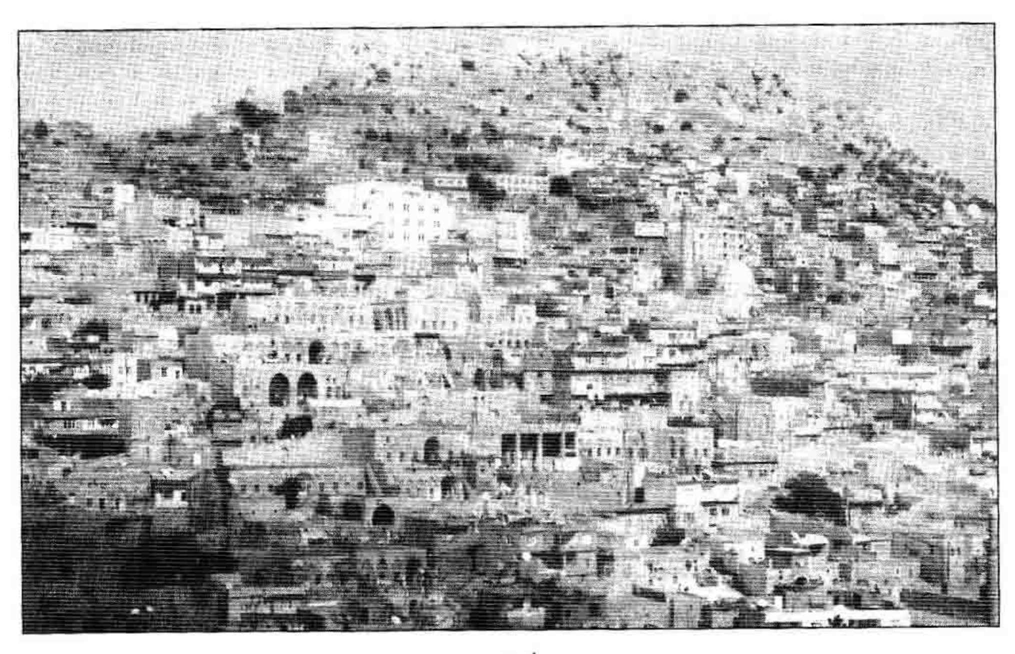
منظر عام لمدينة دياربكر



مدينة ماردين



خربوت - حي السريان



ماردين

الباب الثاني

وفيه ستة فصول

اضطهادات العصور المتأخرة

لفصل الأول :

الضيقات والاضطهادات التي أثيرت على آمد (دياربكر) وقراها سنة ١٨٩٥م

عثرت على كراس صغير في مكتبة القس بولس بن القس عبد الأحد آل القس لحدو، كاهن كنيسة **قره باش**، وقد دوَّنت فيه أخبار آلام ومصائب عام ١٨٩٥، بقلم القس عبد الأحد أحد المضطّهدين والمعذّبين في هذا الضيق المرير، وحرب الابادة التي ثارت على المسيحيين في بلاد آمد (دياربكر) والرها (اورفة) وخربوت وسيورك وملاطية وصاصون وسائر القرى المحيطة بها.

في بداية تشرين الثاني ١٨٩٥، استنفر الشر وروح الحقد والعطش إلى الدم، نفوس عظماء المسلمين ورؤساء عشائرهم في دياربكر ليثيروا اضطهاداً ضد المسيحيين وفي مقدمة هؤلاء الآغاوات : **جميل باشا وبهرام باشا وسائر الظالمين**، إذ بلّغوا الأكراد برسائل تحريض وفتنة، ليستعدوا لقتل المسيحيين ونهب بيوتهم وأرزاقهم وممتلكاتهم. وقد وعدوهم انهم سيعطونهم سلاماً حال وصولهم إلى دياربكر.

وبعد صلاة ظهر يوم الجمعة كانت كلمة السر (**محمد صلوات**) فعندما يسمعوها يهجمون على البيوت والأسواق ودكاكين المسيحيين وكنائسهم، فيهدمون ويسرقون ويقتلون بدون رحمة.

وفعلاً نفذوا أفكارهم بالعمل. ويوم الجمعة الأول من تشرين الثاني ١٨٩٥، هاج الأكراد، وهم شاهرون سيوفهم بأيديهم، فيما كانت القنابل تتفجر كآتون نار، فأخذ القتلى يسقطون والجرحى يضربون في الأسواق والشوارع والأزقة كأنهم أغصان الأشجار. ومن عاين من المسيحيين هذه المشاهد المؤلمة طفقوا يهربون ويلجأون إلى الكنائس، فأرسل حاكم دياربكر عشرين جندياً ليحرسوا منزل السفير الفرنسي.

واستمر هؤلاء الغوغائيون والبرابرة، يقتلون وينهبون ويحرقون أملاك المسيحيين لمدة أربعة أيام حتى يوم الاثنين ٤ تشرين الثاني. وتفننوا في قتل المسيحيين واهراق دمائهم، إذ كانوا يلقوهم من السطوح والنوافذ ويذبحون ويقتلون كل من يجدونه في الطريق. واختلط الحابل بالنابل. فكانوا يقتلون المسلمين أيضاً غير مميزين لتفاقم الشر في نفوس هؤلاء المجرمين البرابرة.

ولما رأى حاكم دياربكر ان مسلمين أيضاً يقتلون، لم يعجبه الوضع واستنكر على القتلة ان يدنوا من المسلمين أو يؤذوهم. فقصد المطران عبدالله (*) وطلب منه ان يرافقه مع بعض الجنود حتى يمنعوا المسيحيين من توجيه أسلحتهم من نوافذ منازلهم ولا يقتلوا المسلمين في الشوارع والساحات.

(*) المطران عبد الله هو المطران عبد الله صطوف الصددي مطران ديار بكر للسريان الأرثوذكس الذي صار فيما بعد عام ١٩٠٦ بطريركاً باسم عبد الله الثاني. (المترجم).

وفي نفس الوقت ان يمنعوا المسلمين من مهاجمة بيوت المسيحيين ومحلاتهم وممتلكاتهم وسرقتهم وقتلهم. وإذ لم يتمكن حاكم دياربكر والمطران السرياني من وقف هذه الأعمال. أرسل والي دياربكر يطلب **البطريرك عبد المسيح الثاني** ليحضر من ماردين.

ولم يتأخر البطريرك فحضر إلى دياربكر وصُدم بما عاين من مآس وخرابات عمت دياربكر، وجثث القتلى وأصوات القنابل والبنادق. فبعث كتاباً إلى الوالي مع شاب سرياني ولما وصل هذا الشاب إلى شارع (الملك أحمد) باغته المسلمون وهجموا عليه وقتلوه.

وعثروا على الرسالة الموجهة إلى الوالي فسلموه إياها، الذي تهيب من قراءتها فأمر فوراً ان يرسل قائد العسكر (الجيش) هناك فرقة من جنده ليحرسوا كنيسة السريان في دياربكر حيث لجأ أكثر من ثمانية آلاف نفس، ما عدا سكان القرى المحيطة بالمدينة.

مشى **البطريرك عبد المسيح** مع نخبة من أبناء الطائفة وتوجهوا نحو الوالي وهم يطأون جثث الشهداء والمعترفين والمؤمنين الذين سقطوا وماتوا بسيوف هؤلاء البرابرة المجرمين. ولما وصل إلى السراي رأى آلاف الأكراد والغوغاليين والأشرار، وبأيديهم سيوفهم ملطخة بدماء هؤلاء الأبرياء فيما كان آغاواتهم ورؤساؤهم مجتمعين مع الوالي في ديوانه، وأحاديثهم تدور حول، ما هي الطريقة التي يتمكنون فيها من إبادة المسيحيين. وما ان دخل البطريرك ديوان الوالي، حتى انفرط عقد هؤلاء وغادروا المكان. ورحّب الوالي بالبطريرك وكرّمه واستقبله باحترام جزيل، وقال له : يجب ان تصدر أمراً أن يسّلم المسيحيون سلاحهم بسهولة. فوعده البطريرك ان يكمّل رغبة الوالي.

ولما عاد البطريرك، أرسل معه الوالي ضابطين هما، ناصيف وبكر مع فرقة القوات والعسكر. وفتّشوا البيوت و لم يجدوا شيئاً.

وفي طريق عودة الضابطين والفرقة العسكرية، هجموا على بيوت الأغنياء والوجهاء والمعروفين من المسيحيين وأخذوا يكسرون صناديق وخزائن الذهب والمجوهرات والحجارة الكريمة وظلوا على هذه الحال لمدة ثلاثة أيام.

ولما رأى البطريرك هذه التصرفات قصد الوالي وقال له : أنت تطلب مني ان أجمع سلاح هؤلاء المظلومين ؟ والأجدر بك ان تعاقب وتزجر هؤلاء الأكراد الأشرار الذين يقتلون وينهبون ويسرقون أمتعة المسيحيين.

فأجاب الوالي، أنا أصدرت أمراً جازماً ألاّ يتعرضوا للمسيحيين ولا يؤذوهم.

أجابه البطريرك، نعم بعد ان نفذوا المهمة التي كُلفوا بها على أكمل وجه. وخرج البطريرك وجاء إلى كنيسة العذراء (مريمانا – Maryamana).

أما أهل ماردين الذين كانوا في دياربكر كضيوف جمعهم البطريرك من الفنادق ومنازل الضيافة في الكنيسة، وقدم لهم الإقامة والمأكل والشراب طيلة أيام المحنة، وامتد هذا الاضطهاد حتى الثامن عشر من كانون الأول ١٨٩٥.

ثم صدر فرمان من السلطان (وعاصمته استانبول) ورد فيه :

لقد تأكدّ لنا ان المسيحيين هم مخلصون لمملكتنا. فارتاحت قلوب المسيحيين إذ حصلوا على الأمن والاستقرار.

الفصل الثاني :

قرية سعدية

السعدية قرية تقع في جنوب شرق دياربكر على بعد عشرة كيلومترات. سكانها سريان وأرمن ويبلغ عددهم ثلاثمئة نسمة. يوم الجمعة الأول من تشرين الثاني عام ١٨٩٥ هجم عليهم الأكراد وبدأوا يقتلون الرجال والأطفال ويسبون النساء والبنات ويسرقون البيوت. فهرب المسيحيون ولجأوا إلى الكنيسة وأقفلوا الباب، إلا ان الأكراد والعسكر ثقبوا السطح وألقوا عليهم تبناً ونفطاً وأحرقوهم. ومن نجا من الحريق فتحوا الباب قاصدين الهرب. وكانوا كامنين لهم أمام الباب فأخذوا يقتلون الناجين من الحريق. ولم ينج من هذه الإبادة إلا ثلاثة رجال وصلوا إلى دياربكر وقصّوا أخبار هذه الجريمة.

الفصل الثالث :

قرية قره باش

قره باش قرية كبيرة وآهلة بالسكان البالغ عددهم أكثر من ألف نسمة. تقع في شرق دياربكر على مسافة عشرة كيلومترات. سكانها سريان ما عدا بضعة بيوت من الأرمن. هجم عليهم الأكراد يوم الجمعة ١ تشرين الثاني ١٨٩٥ وطفقوا يقتلون وينهبون ويسرقون لمدة يومين كاملين. كثيرون من السكان لجأوا إلى برج حمام ضخم في الجهة الشرقية من القرية. فهجم عليهم هؤلاء البرابرة وهدموا البرج حيث قضى الجميع تحت الأنقاض. والذين تمكنوا من الهرب انقضّوا عليهم على مدخل البرج وأبادوهم بحد السيف. ولم ينج أحد.

أما القلة التي نجت وهربت تحت جنح الظلام من القرية، فبعضهم هربوا إلى دياربكر وغيرهم إلى بيوت أصدقائهم المسلمين في القرى المجاورة. أما القس عبدالأحد وأفراد عائلته فلجأوا إلى قرية (قوزان). إلاّ ان **أخاه الشماس قومي فقد قُتل، وابنة القس المدعوة حانا وكانت متزوجة فحملت طفلها المدعو زكريا وهربت فطعنها أحد الأكراد بسيف** في ظهرها وبقر بطن الطفل فسقطت وطفلها ميتين.

أما الذين نجوا من الموت فعادوا بعد زمن إلى قريتهم وجددوا المنازل وعاشوا بأمن واستقرار بعد ان عبرت موجة الاضطهاد والضيقات التي اكتنفتهم.

أما البرج الذي هدمه الوحوش ومات أهل قره باش تحت أنقاضه دعي (برج الشهداء) وصار تقليد ان يقصد المؤمنون والكهنة في ليلة الأحد أو العيد فيرفعوا الصلوات لراحة نفوس هؤلاء الشهداء الأبرياء.

الفصل الرابع :

ميافارقاط – ميافرقين

ميافارقاط هي مدينة الطوباوي مار ماروثا الميافرقيني. سكانها سريان وأرمن. عددهم ألف نسمة تقريباً. يوم الجمعة الأول من تشرين الثاني ١٨٩٥ هجم عليهم الاكراد وأخذوا يقتلونهم ويسرقون ويجلدون ويسبون العذارى ويتعدون عليهن ويقتلونهن. وإذ لم يكن لهؤلاء الأبرياء ملجأ ولم يتمكنوا من الهروب لجأوا إلى الكنيسة. فصعد المجرمون إلى السطح وثقبوه وألقوا عليهم نفطاً وناراً محرقة. ولم يخلص من أهل ميافرقين إلاّ عشرة رجال وثلاث نساء.

ومن تصرفاتهم الرديئة واعمالهم السيئة والقبيحة، أنهم دخلوا بيتاً فوجدوا فيه سيدة جميلة المنظر. وعندما دنوا منها ليغتصبوها ويفسدوا عفتها أمام زوجها، هجم عليهم بالعصا وطفق يضربهم. فانهالوا عليه وامسكوه وأوثقوه وقطعوا يديه ورجليه ثم قتلوه. ثم انقلبوا على الزوجة فقطعوا يديها ورجليها ولم يقتلوها. وكان لها طفل رضيع وما كانت قادرة ان ترضعه. فحنّ عليها وعلى طفلها رجل صالح ونقلها إلى دياربكر. وكانت تحمل طفلها بأسنانها وترضعه، إلاّ انها لم تعش طويلاً وماتت.

الفصل الخامس :

قرية علي بار

علي بار، قرية تقع في غرب دياربكر مسيرة نصف ساعة، سكانها كلدان وسريان وأرمن، هؤلاء خانهم رؤساء المسلمين في القرية وقالوا لهم، هلموا معنا ننقلكم من هنا إلى دياربكر ونخلصكم من القبائل والعشائر الغريبة عن جيرتنا. وبعد ان جمعوهم وأخرجوهم من القرية. قتلوهم جميعاً وعادوا إلى الضيعة حيث نهبوا كل أموالهم ومقتنياتهم. **تأمل الشهامة والمروءة !!! ...**

الفصل السادس :

قرية سويرك

مسيحيو **سويرك** خدعهم الطاغية الحاج عثمان باشا وأخوه، فدعوا وجمعوا الأكراد من القرى المحيطـة وحرّضوهم عليهم فهجموا على المسيحيين وأعملوا

فيهم السيوف والحراب لمدة يومين. و لم يخلص من المسيحيين إلاّ أربع عائلات.

أما القتلى فكان عددهم أكثر من أربعة آلاف نفس وهذا ما أصاب سائر القرى المحيطة بدياربكر مثل:

من الشرق : عينشاه، تل خاص، حرنك، صاتيا، صافتا، سعدية – قوزان.

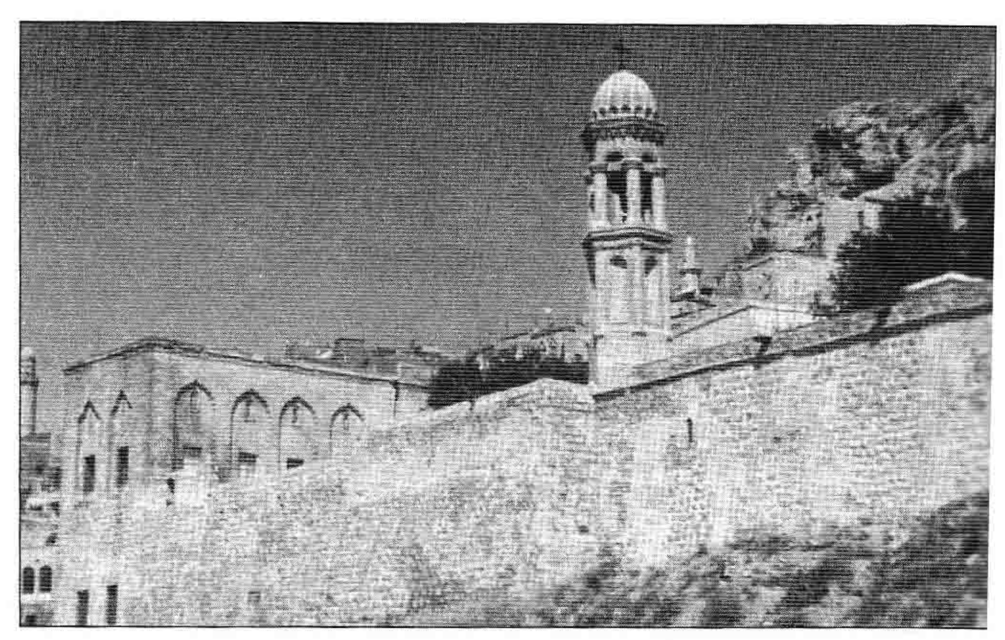
من الغرب : علي بار، قرطه، قره كليسا وقنقرت.

من الشمال : قاضي وبطراكية.

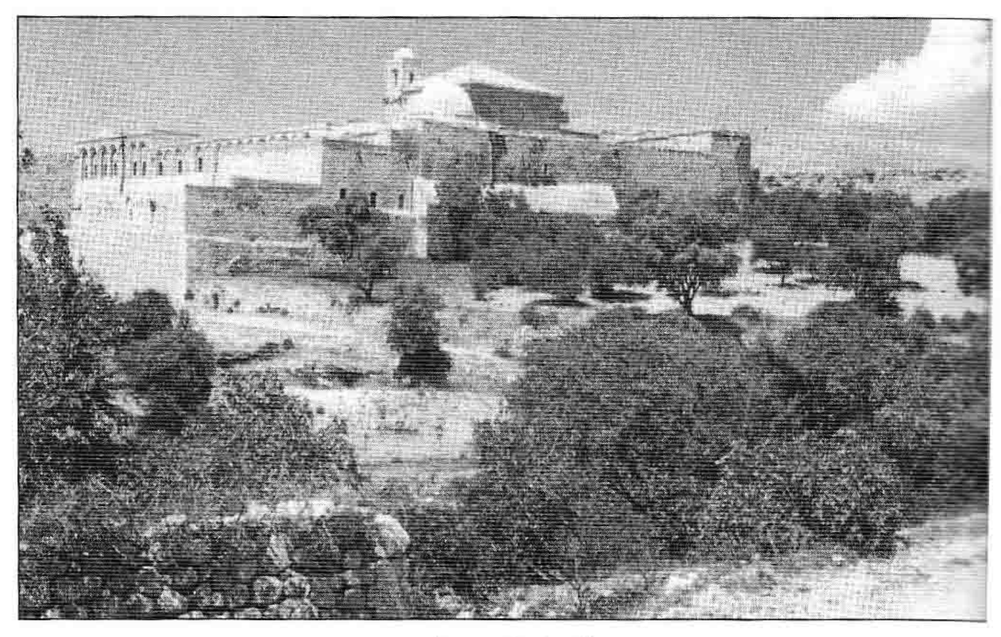
من الجنوب : كعبية، جاروخية، خان اقبينار، اورزا اوغلي، هولان وكذلك مناطق البشيرية وليجه وغرزان وخرتبرت (خربوت) واديمان (حصن منصور) وغيرها.

أما مدينة ماردين ولئن وقعت فيها اضطهادات إلاّ ان الذين قُتلوا فكانوا أقلية. فالقتل الحقيقي شمل قرى ماردين : القصور، بنابيل، قلعة مرا، منصورية، وسائر القرى. والذين نجوا من الموت لجأوا إلى دير الزعفران وأنقذهم الله بأعجوبة وبركة وصلوات القديسين في الدير (*).

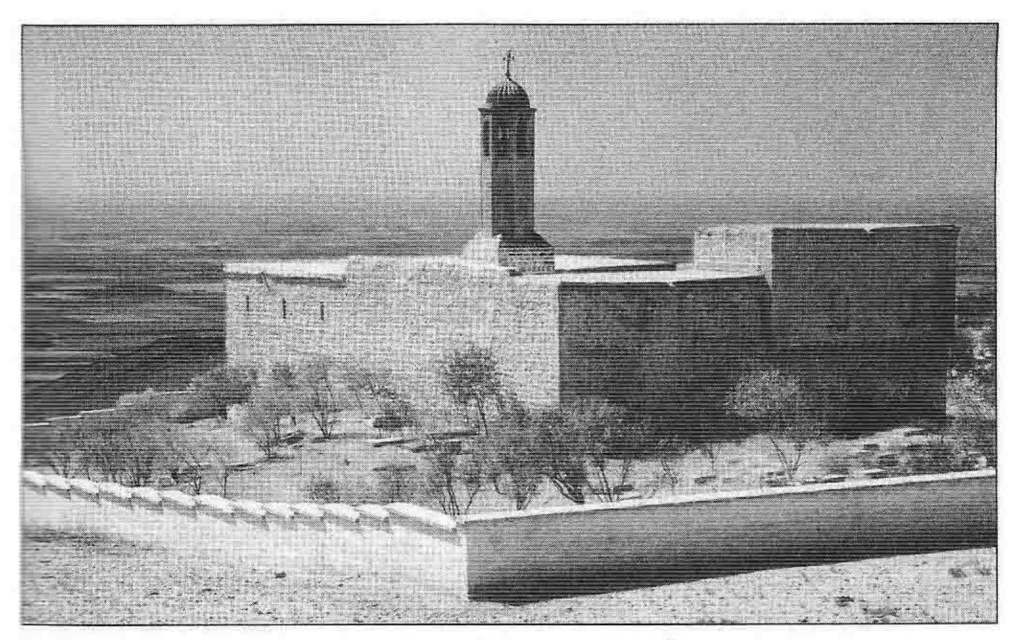
(*) المؤلف كان بين سكان دير الزعفران وتلاميذ الدير. (المترجم).



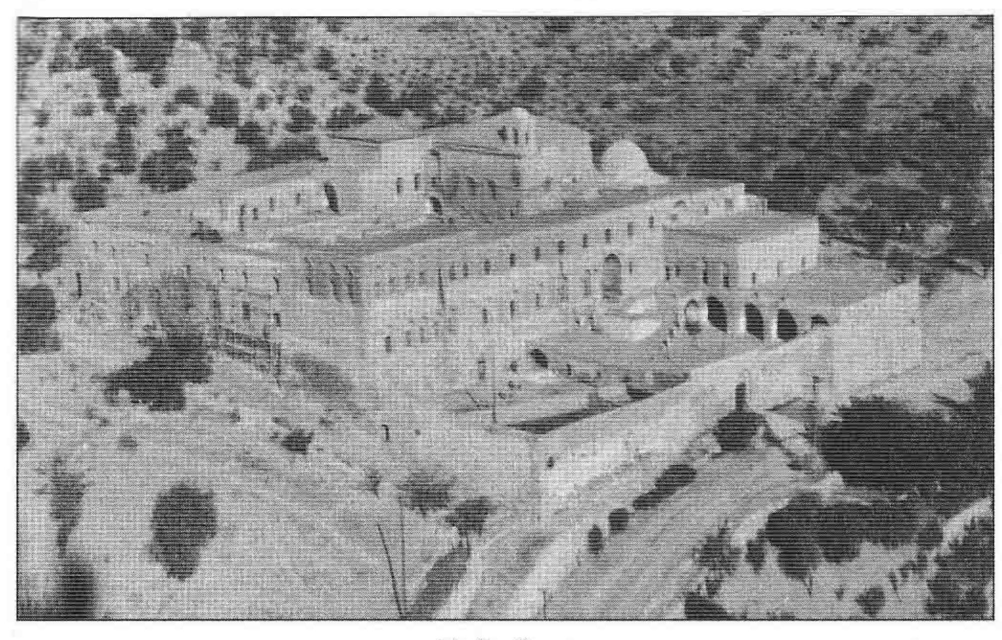
كنيسة مارتشموني - ماردين



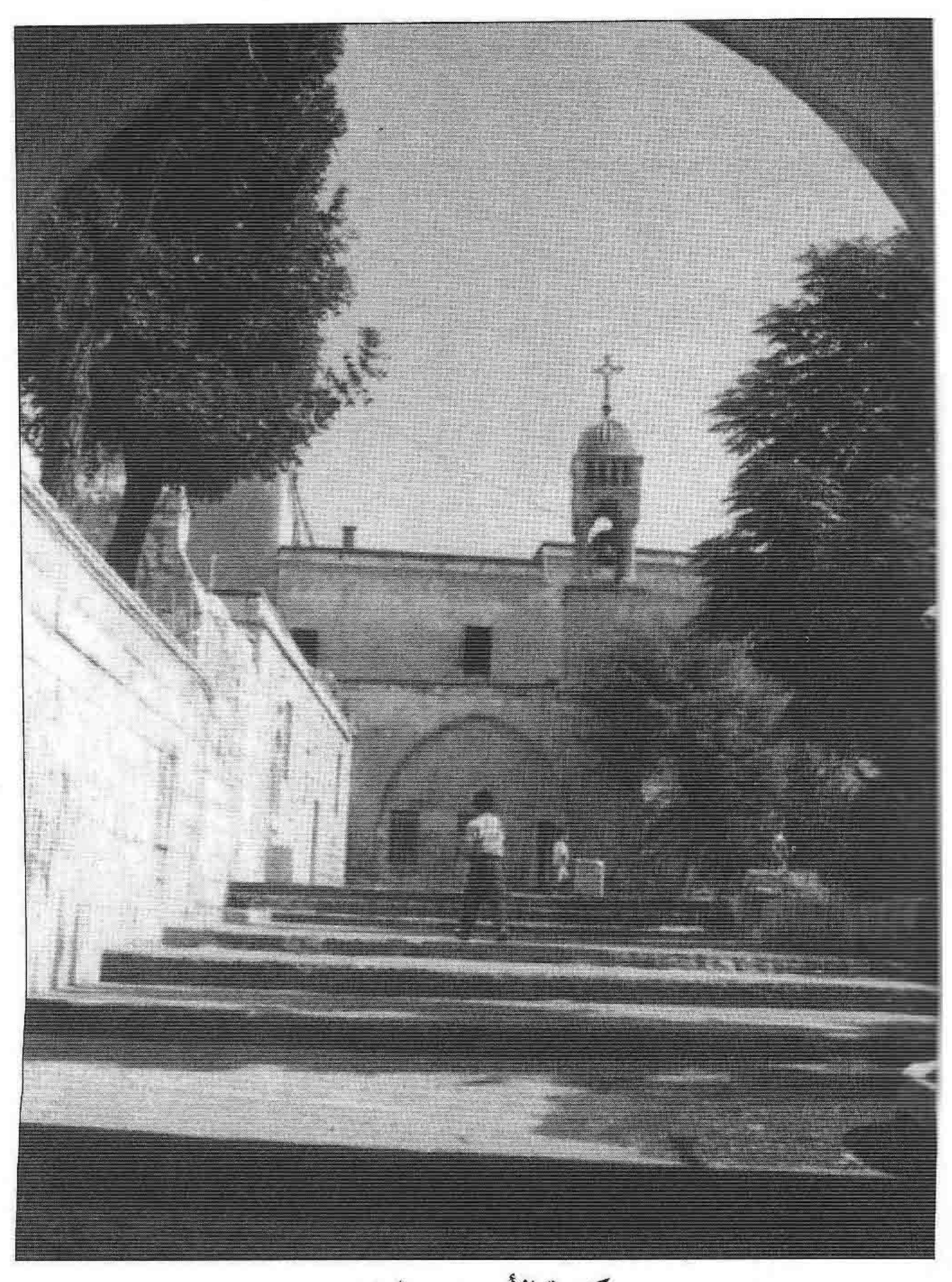
دير الزعفران - ماردين



كنيسة مار ميخائيل - ماردين



دير الزعفران



كنيسة الأربعين - ماردين

"الشهداء الاربعون في سيباستيا" ـ القياس والالوان كالتي في النسخة الأصلية ـ
من كتاب "المخطوطات السريانية الملونة" للعالم الفرنسي الأب جول لوروا ؛ والمنقول
اصلاً من المخطوطة السريانية رقم ٥٥٩ في الفاتيكان . لهذا الأثر الخالد من انجاز أصابع
رهبان دير مار متى .



"ܐܪܒܥܝܢ ܣܗ̈ܕܐ ܕܣܒܣܛܝܐ" ـ ܡܫܘܚܬܐ ܘܓܘ̈ܢܐ: ܐܝܟ ܕܐܝܬܝܗ̇ܘܢ
ܒܨܚܚܐ ܥܬܝܩܐ، ܡܢ ܟܬܒܐ ܕ"ܟܬܝܒ̈ܬܐ ܣܘܪ̈ܝܝܬܐ ܡܨܒܥܬܐ" ܕܝܠܗ ܕܡܠܦܢܐ ܦܪܢܣܝܐ ܐܒܐ ܓܘܠ
ܠܘܪܘܐ" ܘܡܫܩܠ ܡܢ ܟܬܝܒܬܐ ܣܘܪܝܝܬܐ ܡܢܝܢܐ 559 ܕܒܘܛܝܩܢ
ܘܗܢܐ ܥܒܕܐ ܠܐ ܡܬܛܫܝܢܐ ܕܐܝ̈ܕܝܐ ܕܕܝܪ̈ܝܐ ܕܕܝܪܐ ܕܡܪܝ ܡܬܝ

الباب الثالث

حرب عام ١٩١٥

الفصل الأول :

بداية الحرب العالمية الأولى

نشبت الحرب العالمية الأولى في الشهر الثامن (آب) من عام ١٩١٤، حيث كان دخان الحقد والغضب يرتفع من مختلف أنحاء المسكونة، والممالك الكبيرة لمهمة تزمجر مهدّدة الواحدة الأخرى، وكل منها ينظر إلى الأخرى بعين حاقدة متوعّدة وقد امتلأت قلوب الحكام ضغينة ونقمة، بل تسعى كل أمة إلى افتراس الأخرى بالهجوم والانقضاض لتحتلها وتسيطر عليها وتبسط سلطتها عليها وبالتالي على العالم، كل العالم.

فظهرت أكوام الذهب والعملة الصعبة التي استعملتها الأمم والدول كافة، تحصّن نفسها وتقوّي قواها وجيشها، باقتناء الأسلحة على أنواعها من بنادق ورشاشات ودبابات وآليات حربية، ونشطت صناعة السفن والمدافع المختلفة وهي تزرع الرعب والحقد والبغضاء في نفوس مواطنيها ليقاوموا كل مملكة أو أمة تقف حائلاً دون تحقيق أطماعها وجشعها.

ومن أجل تحقيق وتنفيذ أهدافها، بدأت كل مملكة بفرض الضرائب والجزية على كل الممتلكات والغلال والمقتنيات من أموال منقولة وغير منقولة حتى تزيد مداخيلها ووارداتها، لتتمكن بالتالي من القيام بكل المتطلبات المادية والمعنوية والمطلوبة للانفاق الحربي، حيث يدعو النصر وبسط السلطان.

الله وحده، يعرف ما هي أنواع الوعود والتعهدات والتوعدات والتهديدات التي كانت تمارس سراً وعلناً بين الملوك والرؤساء. ناهيك عن، الاضطرابات والمشاغبات والفتن التي كان يثيرها رؤساء العشائر والمنتفعون بزرع القلق والخوف في عقول الشعوب والأمم، الأمور التي زعزعت أسس الأمن والحرية في قلوب الناس وعقولهم.

الإمبراطورية العثمانية، لم تكن تملك من أسلحة الحرب ما يكفيها. فقرر الضباط انتهاج مبدأ الظلم والطغيان، فأرهقوا شعوب مملكتهم بالضرائب الفادحة بوسائل شيطانية أنتجتها عقولهم الآسنة والفاسدة.

فانتشرت السرقات والنهب والتعديات، واغتصاب الأملاك والمقتنيات عنوة. أما المساكين والفقراء الذين لا يملكون طعاماً ومالاً فكانوا يعذّبونهم ويضطهدونهم بإلقائهم في السجون والمعتقلات والمنفى وبالتالي يقتلونهم.

وقد فقد هؤلاء الضباط الضمير وأي وازع إنساني أو رادع بشري، فلم يمنعهم مانع من ممارسة هذا الظلم ولم يردعهم رادع، وليس هناك من يشهد عليهم ويذّكرهم بنتيجة طغيانهم وظلمهم.

الفصل الثاني :

الشرارة الأولى لبداية الحرب

الشرارة الأولى التي ألهبت نار الحرب هي، مقتل ولي عهد مملكة النمسا وزوجته. وقد حدث ذلك انه في اليوم السابع والعشرين من شهر حزيران ١٩١٤، إن جندياً صربياً أطلق عليهما النار وقتلهما. واتقدت نار الغضب في قلوب النمساويين فاستعدوا ليثأروا لدم ولي عهد مملكتهم.

وأصرت النمسا على معرفة القاتل وتسليمه وطلبت من صربيا أن تعاقبه وتعدمه. بيد ان صربيا لم تهتم بالأمر بل أهملته.

ولما رأت النمسا إهمال صربيا ولا مبالاتها، اعتبرت ذلك مذلة لها واحتقاراً لكرامتها. و لم تتردد النمسا من شن الحرب على صربيا بتاريخ ١٩١٤/٧/٢٨.
ولما سمع لاون العاشر بابا روما هذا الخبر أرسل وفداً إلى ملك النمسا يحمل إليه رسالة محذّرة يطلب فيها ألاّ يشن الحرب ويصبغ شيخوخته بالدم.

ولما سمعت روسيا ذلك، جمعت جيوشها وأرسلتهم إلى حدود النمسا والمانيا، فزمجرت المانيا زمجرة الأسود واستعدت للحرب، لحقد قديم على روسيا وبريطانيا وفرنسا وكانت تنتظر فرصة كهذه. وكانت تظهر انها ستنتصر وتبسط سلطانها على بلاد اخرى وتعيد مملكتي الزاس ولورين التابعتين لمملكة فرنسا، علماً ان سكانهما هم ألمان.

وكان من نتيجة ذلك أن انتفضت روسيا وفرنسا، فشنّتا حرباً على ألمانيا في الرابع من شهر آب عام ١٩١٤ وتبعتهما بريطانيا وحركت اليابان وتبعتها أيضاً صربيا ومملكة الجبل الأسود، فسالوا كالنهر إلى ميدان الحرب.

وقفت النمسا وتركيا وبلغاريا إلى جانب ألمانيا. أما إيطاليا فوقفت على الحياد لمدة محدودة فضربها الضعف والحاجة والدين. وبدأت الحرب والأعداء يتبادلون المدافع وأنواع الأسلحة، من سيوف مسلولة وبنادق ورشاشات تحمل الموت، وأخذ القتلى يتساقطون كأوراق الشجر وصُبغت (وتضرجت) الأرض بالدم وارتفعت أصوات الآهات المؤلمة والحزينة والمؤثرة. وكان الجرحى والمصابون ينقلون إلى المستشفيات بدون عدد ولا حدود، فعم الذهول والخوف والرعب أنحاء العالم. وصارت المدينة الكبيرة خالية خاوية.

ولولا مراحم الله التي حفظت البقية الباقية التي نّجاها من الموت لتمت بهذه المدن آخرة سدوم وعمورة. **فيا رب أنت تخلص وعليك الاتكال.**

الفصل الثالث :

تركيا والحرب العالمية الأولى

من المعلوم ان الامبراطورية العثمانية كانت تميل إلى ألمانيا وتتبع رأيها، بل كانت خاضعة لها. لأن غليوم ملك ألمانيا كان يصرّح علناً قائلاً : " **ليتأكد الثلاثمئة مليون مسلم المنتشرين في كل المسكونة، ان قيصر ألمانيا هو صديق مخلص للمسلمين مدى الحياة** ". وكان يقصد من ذلك أن يثير حفيظة وعواطف المسلمين الخاضعين للانكليز أن يقوموا ضدهم وأن يثيروا فتنة وخصومات واضطرابات عمومية وفي كل مناطق نفوذ الإنكليز، ومن جهة ثانية ليدعموا غليوم. وفي نفس الوقت لينجوا من نير الإنكليز.

وهكذا وقفت تركيا إلى جانب ألمانيا حيث كانت قد اتفقت معها سابقاً وحشدت جيوشها وأعدت الأسلحة الحربية وكل ما يلزم لدعم ألمانيا ومنع جيوش الأعداء ليدخلوا إلى بلادها. وعزّزت ألمانيا وأمدّت تركيا بالسلاح وأغدقت عليها أموالاً طائلة. وأرسلت كثيرين من ضباطها ليكونوا قادة للقوات التركية ولتدريبهم على فنون الحرب، كما أوفدت بعثة من قوادها البحرية لتقود سفنها الحربية، وأضافت إلى ذلك أن منحتها قرضاً بقيمة ثلاثين مليون دينار ذهب. وتأكيداً لهذه الصداقة والعلاقة الحميمة، بنى غليوم في مدينة برلين مسجداً كبيراً وجميلاً للمسلمين مع مئذنة جميلة، ارتفاعها ثلاثة وعشرون متراً، ولكون المشروع عظيماً ومهماً حضر غليوم شخصياً ووضع حجر الأساس لهذا المسجد.

وقبل أن يمضي شهر واحد على بداية الحرب، أكدت ألمانيا والنمسا بوضوح، صحة وحقيقة صداقتهما لتركيا. ووعدتاها بالحرية التامة والبحبوحة في كل مجالات الحياة الأولية والمهنية والتجارية وسواها.

خُدعت تركيا بهذه الوعود من ألمانيا والنمسا، فأمرت بإلغاء الحقوق المميّزة لبريطانيا وفرنسا في تركيا التي لم تكتم كراهيتها وبغضها لهما، تنفيذاً لآراء وأفكار ألمانيا والنمسا.

فقُرعت طبول الحرب وبوّقت الأبواق، فانبرى الأئمة والشيوخ في المساجد يخطبون ويدعون الناس في الساحات والمجتمعات وفي السراي إلى الجهاد والحرب وضرورة ذلك. فصدرت الأوامر واجتمعت القوات النظامية وعساكر الخدمة الإلزامية. وبدأوا يسرقون وينهبون أمتعة الناس. واشتركت تركيا والنمسا بالحرب، وكانت قناعتهم، انهم بمدة قصيرة سيحتلون بريطانيا وفرنسا وينتصرون عليهما، فيشفى غليلهم.

ولم يحسب العثمانيون حساباً، لما قد ينعكس عليهم من هزيمة وخسارة، ليس بموت الشباب زهرات الوطن، بل بخسارتهم أجزاء كثيرة من إمبراطوريتهم. وهذا منتهى الجهل والحقارة.

الفصل الرابع :

أنور باشا سبب الدَين والانكسار (والجريمة)

من الواضح ان الامبراطورية العثمانية أصابتها كل هذه الخسارة بسبب أنور باشا صهر الملك (الامبراطور) إذ غدت الامبراطورية كلها ألعوبة في يديه. وصار هو الآخر خادماً ومنفّذاً لمشيئة ألمانيا.

حيث كان أنور هذا ألعوبة في يد سفير ألمانيا وكان يعامله معاملة الأطفال. وكان سقوط تركيا لقاء أموال طائلة حصل عليها أنور باشا من ألمانيا وتركيا وقد بلغت حصته وحده عام ١٩١٦ أربعين مليون دينار ذهب، فتأمل ؟ ...

كان أنور باشا يرفع هذا ويحط ذاك.. وأخيراً هرب إلى بلاد كان يفضّلها، لعلمه ان مملكته (تركيا) ضعيفة بجيشها غير المدرّب على الفنون الحربية. وإن غنى البلاد كان بسبب القروض التي حصلت عليها من الألمان. وكانت لديه قناعة تامة ان سلاح مملكته متخلف وأضعف من أسلحة الدول الأخرى. أمام هذا الواقع فلا بد أن تستسلم تركيا وتسقط تحت وطأة المنتصرين المحتلين.

ولا ننسَ ان الامبراطور غليوم كان قد أذاع ووعد أن يكون حارساً وقيّماً ومسؤولاً وداعماً للمسلمين حيث كانوا وما دام حياً. خاصة بعدما أقرضت تركيا مالاً كثيراً. ومن هنا اعتبره مسلمو الهند وفارس وتركيا المحامي والمدافع عن إيمانهم ودينهم، ليس في هذه البلاد وحدها بل في كل العالم ... وقد نسي جميع هؤلاء أو ضُللوا، ان هذه المهمة التي اضطلع بها غليوم كانت وسيلة ولأمور إدارية، وليس لأي سبب آخر.

غير أن العجب والاندهاش والغرابة ان مملكة النمسا هي برمتها مسيحية، فكيف ارتضت بقتل المسيحيين وإبادتهم في الإمبراطورية العثمانية. مع قناعتها ان هذه الإبادة تحل بالمسيحيين بدون أي ذنب اقترفوه. وكيف ارتاحت مشيئة الألمان وهم مسيحيون، فلم يمنعوا المجازر عن المسيحيين، بل بالعكس فانهم شجّعوا وحرّضوا العثمانيين على سفك دماء المسيحيين الزكية على الرغم من كونهم من أتباع ديانة الألمان أي مسيحيين مثلهم.

ونتساءل كيف أذن (ساندروس) سفير ألمانيا في القسطنطينية (استنبول) أن يصدر أمراً باضطهاد المسيحيين ؟... بل أصر أن يذيقوا المسيحيين كل أنواع العذاب والشدة والقسوة والاضطهاد والنفي والقتل وبدون رحمة ... أمر غريب يكاد العقل ألا يصدق ذلك. **ومن المعلوم جداً، ان العثمانيين ما كانوا يفعلون أي فعل مهما صغر بدون أمر ألمانيا أو اذنها**... فكيف سمحت ألمانيا لنفسها أن تتحمل مصير ومسؤولية هذا التصرف اللاإنساني والمجرم.

بالحقيقة ان مملكتي ألمانيا والنمسا، هما المسؤولتان عن هدر وسفك دماء المسيحيين التي أُريقت ظلماً وعدواناً في كل أنحاء الامبراطورية العثمانية الفاسدة ...

الفصل الخامس :

مساوئ العثمانيين

واضح ان قوانين وشرائع ودساتير وشروطاً تحكم الحروب. وليس مسموحاً لأية مملكة او دولة أن تتجاوزها. وإذا لم تخضع لهذه القوانين والأسس، تدان بحسب الأحكام والقوانين الدولية، ومن هذه القوانين المتعلقة بالحروب، ان الحرب تكون بين الجيوش والمحاربين فقط. وغير مسموح أن يمس أحد حياة وحرية الشيوخ والنساء والأطفال.

فالقانون الأول الذي وُضع وحدّد مسؤولية الحرب هو ذاك الذي سنّه الأميركان عام ١٨٦٣، وبه ظهرت المشاعر الطيبة والإنسانية تجاه العمران والمدنية. وعقد اجتماع عام ١٨٩٩ في مدينة لاهاي/هولندا. وكان مؤلفاً من ممثلي اثنتين وعشرين دولة من ضمنها تركيا. وسُنت هناك قوانين مفيدة، أهمها :

ان القوات المتحاربة هي عدوة بعضها بعضاً، وممنوع أن يمس الأذى والخراب المواطنين العزّل. كما نصّت هذه القوانين ألاّ تصادر حرية الناس عند احتلال مدنهم. وأقرت هذه القوانين من الاثنتين والعشرين دولة الحاضرة هذا الاجتماع (المؤتمر).

إلا ان يوم الثالث عشر من تموز ١٩١٥، يوم سيق المسيحيون في الامبراطورية العثمانية إلى الموت، أقام الألمان حفلات ابتهاج وفرح في مدينة برلين بتجديد المسجد الجميل الذي بنته ألمانيا للمسلمين. وكان بين الحضور في هذا الحفل، مختار باشا سفير تركيا، وتعاقب الخطباء وهم يهتفون بحياة ألمانيا وعزها، **وقد قال في هذا الاحتفال أحد عظماء ألمانيا ووجهائها: " سوف نحتل بلجيكا الشريرة. وتصير بيدنا كمطرقة وبها نحطّم رأس بريطانيا ". وقال آخر: " يجب الاّ نترك لأعدائنا إلاّ عيوناً للبكاء فقط ". وقال آخر: " ليس لائقاً أن تعيش الدول الصغيرة إلاّ بمستوى قوتها فقط "**.

الويل للعالم والبشرية عامة لو انتصرت ألمانيا لأبادت البشرية، ومن أساليب ألمانيا الشيطانية، لتجد سبباً وعلة للقتل والإبادة، أرسلت إلى منطقة (دورتيول) أربعة جواسيس بشكل إنكليز إلى الأرمن الذين كانوا يقيمون في (دورتيول) واجتمعوا سراً بوجهاء الأرمن. وخدعوهم وغشوهم، وكتبوا رسائل يعبّرون فيها عن تذمرهم من الشرور والعذابات التي يتحملونها من الأتراك. ويلومونهم ويذمونهم ويطلبون عوناً من الإنكليز. ويدعونهم عجلاً ليأتوا ويخلصوهم من الأتراك. وحمل الجواسيس هذه الرسائل وذهبوا إلى القسطنطينية أواخر عام ١٩١٥. وهيّجوا العثمانيين على اضطهاد المسيحيين ولاسيما الأرمن. ومن هنا بدأت المصائب والعذابات تتوالى على المسيحيين ويدعونهم (خونة) ...

بينما المساكين الأرمن وغيرهم من المسيحيين لم يكن لهم أي ذنب في كل هذه المؤامرة القذرة.

بعد قتل المسيحيين، وعندما جاء الألمان إلى بلاد ما بين النهرين. خصص لهم العثمانيون بيوت سكن من منازل المسيحيين المقتولين، وربما عاينوا في أسوار وحيطان تلك البيوت صلباناً وصوراً مسيحية تابعة لأصحاب هذه البيوت. ولم يسأل هؤلاء الألمان ما هي هذه الصلبـــان ولمن هي هذه المنـــازل وأين أصحـــابها ؟... وكثيرون منهم كان يرون بأم العين أنواع العذاب والاضطهاد والقتل التي كان العثمانيون يمارسونها ضد الشيوخ والعذارى والحبالى والأبرياء، والألمان لا يكترثون ولا يبالون ولا يتألمون. بل لم يسألوا من هم هؤلاء المظلومون والمعذّبون الذين يسيمهم البرابرة كل هذه الإهانات والقتل والموت بوحشية لا مثيل لها ... ولماذا تهان الفتيات والنساء ... حقاً ان هذا أمر غريب.

من هنا، فليس لألمانيا أي مبرر وسبب لتبرّئ نفسها من الاشتراك بقتل المسيحيين وإبادتهم. ولو شاءت أن تحفظ حياة هؤلاء الناس، لكانت إشارة صغيرة منها كفيلة أن تخفف عن المسيحيين هذه الشدائد والتصرفات الوحشية لكن، لسوء الحظ، كل هدف الألمان كان أن يفوزوا ويحققوا النصر، ولتُبد المسيحية وتتلاشَ من الوجود. إذ لم تعنِهم المسيحية شيئاً. ولو أمعنّا النظر جيداً قد تكون هناك أصابع صهيونية تعمل في الخفاء ساهمت في هذه الإبادة الوحشية.

وهذا يدعونا لنقول، ان المسيحية غير ملومة إن هتفت من أعماق قلبها ونفسها قائلة : " **أكسر يا رب قوة الشر، وارفع شأن الخير. فالله الذي أحكامه لا تدرك سوف يثبّت الحق وينصره، ويذل قوة الطغيان ويجعله هزءاً للشعوب، وموطئ قدم للأمم** ".

فتركيا لم تبدأ اضطهادها للمسيحيين عبثاً، لأنها عادلة والعدل أساس الملك. فبررت قرارها لأسباب كثيرة أهمها : ان المسيحيين مسلّحون ويقتنون سلاحاً في بيوتهم وسوف يقاومون الامبراطورية، لمساعدة الأعداء الإنكليز والفرنسيين وحليفاتهما.

وأرسلت قصاداً ينادون في الأسواق قائلين : على كل مسيحي أن يسلم أي نوع من السلاح يملكه. وبدأوا يدخلون البيوت كأنهم يبحثون عن السلاح.

واستغلوا الفرصة وبدأوا ينهبون ويسرقون كل ما تقع عيونهم عليه. والويل ثم الويل لمن يجدون سكيناً صغيرة في بيته.

وهكذا كانوا يجمعون الشباب والرجال من العشرين سنة إلى الخامسة والأربعين ويقودونهم إلى ساحة الحرب مشاة وبدون زوّادة أو طعام. والشيوخ يسوقونهم إلى السجون. والنساء والفتيات الجميلات يراودونهن على أنفسهم ليتزوجوهن واللواتي رفضن ولم يقبلن ذلك وما أكثرهن. كانوا يقتلونهن بأبشع أنواع العذاب والعهر وبصورة تستنكرها ضواري الغابات ووحوش البرية.

أين نقمتك يا رب وكيف تظهر عدالتك.

الفصل السادس :

حالة المدن في بداية الحرب

عندما تبلغت مدن تركيا الأمر بإعداد الجنود للحرب. فرح الحكام كثيراً وبدأوا يجمعون القوات عبثاً، غير مبالين للقامة والعمر والمقدرة وما يناسب الخدمة العسكرية جسدياً وعقلياً.

والناس في خوف واضطراب ووجوم ولا يعرفون كيف ينجون ويفلتون من هذا الظلم القاسي الذي يمارسه الضباط الذين كانوا يداهمون البيوت والكنائس والأديرة، ليلقوا القبض على الرجالِ فيسوقوهم إلى الجندية. وكانوا يرسلوهم إلى بلاد دياربكر وبتليس ووان وخربوت وأرضروم سيراً على الأقدام وبدون زوّادة او طعام.

كثيرون من هؤلاء المغدورين بسبب الشدة والقساوة وسوء المعاملة والجوع والعطش كانوا يموتون على الطريق، وغيرهم كثيرون كانوا يعرّضون حياتهم للموت والإبادة فيهربون من هذه الخدمة العسكرية الظالمة فيتشتتون في الجبال والغابات، وقليلون كانوا يعودون إلى بيوتهم بسلام فيختفوا ولا يغادروا منازلهم خوفاً من إلقاء القبض عليهم وقتلهم وهم ينتظرون الفرج. ولكن أين هو الفرج ؟... **هو من الله... ومن الله فقط.**

واستمر الخطر وحلّ الحزن والكآبة في القلوب، وكثيرون من المواطنين هربوا من بيوتهم العامرة إلى البرية البعيدة، وغيرهم هربوا إلى جبل سنجار يطلبون ملجأ خوفاً من الموت والجوع والعطش والضيق وظلم الحكام الطغاة، والضباط الأشرار. فالويل والثبور لتعيس الحظ، إن هرب من الخدمة العسكرية ووقع في أيديهم... فهو وعائلته مصيرهم الفناء والهلاك... وبيته يسرق وينهب ويُحرق...

ولما رأت المملكة وأحست بالحاجة الماسة ليس لتحسين حياة الجنود كما كانوا يشيّعون بل لتملأ جيوب الضباط وقابضي زمام المملكة والمحسوبيات. أخذت الدولة تطلب من مؤمني كل دين وخاصة المسيحيين مساعدات وتبرعات، يفرضونها عليهم بما يفوق طاقتهم وقدرتهم...

وغير القادر ان يدفع كانوا يفرضون عليه ان يباع كعبد أو كسلعة حقيرة او يلقى في السجن حتى يتعهد أحد المحسنين فينقذه لقاء مبلغ يدفعه عنه.

ولم يكتفوا بهذا بل انقضوا على الكنائس والأديرة يسلبونها مؤونة المقيمين والعائشين فيها بالإضافة إلى سرقة الآنية الكنسية من كؤوس وصواني وصلبان ومباخر وكل ما تصله أيديهم من فضة وذهب ومعدن ثمين. ان العساكر بحاجة لشراء السلاح. الله وحده يعرف ماذا نهبوا وخرّبوا... وأين ذهبت هذه الآنية المقدسة وسواها...

فالمواد التموينية لم تصل إلى ميادين القتال لبعد المسافات ولصعوبة إيصالها وتأخر وصولها على الحيوانات كالأحصنة والبغال والحمير والأبقار... وما كان يصل إلى جهة القتال بسبب تأخره وكان يصل فاسداً. فان أكله الجنود تسمموا وماتوا. وقد بلغ عدد الموتى يومياً أكثر من ستة آلاف جندي كما أكدّ أحد الأطباء.

ܐܘ ܚܢܢܐ ܡܪܢ ܡܛܠ ܡܢܐ ܚܙܐ ܠܟܐܢܐ ܕܡܬܪܕܦܝܢ ܘܡܫܬܘܫܛܝܢ ܥܡ ܥܒ̈ܕܝܟ. ܢܣܝܪ ܐܫܥܝܐ ܒܡܣܪܐ ܘܪܕܝܦ ܕܘܝܕ ܘܕܢܝܐܝܠ ܒܓܘܒܐ ܕܐܪ̈ܝܘܬܐ ܘܫܡܘܢܝ ܒܕܝܢܐ.

ܘܒܢ̈ܝܗ ܕܥܡܗ ܡܬܕܝܢܝܢ ܘܡܢܘ ܥܒܕ ܕܝܢܐ ܕܓܒ̈ܝܐ ܕܠܐ ܠܓܒ̈ܝܐ. ܚܘܣ ܘܐܬܪܚܡ ܥܠܝܢ ❖

أيها الحنّان ربنا. لماذا ترى الأبرار مضطهدين وتهمل عبيدك. فاشعيا النبي مات منشوراً وداود النبي مطارداً، ودانيال أُلقي في جب الأسود والشهيدة شموني وأولادها السبعة يُظلمون في المحكمة. فيا من ينصف مختاريه المظلومين. أشفق وتحنن علينا.

من كتاب الإشحيم الصلاة الفرضية

يوميات المؤلف

في دير الزعفران – ماردين

مذ نشبت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، أخذت بقدر ما استطعت، ان أدوّن الحوادث المهمة التي كنت أعاينها أو أسمعها من بعض الناس الصادقين، لشعوري كما كان شعور كثيرين، ان هذه الحرب لن تطول إلى بضعة أشهر. غير ان ظننا قد خاب، فالحرب امتدت أربع سنوات. بيد ان المصائب والآلام والمشاكل من قتل واضطهاد وسرقات وجوع وأوبئة وكل أنواع الإبادة التي مورست خلال هذه الحرب كانت بمنـــزلة قرن كامل وليست في مدة أربع سنوات... فيا للعجب.

مساء يوم الاثنين الثالث من آب سنة ١٩١٤، شاعت المعلومات ان مملكتي النمسا وألمانيا أثارتا حرباً ضد روسيا وإنكلترا وفرنسا. وفي اليوم ذاته، صدر أمر جازم بجمع القوات والعساكر. وكنت تسمع في الأزقة والبيوت أصوات البكاء والألم والآهات تصدر عن الأمهات والأخوات.

ويوم الخميس السادس من شهر آب ١٩١٤، ساقوا إلى الجندية مئة وخمسين شخصاً. وكانت هذه القافلة خامسة اعتباراً من ٣ أيار. وكانت هذه القوافل ترسل إلى آمد (دياربكر) وبدون مؤونة وطعام، ومعظم العساكر حفاة الأقدام في تلك الأيام الحارة القاسية من شهر آب (طباخ).

ويوم السبت ٨ آب ذاع خبر ان الممالك قد تصالحت وعقدت صلحاً وسلماً بينها ففرح الناس فرحاً عظيماً وأطلقوا عيارات نارية تعبيراً عن بهجتهم.

ولما سمع والي ماردين، أصوات الضجة التي يثيرها الشعب ببنادقهم ظنّ ان المسلمين ثاروا على المسيحيين، لأنه كان على علم ان المسلمين يجتمعون كل ليلة سراً ويتآمرون على قتل المسيحيين (النصارى) ذلك لأن الحكومة سبقت وجمعت كل أنواع السلاح من المسيحيين، وأرسل الوالي دعاة ينادون ان لا صحة لوفاق الممالك وصلحها فالحرب قائمة ومستمرة و لم تتوقف.

وهكذا تبدّل فرح تلك الساعة إلى ألم ومعاناة وضيق وحزن وساقوا في تلك الليلة أيضاً من ماردين حوالي مئتي شخص رجالاً وشباباً.

ويوم الأحد ٩ آب حضر رجال من مدينة الصَور (ܨܘܪܐ - ܗܘܪܐ) ليدفعوا ذهباً كبدل عن الخدمة. فقال لهم الحاكم، ان هذا الأمر قد تقرر للمسيحيين فقط. إذ كان القرار أن تحصل الحكومة على خمسين ليرة ذهبية كبدل عن الخدمة عن كل سنة. ثم ما لبثت ان قررت الحكومة ان تحصل من المسلمين ضريبة البدل أسوة بالمسيحيين.

ومن هذا اليوم بدأ الرؤساء والمسؤولون والمختارون من المسيحيين (السريان والأرمن والكاثوليك والكلدان والبروتستانت) ان يفصلوا ويميّزوا أسماء الرجال الذين هم في سن الخدمة العسكرية أي من العشرين إلى سن الخامسة والأربعين وقيمة البدل خمسين ديناراً ذهباً.

وكثيرون من المسيحيين دفعوا هذا المبلغ كبدل عن الخدمة. وبقوا في بيوتهم. غير انهم لم يُعفوا من الضرائب والجزية التي كانت تُفرض عليهم بدون انقطاع. وكانوا يدفعونها بإرادتهم المطلقة وكثيراً ما أجبروهم وألزموهم بها و لم ينجوا و لم يسلموا من هذه المظالم العاتية التي تحمّلوها رغماً عنهم.

ويوم الأربعاء ١٢ آب صدر أمر أن تذهب القوات إلى بغداد لأن آمد (دياربكر) لم تعد تستوعب العساكر. وأمر الوالي أن يُرسَل معهم سلاح كثير. وإذ لم تكن المملكة (الحكومة) تملك حميراً وبغالاً لتحمل السلاح وتنقله، صدر أمر آخر ان تصادر كل الحمير والبغال الموجودة في أسواق المدينة وحاراتها.

وكذلك ذهب مرسلون من قبل الوالي وجمعوا من القرى الحمير والبغال والأحصنة وحمّلوها وأرسلوها إلى بغداد. وتعهدوا لأصحابها ان يعيدوها إليهم بعد عشرة أيام. الله وحده كان يعلم متى ستعود هذه الدواب أو متى سيعيدوها.

في هذا اليوم، اليزيديون (*) سكان قرية (باجنّة) رفعوا علم التمرد ورفضوا تسليم شبابهم ومنعت ذهابهم والتحاقهم بالعسكرية. فأرسل والي ماردين فرقة من الجيش لتحاصر القرية وتجبر أهلها على الاستسلام، إلاّ ان الجنود فشلوا وعادوا خائبين.

يوم الخميس ١٣ آب شاع نبأ ان ألمانيا هزمت فرنسا، وفي هذا اليوم كتب هالي طور عبدين إلى والي ماردين مبدين استعدادهم ان يخدموا وينتسبوا إلى لجندية شريطة ان تسلّمهم الحكومة سلاحاً وبنادق. وهم مستعدون أيضاً ان يقوموا بواجبات عساكرهم وجنودهم من طعام وكساء وكل حاجاتهم.

وفي هذا اليوم خرج الضباط والقادة يجولون في أسواق وشوارع مدينة ماردين، وسيوفهم على خواصرهم، وهم يدوّنون ويسجّلون موجودات وبضائع الحوانيت وكل ما يملك التجار. وتعهدوا لهم اننا لن نأخذ منكم إلاّ عشرين بالمئة من موجوداتكم وبضائعكم والباقي يبقى لكم.

(*) اليزيديون فئة من الماندية ديانتها مزيج من اليهودية والمسيحية والإسلام يقيمون في منطقة ماردين والجزيرة السورية وسنجار وبحزاني وبعشيقة من ولاية نينوى في العراق. (المترجم).

ويوم الجمعة ١٤ آب تابع الضباط التجول في الأسواق والأزقة، وطفقوا يسرقون من الحوانيت والمحلات التجارية كل ما يحسن لهم. وشاع أيضاً الخبر المرير ان الحرب هي عالمية، والمملكة العثمانية أعلنت الحرب على روسيا.

وفي فجر يوم السبت ١٥ آب الذي هو عيد انتقال العذراء مريم (ܫܘܢܝܐ ܕܡܪܬܝ ܡܪܝܡ). نادى المنادون في الشوارع إلى كل شاب مريض أو متزوج من فتاة يتيمة أو هو معاون لوالده الشيخ. هو معفى وغير ملزم بالخدمة العسكرية. وقد بعث الإعلان طمأنينة وارتياحاً في قلوب الناس.

وفي هذا اليوم نشرت الجرائد والصحف التركية ان بريطانيا وفرنسا انتصرتا على ألمانيا والنمسا في البحر والبر، أما روسيا فقهرت ألمانيا في اليابسة على الأرض.

ويوم الأحد ١٦ آب بعثت الحكومة جنوداً وضباطاً ليستولوا على الأسواق ويفرغوها من كل محتوياتها من الثياب والقماش والفحم والسمن والزيت والقمح (الحنطة) وسائر المواد وينقلوها إلى السراي لسد حاجات العسكر والمقاتلين والمحاربين. وكثيرون من المسلمين كانوا يشتمون هؤلاء الحكام والقادة اللصوص. فدبّ الرعب والهلع في قلوب المواطنين في المدينة والقرى المجاورة والمحيطة.

وفي هذا اليوم أيضاً غادر المطران مار ايوانيس الياس هلولي دير الزعفران إلى البطريركية في ماردين ليتسلم مسؤوليات المطران قوريلوس جرجس المعاون البطريركي وكان شيخاً طاعناً في السن ومريضاً.

وفي مساء هذا اليوم نادى المنادي قائلاً بدأ الفرمان [*]. فوضعت إشارات وعلامات على أبواب الكنائس تقضي ان يكتب كل الرجال المسيحيين من ابن

[*] الفرمان (ܦܪܡܢܐ) كلمة تركية تعني إعلان الحرب والاضطهاد بإذن من السلطة ضد المسيحيين. (المترجم).

الثلاثين إلى الخامسة والأربعين لينظموا في صفوف الجنود والعساكر. وأمهلوهم لمدة ثمانية أيام ان كانوا يرغبون في دفع البدل وهو بقيمة خمسين ليرة ذهباً. وفي تلك الليلة قصد كثيرون دار الولاية ليدفعوا البدل، إلاّ ان الوالي أجّل ذلك ولم يسمح لهم بدفع البدل حتى الصباح. ولما ذهبوا صباحاً ليسجّلوا أسماءهم وجدوا ان المسجلين هم مسيحيون بدون تمييز بين مذاهبهم. وبهذه الطريقة تمكنوا من الحصول على أسماء المسيحيين الذين صاروا لقمة سائغة وسهلة للانقضاض عليهم وأبادتهم.

ويوم الجمعة ٢١ آب سمعنا ان النار نشبت في أسواق دياربكر، فأتت على ألف وخمسمئة وثمانية وسبعين محلاً تجارياً ودكاناً ومركزاً حرقتها. وجميع هذه المحلات كانت ملكاً للمسيحيين. وهذه كانت بقرار من والي دياربكر الرجل الشرير الذي تواطأ مع بعض المسلمين قبل ثلاثة أيام وخططوا لإنجاز هذا العمل الشرير. واستمرت النيران تلتهم هذه المحلات التجارية فاحترق ما احترق وسرق هؤلاء الأشرار ما سرقوا ونهبوا من أموال المسيحيين الأبرياء. وقد تضرر المسيحيون كثيراً وعانوا أشد المعاناة وخسروا كل مقتنياتهم، وواسفاه. قصدوا الوالي وشكوا أمرهم إلى من هو **حاميها وحراميها**. فعادوا صفر اليدين ولم يحصلوا على شيء، **بل نالوا قسطهم من التوبيخ والتأنيب والاحتقار ... هذه عدالة الأرض بحكامها الظالمين ... ربنا ارحم واستر.**

ويوم السبت ١٩ آب ١٩١٤ ما بين الظهيرة والمغرب سيطر على الأرض ظلام كثيف ومعتم جداً، حتى كدنا نرى النجوم في وسط السماء واستمرت الظلمة مدة ساعة وعشر دقائق (٧٠ دقيقة) ثم انجلت الطبيعة وعاد النور رويداً رويداً ليعم كرة الأرض.

يوم الاثنين ٢٤ آب انهال العسكر والقوات على الدكاكين والحوانيت في مدينة ماردين وسرقوا ونهبوا كل الموجودات في المحلات التجارية من قماش ونسيج الصوف والقطن والجوارب والأحذية للباس الجنود.

وفي اليوم التالي حمّلوا هذه البضاعة والمسروقات مئة حمل وأرسلوها إلى دياربكر. وعند غياب شمس هذا اليوم ذهب في طريق الموصل ثلاثمائة وخمسون رجلاً مقاتلاً مدججين بالأسلحة.

وقيل أيضاً ان هؤلاء الجنود كانوا في طريقهم إلى طورعبدين لالقاء القبض على قائد بطل يدعى (علي بطي) الذي تمرد على الحكومة والسلطنة مع رجاله الذين يبلغ عددهم الألف.

ويوم ١٤ أيلول الذي هو عيد الصليب (**ܥܐܕܐ ܕܨܠܝܒܐ**) هجم العسكر على كنائس المسيحيين وألقوا القبض على المسيحيين من كهنة وشمامسة وعلمانيين وساقوهم إلى السراي. ولم ينج من أيديهم إلاّ من تمكن سراً ان يعطيهم مالاً كرشوة. وكان هذا شأنهم كل يوم أحد فيقصدون الكنائس ويسوقون الرجال والشباب. **ولشدة الخوف والفزع والرعب امتنع كثيرون من الذهاب إلى الكنائس للصلاة.**

ويوم السبت ١٩ أيلول ١٩١٤، الويل من هذا اليوم. في هذا اليوم سيق حوالي مئتي شاب مسيحي إلى دياربكر. وهم يحملون بعض المؤونة وودعهم ذووهم إلى خارج المدينة إلى عين ماء تدعى (عينسنجة) والنساء يبكين ويولولن والأطفال يبكون على بكاء الأمهات.

ويوم الأحد ٢٠ أيلول ساق العساكر حوالي ثلاثمائة شاب مسيحي وقادوهم إلى خارج ماردين.

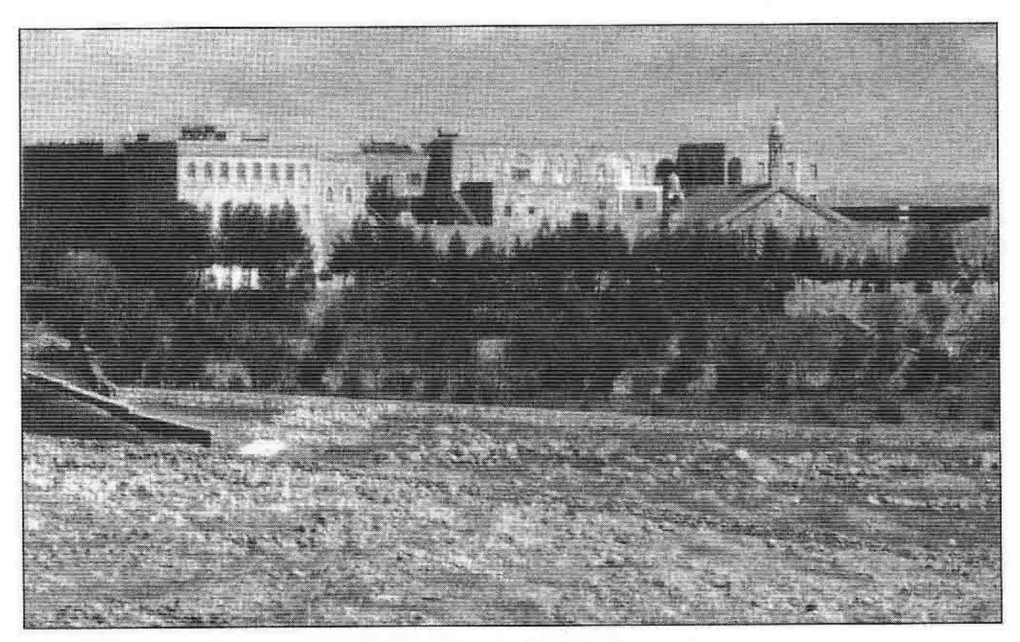
ويوم الاثنين ٢١ أيلول ساقوا قافلة أخرى يفوق عددها المئتين والخمسين مسيحياً، وهكذا في مدة ثلاثة أيام أي ١٩ و٢٠ و٢١ أيلول سيطر حزن وخوف على ماردين. فكنت ترى الشوارع والأسواق والساحات فارغة خالية من الشباب وفي كل بيت تعاين حزناً وألماً ودار عزاء وبكاء ونحيب وألم ... **نجّنا يا رب ...**

ويوم الثلاثاء ٢٢ أيلول جاء رجال من قرية القصور وتل موزلت (ويران شهر) (*) وقلعتمرا وهذه قرى مسيحية وكانوا أربعمئة وأربعين نفساً ليكتتبوا في الخدمة العسكرية وكان معهم شيوخ ونساء وأطفال وهم يودعونهم لشعورهم انهم ذاهبون إلى الموت والفناء.

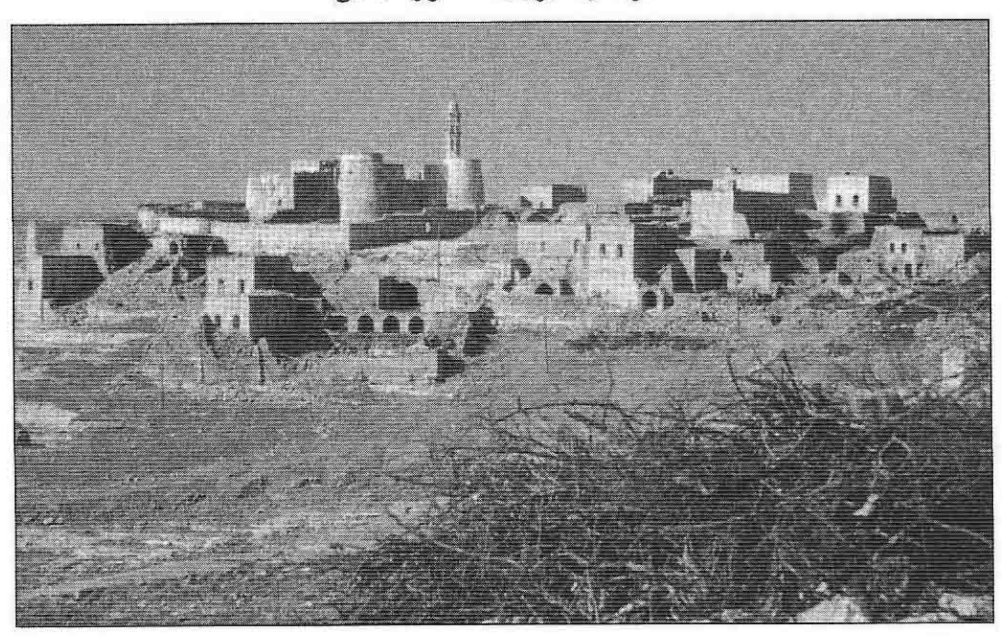
تأمل أيها القارئ هذه المآسي التي لا يصدّقها عقل.

ربنا رحماك الطف بعبادك.

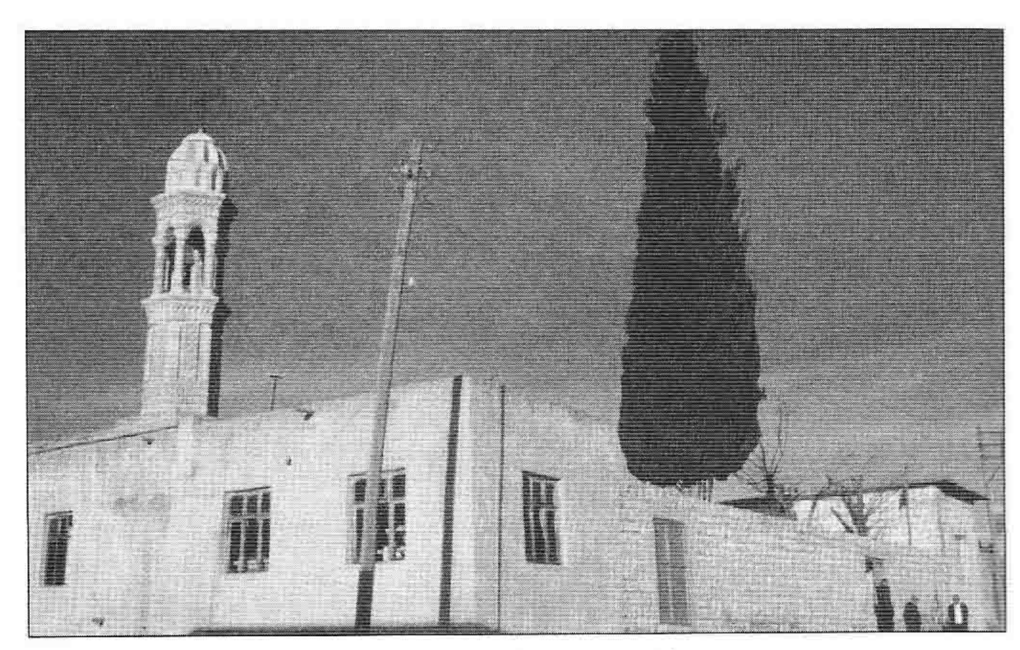
(*) القصور وقلعتمرا من قرى ماردين الأولى في سهلها والثانية مجاورة لدير الزعفران. أما ويران شهر فهي مدينة تاريخية ولد فيها القديس مار يعقوب البرادعي المجاهد الرسولي الأكبر عام ٥٠٠م، يسميها الأتراك اليوم (ويران شهر) واسمها السرياني التاريخي تل موزلت (تلة الفلك) أو برج الفلك (ܡܘܙܠܬ) (المترجم).



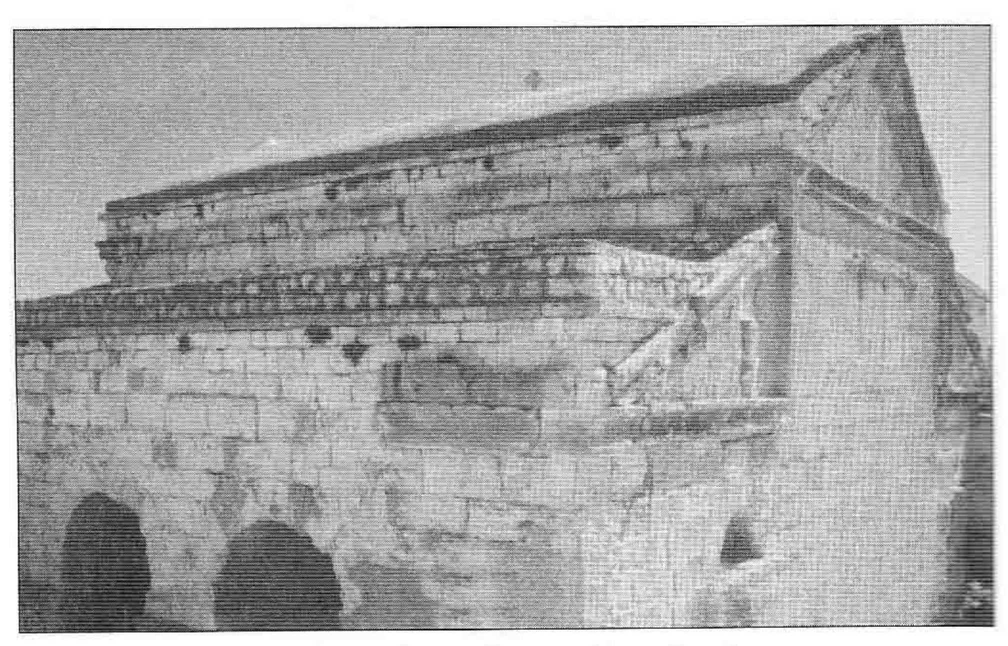
دير مار كبريال – طور عبدين



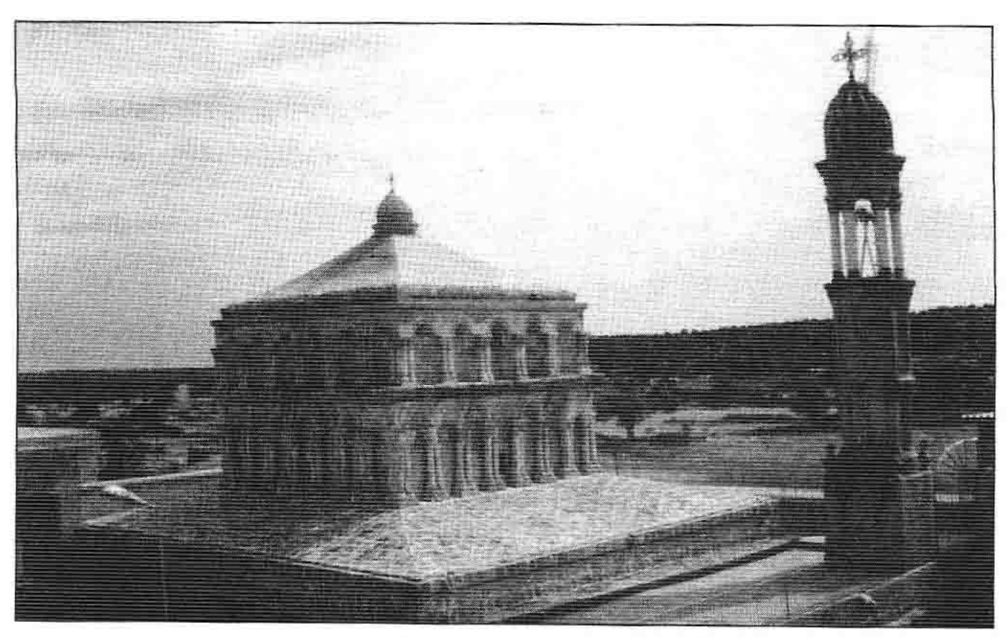
كنيسة مار حاد بشابو – عين ورد، البلدة التي صارت سفينة النجاة للمسيحيين في حرب الإبادة عام ١٩١٥



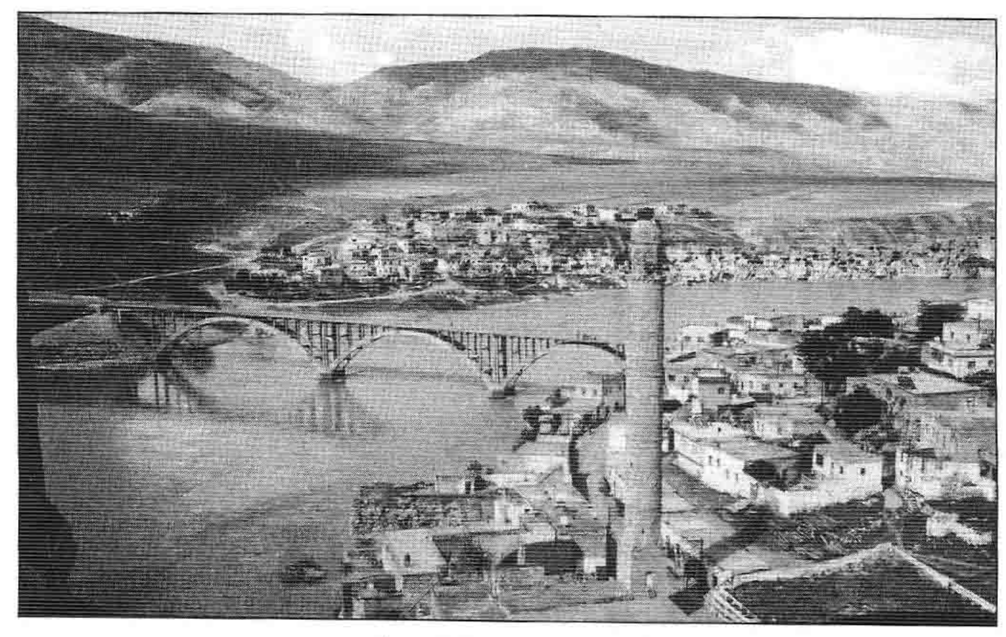
كنيسة مار يعقوب – نصيبين



دير مار يعقوب الحبيس – قرية صالح – طورعبدين



كنيسة العذراء - حاح - طور عبدين



حصن كيف - ܚܨܢ ܟܐܦܐ - طورعبدين

الباب الرابع

همة تركيا في الاستعداد للحرب

وفيه واحد وأربعون فصلاً

الفصل الأول :

جمع الحنطة (القمح) والفحم وسائر الآلات والأدوات للقوات

يوم الثلاثاء ٦ تشرين الأول ١٩١٤، طلب المسؤولون في الحكومة من رؤساء الأمة وأجبروهم ان يجمعوا من المسيحيين القمح والحنطة لأجل تغذية وتموين العساكر. فأدى المسيحيون ونفّذوا هذا الأمر بكل خضوع وطاعة. فأرسلوا نصف الكمية من الحنطة المسلوقة إلى دياربكر. والنصف الثاني لا نعرف إلى منازل أي من حق هؤلاء الطغاة قد أرسلت.

ويوم الخميس ٨ تشرين الأول أرسل والي ماردين قوات إلى البرية وجمع منهم ثلاثمائة ألف رأس غنم، وأرسلوا بعضها إلى ديار بكر والباقي ذبحوها وسلقوها وقلوها ووضعوها في حاويات وصناديق لإرسالها إلى العساكر. وكل هذا اللحم فسد وما سلم من هذه اللحوم صار من نصيب الضباط والرؤساء الذين هم شركاء الضباط في كل ما يجمع.

ويوم ١٢ تشرين الأول هجم الجنود على البيوت وجمعوا ونهبوا كل ما وجدوا من السمن.

وفي اليوم التالي طلبت الحكومة من الشعب ان يجهّزوا أكياساً وأجواداً ومحامل وملأوها مؤونة ليرسلوها إلى المحاربين.

ويوم الأربعاء ١٤ تشرين الأول بعثوا مئة حمل جمال من القمح إلى دياربكر.

ويوم الخميس ١٥ تشرين الثاني رُفعت اعلانات على الأسوار والساحات العامة في المدن مكتوباً عليها : **صدرت اوامر ملكية انها حرب مقدسة ضد فرنسا وإنكلترا وروسيا.** لأن ملك إنكلترا يتوعّد المسلمين ويرغب في ابادتهم كلياً وهو يقول : **لن يكونَ أمن وسلام في الأرض ويعيش العالم براحة إذا لم يُلغ كتاب (القرآن).**

وهذا الافتراء روّجه الألمان ليحوّلوا المسلمين وحرّضوهم على الحرب وكذلك ليثيروا البغضاء والحقد على المسيحيين المقيمين في بلاد تركيا (العثمانيين).

ويوم الخميس ١٩ تشرين الثاني اجتمع المسلمون في المساجد وبدأ الإمام يخطب في المسلمين ويحثّهم ويشجّعهم على الحرب على الأعداء قائلاً : ان دولة البلقان قد شنّت حرباً على تركيا والإنكليز احتلوا البصرة جنوب بغداد، والروس يلقون القذائف على مدينة (ترابزون) فمن هنا يجب على كل مسلم صغيراً كان أو كبيراً ان يقدّس الحرب ضد هؤلاء الأعداء. فاذبحوا واحرقوا وأريقوا دماءهم وأبيدوهم كليّاً حتى تتحرر أمة محمد من مبغضي إيمانها وعقيدتها.

ويوم الأحد ٢٧ كانون الأول احتلّ القوات العثمانيون أربع مدن روسية من منطقة (صاري قاميش) فهجم عليهم الروس وأعادوا المدن الأربع واسروا تسعين ألفاً من الأتراك، ولم ينجُ منهم أحد من المصابين الجرحى أو المعاقين أو مقدّمي المؤن.

أما انور باشا والقائد الألماني في المنطقة فهربا خفية سيراً على الأقدام في عمق الظلام ليلاً ووصلا إلى مدينة ارضروم.

الفصل الثاني :

بداية قتل المسيحيين

يوم الخميس ١٨ شباط ١٩١٥، صدر أمر بقتل وإعدام اثني عشر شاباً من قرية **قره باش** لأنهم هربوا من الخدمة العسكرية كما أعلن المسؤولون العثمانيون. وهذه هي حكايتهم. عندما ألقي القبض على هؤلاء الشباب سيقوا إلى الجندية. وقبل ان يخرجوا من دياربكر ليذهبوا إلى ميدان الحرب والقتال. هرب هؤلاء الشباب من منطقة في دياربكر تدعى (تختا قلعة). وعندما استجوبوهم في المحكمة عن طريقة هروبهم ومَن أسرهم ؟ أجابوا من (جنا قلعة) أما المستنطقون والحكام فلم يكتبوا (تختا قلعة) بل كتبوا انهم هربوا من (خيا قليا) وهذا المكان هو ساحة القتال وأرض المعركة، فاعتبروهم خونة. وهذا ما برّروا به قرارهم بإصدار حكم الإعدام بحقهم فوزعوهم على المدن وأعدموهم، اثنين في ماردين واثنين بالمدينة واثنين بخربوت واثنين بالرها وأربعة بدياربكر ليثيروا الرعب والخوف على سكان هذه المدن.

أما الشهيدان المعدومان في ماردين فهما نعمان وعبد النور حيث قُتلا في جنوب مدينة ماردين وجنـزّهما القس داود انطون ودفنهما في كنيسة مار ميخائيل جنوب ماردين (محلة المدبغة) وكان من جراء قتل وإعدام هؤلاء الشهداء الأبرار، ان مهّد العثمانيون ليفتحوا الباب ويجدوا علّة ومبرّراً لقتل المسيحيين وإبادتهم. إلاّ ان مطران الأرمن في دياربكر تصدّى لهؤلاء الظالمين، وقد سعى ان يدفع للحكومة مبلغ خمسين ألف دينار ذهب فداء عنهم، ولم ينجح بل رفضوا وساطته ومسعاه.

وقام مطران الأرمن في دياربكر وأعلن حداداً وعزاء في الكنيسة ورتب لهم تذكاراً سنوياً يقيمونه في ذكرى هؤلاء الشهداء.

وهؤلاء الشباب كانوا **سرياناً جنساً وحسباً**. ولم تهتم بذكرهم كنيسة السريان فكرّمهم الأرمن وهذه هي اسماؤهم : **صليبا بن ارميا، وخضرشاه بن كربو، وعبد النور بن عيسى وآسيا بن سيده وخضرشاه بن ياقين، وبطرس بن حنوش، وحنا شاغولـــه، وكريم حنا ونعمان عبد الأحد وكره بت يعقـــوب وحنوش عاغير وبولس حنا.**

الفصل الثالث :

بدايات اضطهاد المسيحيين وقتلهم مباشرة

بعد قتل شباب **قره باش** الاثني عشر، وعدم نجاح مطران الأرمن بتجنيبهم كأس الموت إن كان بدفاعه القانوني المستميت أو بالمال الذي تعهد بدفعه للحكومة، هناك اقتنع المسيحيون ان يد الشرّ استفحلت، لا سيما وقد عاينوا الضباط الألمان والنمساويين أية معاملة سيئة يعاملون المسيحيين ويعذّبونهم ويقتلونهم، على الرغم من شعور المسيحيين ان هؤلاء النمساويين والألمان هم مسيحيون، ولكن لسوء الحظ لم يكن للمسيحية في قلوب هؤلاء الظالمين أي مكان، بل كانوا أعداء المسيح وهم ينتمون إلى المسيحية بالاسم فقط.

ولم يكن موقف هؤلاء الألمان والنمساويين عدم مبالاة وحسب، بل كانوا يهزأون بالمسيحيين ويحرّضون المسلمين على قتلهم، خاصة وانهم لم يحرزوا أي انتصار على أعدائهم الإنكليز والفرنسيين.

وكانوا ينسبون كل هزيمة لهم إلى المسيحيين أبناء الأرض والبلد، وانصبّوا بكل قواهم ليجسّدوا غضبهم وحقدهم باضطهاد وقتل هؤلاء المسيحيين المظلومين والمغلوبين على أمرهم والذين ليس لهم من يعينهم إلاّ الله، والله وحده.

العثمانيون الذين رأوا موقف الألمان والنمساويين من المسيحيين، تشجعوا واتفقوا مع الأكراد وأغاواتهم بالتآمر على إبادة هؤلاء المسيحيين. فأخذوا يلفّقون أباطيل وأكاذيب وافتراءات على بعض الأفراد المسيحيين، وبدأوا يصطادونهم ويصفّونهم ويقتلونهم الواحد تلو الآخر.

ثم حاكوا مؤامرة فاسدة عليهم، ان المسيحيين هم خونة للوطن وهم جواسيس ضد الحكومة، وبدأوا يضطهدونهم بطردهم من بيوتهم وسَوقهم إلى المنفى وتصفية كثيرين بقتلهم ظلماً وعدواناً وبدون رحمة وصولاً إلى الإبادة الجماعية، فازداد الشر وتضرّجت السيوف بالدماء النقية البريئة وسادت الوحشية التي لا يستطيع ان يصفها قلم. وسالت الدماء ونُهبت أموالهم واملاكهم ومقتنياتهم وهُدمت الكنائس والأديرة وأحرقت القرى وأحياء المسيحيين بشكل لم يعرف له مثيل.

هذه المشاهد الحاقدة المجرمة القاسية الظالمة المتوحشة، قادتني ان أتوقف عن تصويرها بقلمي، ولم يبق لي مجال لأعبّر وأرسم صورة هذه الجرائم. وعليه قررت أن أنتقل من الكتابة عن الاضطهادات العامة إلى الاضطهادات الفردية.

أقول ان هذه المظالم التي أصابت شعبنا المسيحي من أيدي هؤلاء المجرمين الألمان والنمساويين والعثمانيين والأكراد وحلفائهم الأشرار، من يستطيع ان يدوّنها !

فأنا أشعر اني قاصر في كشفها وإعلانها وتشخيصها، لأن قناعتي مطلقة عندما ستأتي الأجيال المقبلة ولا سيما أولاد وأحفاد بعض من سلموا ونجوا من السيوف والإبادة قد لا يقبلون هذا الكلام. ولعلهم سيرونني مغالياً ومبالغاً في تصوير هذه المآسي، ومع ان استنكار هذه الجرائم هو أولى، ولكن معرفتها هي ضرورية كعبرة للتاريخ، وفي نفس الوقت هي تذكير بجرائم هؤلاء الذين هم بشر بالاسم ولكن بأفعالهم هم ضواري ووحوش، وليس للإنسانية في حياتهم محل.

لكن للحقيقة والتاريخ والشهادة الحقيقية ان ما أكتبه هو قليل وقليل جداً ولا أبالغ إن قلت إنه نقطة في بحر وقطرة في محيط.

وليتأكد القارئ العزيز ان القرن العشرين الذي توسمنا فيه خيراً ومدنية ورقياً وصولاً إلى الحرية والنور، قد أفرز هذا القرن، وا أسفاه، وحشية تجاوزت وحشيـــات عصور كثيرة عبرت ومضت. فالحيوانات المفترسة في الغابات والقفار والبراري لم تتصرف ولن تتصرف بفظاعة هؤلاء المجرمين المتوحشين. ولا حول لنا ولا قوة إلاّ بالله الحنون ... كيف سمح ان يهلك شعبه المؤمن بأيدي هؤلاء العتاة الضواري المجرمين ... هذا سؤال كبير يجب ان يطرحه كل إنسان ؟.

الفصل الرابع :

حقائق ووقائع شاهدها عيون أناس معاصرين بما أصاب المسيحيين

بتاريخ ١ آذار ١٩١٥، صدر قرار عثماني في ولاية دياربكر، ان يسلّم المسيحيون سلاحهم، وخاصة الذين كانوا في الخدمة العسكرية.

وقادوهم ليعبّدوا الطرقات ويكسروا الحجارة وينقلوها على ظهورهم، حارمينهم من الطعام والماء حتى يخوروا فيموتوا جوعاً وعطشاً.

وهذه كانت بداية الأوجاع كما يقول يسوع في إنجيله الطاهر ... ولم يتوانوا في فرض أنواع العمل والأشغال الشاقة على هؤلاء المسيحيين. فمن كسر الحجارة ونقل التراب والحفر وملء الحفر وكل أنواع التعذيب والاضطهاد، كل هذا كان من نصيب هؤلاء الأبرار الأبرياء ...

فالذين صنّفوهم بين الحمّالين (العتّالين) كان مفروضاً على كل واحد منهم ان يحمل أربعين كيلوغراماً مؤونة أو سلاحاً، بالإضافة إلى ما يتعلق به من حقيبة وألبسة وخبز على أن لا يقل الوزن المضاف عن خمسة عشر كيلو غراماً، فيكون وزن ما يحمل ٥٥ كيلوغراماً. ويجب ان يسيروا بدون تلكؤ أو تعثّر إذا كان الموسم برداً أو حراً أو مشمساً أو مثلجاً أو ماطراً. وكان يراقب كل مجموعة أو فرقة ما بين عشرين إلى ثلاثين عسكرياً عثمانياً وهم ينهالون على هؤلاء المساكين بالضرب والسياط والشتائم. فكانوا يمضون في خدمتهم واضطهادهم حتى يستعجلوا ويسرعوا في سيرهم.

هؤلاء المسيحيون المعذّبون كانوا يعيشون في هذه المسيرة مرعوبين مذعورين خائفين ... وإذا صادف ان كلّ أحدُهم وقصّر ينهالون عليه بأنواع الضرب وبمطرقات حديدية وكعب بنادقهم، فيموت بعضهم ويجبرون الآخرين على حمله مع ما كان يحمله هو فتزداد المأساة. وكل قافلة ومجموعة إذا كان عديدها مئة يصل منها ثلاثون شخصاً أو أقل بسبب الجوع أو العطش أو الموت أو الإرهاق الشديد والتعب المضني ... وأنواع الضرب والتعذيب.

رحمتك يا رب.

الفصل الخامس :

القتل والإبادة

يوم الجمعة ٩ نيسان١٩١٥، أمر والي دياربكر (الياور) أي مرافقه المدعو (شاكربك) الجركزي وكتيبة الجيش والعسكر، ان يلقوا القبض على وجهاء المسيحيين والمسؤولين عنهم ورؤسائهم، وفي مدة ثلاثة أيام اعتقلوا ألف ومئتي رجل ووضعوهم في مكان يدعى (مسافرخانة) أي بيت الضيوف.

وأمروا ان يعذّبوهم أشد العذاب وأمرّه. فبدأوا يكوون بعضهم بأسياخ حديدية نارية، وبعضهم يقطعون أصابعهم وغيرهم يقلعون أظافر أيديهم وأقدامهم بكلبتين وبعضهم يقطعون آذانهم وهم أحياء. وبهذه الوسائل الإجرامية عذّبوا أسراهم ووفّروا سلاحهم ولم يتمكن هؤلاء المظلومون من الدفاع عن أنفسهم.

ويوم ٢٥ نيسان ١٩١٥، ربطوا وأوثقوا هؤلاء المشوّهين بحبال وأخرجوهم إلى بوابة ماردين (إحدى بوابات دياربكر) وفي مدة نصف ساعة من السير وصلوا نهر دجلة. وكان هناك خمسة عشر كلكاً (*)وجهّزوها لنقل هؤلاء المسيحيين المحبطين والمظلومين ليذهبوا بهم إلى الموصل. وكان هناك خمسمئة جندي حتى ينقلوهم إلى مدينة الموصل في العراق.

أما القرار فلم يكن هذا، بل أرسل والي دياربكر رسالة إلى طاغية يدعى (عمركي) وأمره ان يخرج لاستقبال هؤلاء المشوهين ويوجّه العسكر ان يقتلوهم ويبيدوهم. أما (عمركي) الشقي الطاغية فأخذ معه مئة رجل أشقياء ومجرمين

(*) كلك (ܟܠܟܐ) كلمة سريانية وتعني طوافة نهرية كانت تستعمل لنقل البضائع في الأنهر. (المترجم).

ولصوص وخرج للقائهم. فصار هؤلاء الرجال والعسكر كدائرة حولهم وطوّقوهم. وبعد ان سارت هذه القافلة المظلومة لمدة يومين في النهر، وصلوا إلى قرية عمركي وتدعى (شكفته) أي المغارة على ضفة دجلة. وهناك نقلوهم إلى شاطئ النهر. وبعد ان عرّوهم من ثيابهم وكل ما كانوا يحملون ذهبوا بهم إلى وادٍ عميق وهناك قتلوهم ببنادقهم وأحرقوا جثثهم ولمدة ثلاثة أيام كان الدخان يملأ المكان.

وأخبرنا أحد الجنود الذي كان في إدارة (البرافة) قائلاً : جاءنا شخص وأعلمنا قائلاً : هناك قسيس ومعه ثلاثة رجال لم يموتوا رأيناهم يحملون شموعاً ويتجولون بين الجثث. ولما ذهب الجنود ولم يجدوا أحداً حيّاً ... ربما كان هؤلاء ملائكة حضروا لتجنيزهم. ولما عاد العسكر إلى دياربكر، تابع الوالي تصرفاته السيئة، فأمر ان يلقوا القبض على من بقي من الرجال. فاعتقلوا أيضاً خمسمئة رجل وخرجوا بهم إلى ظاهر المدينة، وبدأوا يقتلونهم، وهكذا امتلأت الوديان والسهول والآبار بجثث هؤلاء القتلى، شهداء الإيمان. وتلوّث جو المنطقة بروائح الجثث وآثار جرائم هؤلاء الوحوش ...

الفصل السادس :

قصة على فم شاهد من العمال

(شهادة أحد العمال والفعلة)

أحد الفَعَلة المدعو عبد المسيح تحدث قائلاً : في اليوم الخامس من آذار ١٩١٥، سُجّلتُ في صفوف العمال والفَعَلة، وقادوني في طريق صلب حتى أكسر الحجارة للطريق الرئيسية.

في ذلك الوقت كان مركز عملي في قرية (كوزلي) ومعناها الجميلة، التي تبعد عن دياربكر لمدة ثلاث ساعات، ونحن ثلاثمئة عامل. ولما وصلت لاستلام عملي فصلني القائد لأكون مسؤولاً عن فرقة (بلوك اميني)، والعمال كانوا يزدادون كل يوم ثلاثين عاملاً حتى بلغ عددهم ألف ومئة فاعل. وكانت العذابات والأتعاب والضراوة تزداد يوماً بعد يوم.

كان هناك ܛܪܡܘܢܐ مفوضون كثيرون من العسكر، مهمتهم مراقبة العمال. وكان هؤلاء يحمل كل واحد منهم عصا غليظة يضربونها على رؤوس العمال من الصباح إلى المساء، ولقساوة قلوبهم وظلمهم كل واحد منهم كان يكسر عصا أو اثنتين على رؤوس هؤلاء المغدورين. ويشدّدون عليهم ان ينجزوا عمل ثلاثة أيام بيوم واحد. وإذا تأخر وتخلف أحد العمال ولم ينجز عمله حتى المساء، كانوا ينقلونه ويحضرونه أمام القائد، والقائد بدوره كان يأمرهم ان يضعوه على الأرض فيجلس عسكري على رأسه وآخر على قدميه وينبري اثنان ليجلداه مئتي جلدة حتى تتحول ثيابه إلى دم. وبعد ذلك يكفان عن ضربه، وكثيرون كانوا يموتون تحت هذا التعذيب الوحشي.

ما أسوأكم أيها الظالمون القساة.

وفي أحد الأيام يتابع عبد المسيح المذكور، أمرني القائد قائلاً : خذ معك خمسين عاملاً، واذهبوا اجلبوا حجارة كبيرة من القاطع الثاني من جسر القرية (كوزلي). والمكان بعيد من محل إقامة العمال لمسافة خمس وأربعين دقيقة. وبينما كنا في هذا العمل الشاق والقاسي والعمال ينقلون الحجارة. وفي الساعة الخامسة، إذا بمركبتين حضرتا من دياربكر. قيل لنا ان والي المدينة حضر ليراقب العمال ويفتش عن أعمالهم.

ولما وصل إلينا نظر إلى الفعلة وتأمَّلهم جيداً ودعاني وهو لا يعلم إني مسيحي، وقال لي، ما مهمتك هنا، فأجبته يا سيدي، أنا عبدكم المؤتمن على الفرقة فقال لي، حسناً، لماذا تجعلونهم يحملون حجارة صغيرة ؟ هل أتيتم إلى هنا لتلعبوا وتتسلوا ؟ افتحوا عيونكم وانظروا جيداً ان هذه الحجارة المنحوتة يجب ان تُصبغ بالدم. فذهب إلى القائد وأمره ان ينفّذ هذا الأمر.

ومن تلك الساعة اشتد علينا شر هؤلاء الظالمين. وحُرمنا من الرحمة. الويل لنا فقد قست التعاسة علينا في حياتنا هذه المريرة.

ومن هنا، بدأ كل مسلم يتذكر، إن كان مسيحي قد قصّر معه، أو هو مدين له بمال. وحتى يتخلص من المسيحي ويعاقبه، كان يقصد بيته أو مكان عمله فيدعوه ويأخذه معه ويقتله ويرميه في الطريق وليس من يسأل عنه.

وتابع، وفي ظهر أحد الأيام بينما كنا نأكل خبزاً، وإذا بعسكري من هؤلاء الجنود الخمسين ويدعى (حسن سعدو) ومعه اثنان من الجنود رفاقه قصدوا القائد وقالوا له : هنا رجل من قرية (الكعبية) يدعى (مانوك) هو مطلوب في السراي فسلمه القائد إليهم. فربطوه من كتفيه وكأنهم ذاهبون به إلى المدينة وبعد مسيرة نصف ساعة من الوقت قتلوه على تلة تدعى (طلاتفه). وهذا مانوك كان بطلاً قوياً وكان بإمكانه مقاومة ثلاثين رجلاً منه. لكنهم بالمراوغة والخداع ربطوه وأوثقوه وقتلوه. **رحماك يا رب.**

أيها الزمن القاسي كم أنت مرير ؟ خاصة والأمور تسير بالعكس والمقلوب. وبعد أربعة أيام جاء هذا حسن سعدو ومحمد جعفر وجنديان وأخذوا (**بيشار ونيشان**) رجلين مشهورين ومعتبرين ونزلوا بهما إلى منحدر في الجهة الجنوبية لقرية (سيرمه). وهناك قتلوا هذين الرجلين الشريفين والوجيهين.

وفي صباح اليوم التالي جاء هذا حسن سعدو وابراهيم الطويل وخمسة جنود من هؤلاء الخمسين فقادوا أمامهم جبابرة أشداء هم : خورين وحاج وهاكوب وماكو وخورو وأوثقوهم وقتلوهم في منحدر ووادي قرية (المه).

ولما بلغ الشر هذه الحدود اللاأخلاقية أبداً، كان العمال والفعلة لا يكفون ان يصلوا ويطلبوا من الله ان يعجّل موقم وينجّيهم من هذه الحياة. لشعورهم إن استمروا عائشين وأحياء فإن عذابات قاسية تنتظرهم. وقناعتهم ان آخرقم هي الموت حتماً. فكانوا يغبطون الذين ماتوا ويموتون فالموت أرحم من هذه العذابات والشدائد المريرة.

وتملّكهم اليأس وسيطر عليهم الخوف والهلع والقنوط، إذ كانوا في نهارات حزيران الطويلة والحارة يبدأون العمل باكراً وحتى غروب شمسها بدون أية راحة أو توقف. وإذا توقفوا لبضع دقائق فمن أجل الطعام و لم يتوقفوا عن العمل إلا أيام الجمعة. وأما باقي أيام الأسبوع فالويل لهم الويل. وكانت ثيابهم سوداء كالزفت وأين لهؤلاء المساكين أن يجدوا ثياباً نظيفة ليرتدوها فكانت تنهداقم وأناقم وأصواقم ترتفع إلى السماء تطلب رحمة وفرجاً، هل أغلقت السماء أبوابها ونوافذها، فتسمع شكاوى هؤلاء المظلومين.

الفصل السابع :

تعذيب واضطهاد الفَعَلة

وتابع عبد المسيح قائلاً : في مساء أحد الأيام كنت في قرية (سيمه) أقدّم طعاماً للجموع، ماذا كان الطعام لو تدري ؟

رغيف خبز يشبه الفحم شكله، لعلّ الثعالب كانت ترفض ان تأكله. ولما صارت الساعة الثانية عشرة بدأ العمال يتقدمون، فجاء الصف الأول. أما عمال الصف الثاني والثالث والرابع وكان عددهم مئة وستين شخصاً فلم يحضروا. ولما سألت المراقب (ܡܛܢܚܢܐ) فأجاب ان القائد أمر ان يشتغلوا ليلاً لأنهم كانوا متقاعسين في العمل نهاراً. ولم ينجزوا العمل الموكل إليهم. واستمروا يعملون حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل.

أما انا فلم أتحمل هذا الضيق ولم أصبر على هذا الظلم ولجأت إلى القائد وأنا أتضرع إليه مقبّلاً يديه ورجليه قائلاً :

أمّان ... ارأف بهؤلاء المساكين المعذّبين وحيث انني كان لي لديه بعض الاعتبار، أذن ان يحضروا، ولئلا يتأخروا بمجيئهم ذهبت انا شخصياً أفضل من ان يذهب آخر ويتأخروا، فذهبت مع أحد المفوّضين ويدعى المقدسي حنا (يوحنا) وكنا نركض بسرعة فائقة رأسنا يسبق أقدامنا.

ولما بعدنا عن القرية قليلاً كنا نسمع صراخ الألم والبكاء والآهات. فركضنا كالطيور وكدنا نطير بالهواء غير آبهين للعثرات والسقطات التي كنا نتعرض لها. ولما وصلنا قلنا للمراقبين ان القائد أمر ان تصرفوا هؤلاء العمال فصرفوهم. وعرفت ان العصي الغليظة القاسية التي كان يحملها هؤلاء المراقبون قد تكسرت على أجسام هؤلاء العمال المساكين، فاستبدلوها بالحجارة التي كانوا ينهالون بها عليهم.

ولما عدنا في الطريق، كان المراقبون سريعي الحركة لأنهم لم يتعبوا. بينما العمال المساكين من شدة التعب كانوا غير قادرين على المشي.

لهذا ابتعد المراقبون عنا ورأينا العمال، من فُدغ رأسه في محلين وثلاثة وغيرهم وقد تكسرت أصابعهم، وغيرهم قد ازرقّت لحومهم لكثرة الضرب وانهيال العصي على أجسادهم. ويعجز اللسان عن وصف حالتهم التي تدعو إلى العطف والشفقة والحنان. ومثل أصوات الدبابير كنت اسمع أصوات تنهداتهم وبالجهد الجهيد وصلوا إلى القرية. و لم يدنُ من الطعام كثيرون منهم من شدة الآلام والأوجاع.

وهكذا لم يتمكنوا من الأكل حتى الصباح، حيث أيقظوهم من النوم وأخذوهم إلى العمل وكان من نتيجة عملهم الشاق المضني ان أوصلوا الطريق إلى قرية (حبشي) بمدة خمسة أيام.

وعلى الرغم من هذه الآلام والعذابات، حرموا العمال من الطعام. وخففوا من الماء إذ قنّنوا عليهم ذلك كأنهم يسقون منه مئة عامل بحصة عشرين عاملاً ... وكان هناك في قرب (حبشي) شخص يدعى (نادو) وجد فرحته في ذلك ان يجلب خبزاً من المدينة ويبيع الرغيف بخمسة أو ستة قروش فضة. وكان المراقبون يرفضون ان يطعموهم ويفرضون عليهم الجوع ... ومن شدة العطش نشفت شفاههم ولم يعد لسانهم يتحرك لينطقوا ويتكلموا. وكانوا يجهشون بالبكاء لمرارة الاضطهاد وبدون رحمة. والقلم هو أضعف من ان يصوّر مرارة حياة هؤلاء المظلومين ... هذا وشل من محيط آلام هؤلاء المقهورين التعيسين.

ونقلونا من قرية (حبشي) إلى سرسنك ومنها إلى (شيطان دارا) وتعني وادي الشيطان. ولم تكن على الطريق قرى لينام فيها العمال. وكانوا ينامون على الأرض ولحافهم وغطاؤهم السماء.

وهذه المنطقة قريبة من جبال (موش) التي تغطيها الثلوج عامة. وكان المطر يهطل غزيراً حتى الصباح. وكان البرد قارساً والعمال لا ثياب عليهم، عراة سوى أسمال بالية تغطّي بعض أجسامهم والمطر يبلّلها بمياه كثيرة. وفي هذا الطقس الماطر الصعب والبارد القاسي كانوا ينقلوننا إلى العمل. وهكذا فإن عشرين بالمئة أصابتهم أمراض قاسية ولم يسمح لهم ان يتوقفوا عن العمل.

فمن الصباح الباكر كنت أرافق القائد لتفقد المرضى. وهذا القائد كان يدعو هؤلاء المرضى المسيحيين (كافرين) فينادي كل واحد منهم يا كافر (كاور) قف على قدميك. ومن خوفه كان ينهض واقفاً. فيقول له مد لسانك وحالما يخرج لسانه كان القائد يضربه بسيخ من حديد حيثما أتت الضربة. وابدأ وعد الضربات فينتقل من مريض إلى آخر ضارباً وشاتماً. ويجبر المرضى مهما كانت درجة معاناتهم على الذهاب إلى العمل وهو يشير إلى عملائه قائلاً :

إن هؤلاء ليسوا مرضى بل يتمارضون ويتكاسلون ولا يريدون ان يعملوا. وما كان أقسى في تلك الساعة وأمرّ عندما كانوا يلزمون هؤلاء الضعفاء المرضى ليقوموا للعمل وهم أدنى إلى الموت وكثيرون منهم لم يفصلهم عن الموت إلا بضع ساعات أو أقل، وكانوا يميتونهم بالضرب وبالعصا والهراوات وسكاكين وأسياخ الحديد، ولا ينفكون عنهم حتى يذيقوهم أنواع العذاب، فيسقطوا موتى وشهداء.

وفي مساء الثامن من حزيران، دعاني القائد وقال لي في الصباح باكراً استيقظ وافرز حوالي مئتي عامل ليكونوا مستعدين. ونفّذت الأمر صباحاً. فأمر القائد الجنود ليأخذوا هؤلاء العمال إلى دياربكر.

أما أنا، ولأن معظم أهل ضيعتي وأقاربي كانوا معهم استأذنت القائد ليسمح لي بالذهاب معهم. وأنا أصرخ قائلاً، إن كانوا ذاهبين إلى الموت أو الحياة فأنا سأكون معهم. ولأنه كان يحبني كثيراً نصحني أن لا أذهب معهم قائلاً : هناك سيتعبونك كثيراً. فأجبته : فليكن ذلك. وهكذا بالجهد سمح لي بالذهاب معهم.

ومن هنا قادنا الجند مسافة أربع عشرة ساعة بعشر ساعات. ولما بلغنا قلعة العمال خارج المدينة شمالاً، حبسونا هناك لمدة ثلاثة أيام.

حينئذ حضر رئيس المهندسين وقائد الألف (الضابط) وأوصونا كثيراً عن العمل وهم يشجعوننا وأمروا المسؤولين عنا ان يضايقونا بالعمل. وقالوا لنا استعدوا لنذهب في طريق (بتليس) أما نومكم هذه الليلة سيكون في قرية (الكعبية) ولما دخلنا القرية لم نجد فيها ذكوراً (رجالاً) ولما رآنا الصغار ركضوا إلينا وحضنونا وهم يبكون ويتنهدون قائلين : يا آباءنا وأهلنا : المسلمون قتلونا قتلونا ... وأمام هذا المشهد كيف لا تتقطع نياط القلوب والعيون كيف لا تبكي دماءً بدلاً عن الدموع ... ولما رأى المراقبون بكاءنا وحسراتنا وتنهداتنا، أخذوا يضربوننا بعصى ثخينة وقوية، وينادوننا (كافرين) هل تظنون انكم ستحيون وتعيشون بعد. وهكذا هدّأونا وسكّتونا وخنقوا الكلمات والعبارات والعبرات والحسرات في قلوبنا. وصباحاً بدأنا نشتغل في طريق (بتليس).

أما العمال الذين بقوا في (نزلة الشيطان) في السادس عشر من حزيران هجم عليهم من دياربكر، صدقي ويحيى وثروت الطغاة المشهورون ومعهم حوالي مئة وخمسين عسكرياً وأخذوا معهم حوالي ثلاثمائة رجل كردي وهم مدججون بأسلحتهم ووصلوا إلى (نزلة الشيطان) حيث يوجد العمال. فطوّقوا المكان من كل الجهات وربطوا العمال بالحبال وقادوهم في طريق (سويرك).

وعندما وصلوا إلى فندق (قره جحو). هناك قتلوهم جميعاً وكان عدد القتلى حوالي مئة وتسعين رجلاً ولم ينجُ منهم إلاّ اثنان فقط، وهما هربا إلى دياربكر وقصّا علينا هذه الأخبار المفجعة.

ان جميع المسيحيين على السواء كانوا يقادون باسم السبي (**السوقيات**) ليموتوا. وفي التاسع عشر من حزيران، لما كنا نشتغل في طريق (بتليس) نقلونا من الكعبية إلى قرية (السعدية) وفي تلك الليلة إذ كنا في الهجيع الأول من الليل ونحن نستعد للطعام، وإذا بعسكر يطوّقوننا ويحتاطون بالمكان وسمعنا صوت قائدهم صدقي يصرخ بصوت عالٍ قائلاً : فليترل كل العمال إلى الأشغال.

ودبّ فينا الخوف وتملّكتنا الرِعدة ورجفت كُلانا وقلنا لقد حُمّ القضاء اننا مائتون وبدأنا نعانق بعضنا بعضاً ونتبادل السلام والوداع ببكاء وصراخ شديدين. وجمعونا في الساحة وأقاموا علينا حراساً يحرسون مداخل ومخارج الأسوار. فوقف أحد شمامسة الكنيسة أمامنا وقال :

لا تخافوا يا اخوتي. اذكروا كلمات الإنجيل الواهبة الحياة، لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، فإنهم لا يستطيعون أن يقتلوا الروح.

وبعد ساعتين من وقوفنا في الساحة، دعاني القائد شخصياً وقال لي : هل تعلم ماذا سيصير. قلت نعم، أنا أعلم ان آخرتنا قد دنت وجميعنا سنقتل ونموت. فاجابني وقال : أنتم لن تصابوا بأذى، لأننا سنفصل الأرمن من بينكم. أما أبناء الطوائف الأخرى فقد صدر مرسوم ملكي (سلطاني) بإعفائهم من الموت. وأخذ سجل العمال وبدأ يفرز الأرمن الواحد تلو الآخر. وفي الساعة الخامسة انتهى التدقيق والتفتيش.

ومجموعنا كعمال كنا مئتين واثني عشر شخصاً ظهر بيننا مئة وشخصان من الأرمن فقط وأفرزوهم من بيننا وعلى مرأى عيوننا ربطوا أكتافهم ببعض ووضعوهم في إسطبل (زريبة الحيوانات). وقال لباقي العمال اذهبوا إلى عملكم، وصلّوا من أجل الامبراطورية التي أعفتكم من الموت وسامحتكم. وفي صباح اليوم التالي أخرجوا الأرمن المساكين وما بين قرية قره باش والمطرية جرّدوهم من ثيابهم وعرّوهم وشلّحوهم وقتلوهم جميعاً.

وفي اليوم التالي سمعنا ان القائد صدقي مع ستين جندياً قصدوا العمال الذين يشتغلون في طريق ماردين إلى قرية تدعى (أقبينار) ومعناها العين البيضاء، وفرزوا الأرمن من السريان، وقام شاب يدعى (مكرديج) من قرية قره باش وجاء إلى القائد وقال له : أنا سرياني، فقال له القائد من يعرفك فأجاب (سليم بن بشارة) مختار قره باش يعرفني.

فدعوا سليم وسأله القائد هل هذا الشاب هو سرياني فأجاب سليم نعم انه سرياني. فصرخ القائد بغضب وبصوت مخيف، يا كلب هل هو سرياني واسمه (مكرديج) ونادى بالعسكر قائلاً : خذوا هذا (سليم) مع الأرمن فقادوه مع هؤلاء المساكين وقتلوهم في البستان قرب عين الماء.

أما نحن العمال الذين بقينا هناك، فكانوا يعاملوننا بقساوة لا تحتمل من الضرب بالعصي الغليظة وبدون رحمة ولا هدوء ولا توقف. وإذا صدفت وتأخر واحد من العمال لمدة عشر دقائق عن العمل كانوا يقتلونه بدون رحمة.

وأمضينا في هذه الحالة مدة عشرة أيام. وفي صباح اليوم الحادي عشر حضر رئيس المهندسين فدعانا لنذهب إلى دياربكر، وأخذونا جميعاً إلى دياربكر ووضعونا في فندق (رولا) وأمضينا هناك يومين.

وفي هذين اليومين لم يسمح للرجل الذي كان يحرسنا ليذهب خارجاً ليشتري لنا خبزاً أو يسقينا ماءً وشربنا كأس الماء بقرش فضة.

وفي اليوم الثالث حضر مدير الزراعة وقال لنا : سوف تذهبون إلى الحصاد، وبعث إلى كل قرية خمسة أو عشرة عمال. أما أنا وثلاثة عشر من أصدقائي أبناء قرتمين فأرسلونا إلى (فيزي بك) وهذا أرسلنا إلى (جناقجيا) (هوارجاي). وعندما وصلنا إلى هناك كان الأكراد يهددوننا كل يوم قائلين : لم يبق لكم سوى خمسة أيام في هذه الحياة. وبعضهم كانوا يقولون لا بل عشرة أيام وستموتون. ومن الهلع والرعب طار النوم من عيوننا وغابت الراحة عن عقولنا.

ولما كنا في تلك الحالة المتعبة القاسية والمؤلمة ونحن نتحمل آلام العمل من الصباح حتى المساء وقد انهارت وخارت قوانا. كان طعامنا بسيطاً جداً مع قليل من الماء ونحن نتحمل الجوع وأملنا مقطوع من الحياة. وكان الطعام ينزل إلى بطوننا كالحنظل والصبر والمرّ. وما أرهب ساعة الموت بيد الظالمين الذين لا يخافون الله ولا يقيمون أي اعتبار للإنسانية.

آه ما أقساهم وما أشد بطشهم وكفرهم.

الفصل الثامن :

هجرة المسيحيين والقتل في مدينة دياربكر

في هذا الوقت صدر أمر بإجلاء العائلات الأرمنية من آمد (دياربكر) وفي كل يوم كانوا يسوقون أربعين أو خمسين عائلة أرمنية. وذلك انهم في اليوم السابق يعلمونهم اننا سنأخذكم إلى ماردين أو سننفيكم إلى تل مورلت (ويران شهر) وكانوا يقولون للنساء اننا سننقلكن إلى أزواجكن في الموصل.

وبدأوا أولاً ببيوت الأغنياء والميسورين. وفي الرعيل الثالث من الليل يرسلون المركبات ويدعون الناس ليخرجوا ويركبوا في هذه المركبات. وهكذا كانوا يجرّدونهم من غناهم المادي وكرامتهم الإنسانية. وكان الجنود يرافقونهم إلى مدينة (دارا) ما بين ماردين ونصيبين. وفي تلك البقعة كانوا يقتلونهم ويلقون بجثثهم في الآبار والجبوب الكبيرة هناك.

ولم يكن قتلهم طبيعياً، بل كانوا ينادون ويدعون الطغاة والظالمين والأشقياء من القرى الكردية، المعدومين من كل أنواع الرحمة. ويبدأون بقتلهم متفننين. فمنهم من يقتلونهم بالفؤوس وغيرهم بالسيوف وكثيرين كثيرين بالمطارق والمكالب والمنشار. والأصوات تتعالى وتستغيث وليس من يجيب والذي قدّره الله ورحمه ألقى بنفسه في الآبار، ليموت أفضل من هذا العذاب القاسي.

وهكذا، نقلوا إلى هذه البقعة اثنتي عشرة قافلة فامتلأت الآبار بجثث هؤلاء الشهداء الأبرار. وانتقلوا من هناك إلى نزلة (دانبارجي) و(دوهك جيدي) و (هدا ركاي) و (عقبة) وخلاصة القول : إن جميع السهول والوهاد والوديان حول (دارا) امتلأت بالجثث.

وفي أحد الأيام كنا نجلس بقرب (دباره حاجية) وإذا بمراقب يقود قافلة من النساء والأولاد الأرمن الشرفاء والجميلين يسيرون في الطريق فوصلوا إلى جسر النهر، أمرهم الجنود ان يجلسوا ليشربوا ماءً.

وكنت أراهم يلبسون ثياباً نظيفة وجميلة. لكنهم كانوا يبكون بكاء مراً ذارفين دموعاً مرّة. وبعد ان شربوا ماءً وارتووا ابتدأ (الجركز) بتعقبهم.

فجرّدوهم من المال والذهب والمصاغ الذي كانوا يحملونه، ثم اضطهدوهم وهم يقودونهم، وكل عاجز أو شيخة أو ضعيفة غير القادرة على السير أو متابعة الرحلة كانوا يقتلونها. وكان الجنود يحيطون بالقافلة من كل جهة. وتبعهم الأكراد من الخلف وهم مسلّحون. ووصلوا بهم إلى قمة (كاورجاي) ومعناها جبل الكفّار (أي المسيحيين) قرب قرية (جولي) وأنزلوهم عند عين ماء قريبة. **ولن أتكلم عن البغاء والزنى وأنواع الرذيلة التي مارسها العسكر في تلك الليلة إلى اليوم الذي ستكشف فيه كل المستورات والخفايا.**

وفي الصباح بعد ان عرّوا القافلة وجرّدوهم من الثياب والمال وكل شيء قتلوهم جميعاً بحسب العادة. وبعد ذلك بثلاثة أيام كنت ماراً قرب رحى طاحونة (جناقجي) رأيت ولداً ابن عشر سنوات في النهر يسبح فخرج من الماء وقصّ لي كل ما جرى لهؤلاء الأبرياء، وسلّمته رغيفي خبز ونصحته ان يذهب إلى ديار بكر، على أن لا يعلم به أحد أو يراه أو يعرفه. إلا ان المنكود الحظ التقى راعي غنم فعرفه مسيحياً فقتله.

وبعد يومين أي يوم الجمعة لما كنا في القرية بسبب العطلة يوم الجمعة، وفي منتصف الليل سمعنا أصوات بنادق ورشاشات وقنابل وكأننا في معركة قاسية. ولما سمع الأكراد سكان القرية هذه الأصوات تدججوا بالأسلحة وجاءوا راكضين مسرعين. فدبّ الرعب في قلوبنا. وعند الفجر عاد الأكراد ومعهم خمسون رجلاً أشداء يقودون قافلة من النساء والبنات الجميلات وعرفت ان هذه المجموعة انتخبت من نعاج المجزرة. **وسألنا المسؤولين عنها. هل هذه القافلة آتية من دياربكر ؟ فأجابونا، لا بل هي من بلاد فيجي وبالو وسبسطيا ورأس القلعة (باش قلا) واورزنكان ومجموع هذه القافلة كان أربعين ألف شخص.**

وبحسب أمر القائد كان مفروضاً ان يُقتل منهم كل يوم ألفا شخص. ويجب على كل رئيس قرية أو ظالم ان يقصد قائد القافلة وينال حصته منها ويقتل من يشاء. وقائد القافلة كان يوصي هؤلاء الظالمين ان يقتل الكل ولا يدع منهم حياً. وهذا هو السبب في قتل اعداد هائلة من المسيحيين.

وبعد يومين أي يوم الأحد، بينما كان رفاقي العمال مشغولين في الحصاد. وأنا أجمع أكوام السنابل وبعد ان أرسلت كمية من الحصاد جلست تحت الخيمة لأرتاح قليلاً، إذا بفتاة ابنة عشر سنوات عريانة وعلى عنقها آثار الضرب وعلامات الاضطهاد تدخل الخيمة وتطلب ماءً لتشرب وكانت تتكلم باللغة التركية بكل براءة.

وبعد ان شربت، سألتها ان كانت تريد خبزاً فقالت نعم، وأعطيتها رغيفاً، وقطعة جبنة ولبناً وخيارة واحدة. وبينما كانت تأكل سألتها : من أين أنتِ يا ابنتي أليس لك أهل وأنسباء ؟ فأجابت أنا من مدينة (ارزنجان) كنت مع أمي وأختي وشقيقيّ الاثنين. وبسطت يدها وأشارت إلى هضبة مقابلة. وقالت أمس، العسكر والأكراد هجموا علينا وقتلونا. وكنت في أحضان أمي فقتلوها وهربت أنا إلى أخويّ ولما قتل شقيقاي هربت إلى شقيقتي فقتلوها هي أيضاً وجرحوني أنا وهربت من بين أيديهم، وسقطت على الأرض وأصابني دوار عظيم ودوخان و لم استيقظ حتى الآن وها أنا ههنا. ولما سمعنا أنا ورفاقي هذا الكلام أجهشنا بالبكاء المرير ونحن نتألم لهذه الحالة القاسية.

فنظرت إليّ وقالت : يا أبي أنا قربان لك خذني إلى القرية، (أي أطلب فداءك) وكان هذا الأمر صعباً علينا لئلا يراها المسلمون فيقتلوها على مرأى عيوننا، ونزداد حزناً على حزن.

فكّرنا ان أفضل حال لها هي ان تبقى في البساتين بين النباتات على ضفة النهر، ونحمل لها كل يوم طعاماً حتى يخفف الله عنها وعنا. وبينما كنا نفكر بهذا الأمر إذا براعيين يتقدمان من خيمتنا فأخفاها أحد رفاقي، وبعد يومين عندما ذهبنا لنأخذ لها طعاماً وجدناها قد ماتت. **أيتها العدالة حتى متى تصبرين ؟...**

ويوم الجمعة بينما كنا جالسين تحت الشجرة في القرية وبيننا ثلاثة من الأكراد رأينا خمسة أولاد في عمر الخمس سنوات عراة يقبلون إلينا. وفجأة عندما رآهم هؤلاء الأكراد انتفضوا وهم يهمسون بعضهم لبعض ان هؤلاء هم أبناء (الكفّار) هلموا لنقتلهم، ولما عاينهم الأولاد وعرفوا قصدهم من النهوض والتوجه إليهم، بدأوا يركضون هاربين. وطاردهم الأكراد وألقوا القبض عليهم في حقل أرزّ وألقوهم في الماء وبدأوا يدوسونهم ويطأونهم تحت أقدامهم حتى ماتوا. **وانتقلت أرواحهم إلى منبر العدالة الإلهية التي لنا الرجاء ان تنتقم للأبرياء.**

أما نحن فبسبب الحزن والضيق الشديدين اللذين تملّكانا دخلنا البيت وبكينا بمرارة وأسى. ولما خرجنا من البيت رأينا هؤلاء الأكراد يقصون لرفاقهم كيف قتلوا هؤلاء الأطفال الأبرياء، وبعد بضع ساعات سُمعت أصوات بنادق من تلك الهضبة. ولما سمع هؤلاء الأكراد الموجودون بقربنا تسلحوا ونهضوا ونادوا أهل الضيعة وركضوا مهرولين وهم يتبعون أصوات البنادق. ومساءً عادوا وكل واحد منهم يحمل ربطة ثياب كبيرة حصلوا عليها من جثث القتلى الذين شلّحوهم ثيابهم وعرّوهم.

وكان في هذه القرية رجل يدعى (صوفي حسن) هذا حمل معه ثلاث بنات من هذه القافلة.

أما أنا فلكي اطّلع على أخبار أولاء البنات قصدت (صوفي حسن) وسألته إن كان سيذهب غداً إلى المدينة. وأنا انتظر فرصة لأكلم أولاء البنات. وقد تبيّن لي انهن متعلمات ومهذّبات.

وفي صباح اليوم التالي بينما كنت أنزل في الدرج لأذهب إلى العمل رأيت النساء الثلاث يتبعنني وأحببت أن أعرّفهن اني مسيحي بطريقة لا يشعر بها الأكراد، اني أكلّمهن. وانتهزت الفرصة وكلمتهن سراً بالأرمنية وأنا سائر في طريقي. ولما سمعنني أكلّمهن باللغة الأرمنية تعجبن واندهشن، والكبيرة بينهن حدّثتني قائلة : هل أنت أيضاً مسلم. أجبتها : كلا يا أختي أنا مسيحي. ولما علمن ذلك فرحن جداً. وتقرّبن قليلاً وقلن هذا عجب لماذا لم يقتلوكم وقتلونا، ولم يدعوا منا أحداً حياً. فقلت لها : اننا سريان قديم (*) فقد أُعفينا من المجازر بقرار سلطاني ولكن بعد ان قتلونا وأفنونا ولم يفلت منا إلا قليلون وذلك من أجل مصالحهم. فتنهدت النساء وقلن : ليتنا وجدنا ذكوراً مسيحيين وحينئذ كان الموت سيطيب ويحلو. وسألتهن من أين أنتن يا أخواتي ؟ فأجبن : واحدة من سبسطية، وأخرى من ارزنجان والثالثة من قرى ارزنجان. وبينما كنا نتكلم، وإذا بامرأة كردية كانت تراقبنا من زاوية السطح. ولما رأيتها غادرت المكان وذهبت إلى عملي. ولما عدت مساءً وجدت النساء الثلاث جالسات على السطح ويتنهدن وهن غير قادرات على التكلم معنا ونحن كذلك.

وبعد ثلاثة أيام التقيتهن في مكان خلاء وأعطتني كبراهن (الكبيرة بينهن) ستين قرشاً فضة وقالت : خذ هذه النقود واصنع لك ولرفاقك طعاماً. فأجبتها :

(*) سريان قديم هذا كان اسم طائفتنا في الامبراطورية العثمانية تمييزاً لنا من السريان الكاثوليك الذين انفصلوا من كنيستنا وتبعوا روما عام ١٧٨٢. (المترجم).

انتن بحاجة أكثر إلى المال. فأجابت : هذا المال ينفعكم أنتم أما نحن فلسنا من اللواتي سنعيش إننا إلى الموت ماضيات وسائرات. وماذا نقول أيضاً لقد كنت أملك ستين ديناراً ذهباً وقد انتزعها مني (صوفي حسن) ولو كنت أدري بكم قبل الآن لوهبتكم هذا المبلغ ... وأطلب منكم ألاّ تتركونا. وصلّوا إلى الله من أجلنا. وقلت لهنّ وأنتن أيضاً لا تهملن الصلاة من أجل الآخرة الصالحة التي تنفعكن. فهذه هي مشيئة الله الذي سلّمنا لهذه التجارب. واذكرن كم من الشهداء بذلوا دماءهم من أجل المسيح ربنا. واننا نشكر الله انكن متعلمات وتعرفن ما هي المسيحية وما هي رسالتها. من أيام المصلوب على الجلجلة.

وتنفست النساء الصعداء وتعزين وقلن، اننا نتوسل إليكم ان تزورونا كلما وجدتم فرصة سانحة لأننا نتعزّى بوجودكم. ولما عرفن انني اتقن القراءة والكتابة طلبن منّي قائلات : إذا نجّاكم الله من هذه الشدة، اكتب هكذا : عندما سبونا من وطننا. كنا خمسين ألف نسمة وهذه مدة ثلاثة وخمسين يوماً ونحن في الطريق. وتذكرت حكمة الإنجيل المقدس : " ويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام " (إنجيل متى ٢٤). وتابعت : معظم النساء الحوامل عندما لم يتمكّن من متابعة السير قتلهن الظالمون وكذلك الضعيفات وأمهات الأطفال اللواتي لم يتمكن من حمل أولادهن والسير في السبي (السوقيات) وفي طريق الصحراء تركن أولادهن. أما أختي الكبيرة فكان لها ولدان تحمل هي واحداً وأنا أحمل الآخر.

فمرضت أختي في الطريق وتأخرت في السير فقتلوها وبقي الولدان بذمتي ومسؤوليتي. ولما وصلنا إلى هنا بقي عددنا أربعين ألف نسمة فقط ومن هنا نعرف آخرتنا. آخرتنا هي الموت وليس هناك من يقص خبرنا أو يؤرخ لمأساتنا أو يدّونها بكتاب.

ومضى عشرون يوماً وهنّ يتحدثن معنا ويتعزين وبعد ذلك بثلاثة أيام أصيبت الكبرى بمرض. وأجّل معالجتها (صوفي حسن) ثم جاء وقال لها قومي لآخذك إلى الطبيب في المدينة وظنّت المسكينة انه صادق في كلامه فذهبت معه. وبعد مسيرة عشر دقائق قتلها صوفي حسن ما بين قريتي (جناقجي ومقسي اوغلو) وعاد إلى بيته.

ولما عاينت الأخريان، ان صوفي حسن عاد سريعاً إلى المترل علمتا انه قتل صديقتهما الكبرى فحزنتا جداً ولشدة الحزن أصيبتا بمرض صعب. حينئذٍ زوجة صوفي حسن المدعوة (عائشة) طلبت منهما ان تذهبا معها إلى النهر قائلة لأنني أعددت لكما ماءً حاراً لتغتسلا وتستحمّا.

وعندما ذهبت النساء الثلاث تبعهن صوفي حسن وسلاحه بيده. وسمعنا صوت رصاص البندقية وكنا نحصد السنابل وشعرنا ان الصيادين جاءوا إلى ذلك المكان حيث كان مصدر الصوت من البستان. وفي طريق عودتنا مساءً إلى الضيعة رأينا الجثتين مضرَّجتين بالدماء وعرفناهما للمعلمتين المهذبتين الأرمنيتين. ولم نهدأ من البكاء الطويل والعويل حتى وصولنا إلى القرية.

ولما صعدنا إلى السطح سألت **صوفي حسن** أين هن بناتك المسيحيات ؟ فأجاب لقد نقلتهن إلى المدينة لأنهن مريضات. ثم فتح فاه وطفق يضحك كذئب مفترس. وكأنه فعل فعلاً شريفاً يستحق التقدير، ذلك القبيح الوجه والمجرد من الإنسانية والرحمة.

وفي مساء اليوم التالي، بينما كنت ذاهباً لأجلب حصان المسؤول عنا من ضفة النهر حيث كان يرعى، إذا بي أرى امرأة طويلة الشعر عارية تخرج من قلب البستان تتقدم مني.

وحيث انني تفاجأت بمنظرها، اندهشت وارتعبت قررت الهرب منها. فصرخت (امّان) قطعة خبز صغيرة اعطني ثم اقتلني. فقلت لها يا أختي انتظري هنا قليلاً لأذهب وآتيك بالخبز. فانطلقت وعدت بسرعة ومعي رغيف خبز. فناديتها لتأتي وتتناول الخبز من يدي و لم أسمع صوتها لأنها كانت تظن اني سأقتلها ... و لم تجب. ولما كررت القول مراراً : تعالي، لا تخافي أنا أيضاً مثلك مسيحي تعالي ... حينئذ قررت وجاءت إليّ وسألتني بحق الرب هل أنت مسيحي ؟ فأجبتها نعم. فقالت لي دعك سآتي إليك فألقيت إليها الثوب الذي عليّ لتلبسه فلبسته وأخذت الخبز من يدي وأرادت ان تطيل الكلام معي و لم اقبل خوفاً من الأكراد الذين لو رأوها تحدثني لقتلوها. قلت لها اذهبي واحرصي على نفسك.

ولما عدت إلى القرية إذا رجل من القرية يدعى (زلفو) يحمل سلاحه ويقصد البستان لأنه عاينها وأبصرها وقصد المكان ليقتلها. وقلت في نفسي من أجل كسرة خبز تموت هذه الإنسانة المسكينة، **فما أمرّ الزمان وأقساه**. وبينما كنت احدّث صاحبي سمعنا صوت طلقتين من البارودة وإذا بالأفندي (زلفو) يعود بعد بضع دقائق وعرفت انه ذهب إلى المكان ليقتلها ... **حنانك يا رب.**

وبعد ثلاثة أيام وأنا في الحقل المدعو (عرده دنكه – حقل الخبز) ونحن نحصد ذهبت لأجلب ماء مع أحد أصحابي ولما بلغنا ضفة النهر وبين العشب والقصب راينا هناك امرأة نائمة وبقربها طفلة ابنة ثلاث سنين. لو أيقظناها من النوم لعلها ستخاف وترتعب، وإذا لم نوقظها فالانتظار مر. وإذا بالمرأة تفتح عينيها وتستيقظ. وحالما أبصرتنا حملت ابنتها وألقت بنفسها مع ابنتها في النهر. فخاطبتها قائلاً : أيتها الأم لا تخافي ولا تهربي من مكانك نحن أيضاً مسيحيان مثلك فوقفت مكانها و لم تتحرك وهي تنظر إلينا ورأينا دماً يسيل من منخريها.

وسألتها من أنت فقالت لي من قافلة الأربعين ألفاً ... ألست جائعة ؟ كيف لا أكون جائعة وهذه ثلاثة أيام لي لم أذق طعاماً ... فعدت إلى الخيمة وحملت إليها أربعة أرغفة خبز ولبناً وبينما كانت تأكل مع طفلتها سألتها الطفلة : ماما هل هذا لن يقتلنا ... أجابت الأم كلا يا ابنتي. هذا هو خالك ولما سمعت الطفلة هذه الكلمة استعدت لتركض نحوي وأمام هذا المنظر بدأت أبكي. والأم تبكي وبعد ان نشّفنا دموعنا، قالت لي تلك المرأة : ماذا فعل بنا الرب ... أجبتها لعل خطايانا تجاوزت الحدود وسألتني ولماذا لم يقتلوكم أنتم أيضاً فأجبتها ونحن أيضاً أبادونا ولم ينجُ منا إلا قلة قليلة وذلك من أجل مصالحهم وأعمالهم ... ونحن أيضاً ننتظر آخرة قاسية وقلت لها الآن يا أمي دعيني أذهب بسلام. وأنت لا تغادري المكان لئلا يراك أحد فيقتلك وطفلتك، وأعدك انني سآتي إليك كل صباح ومعي طعام ونرى ماذا أعدّ لنا الله، وفارقتها.

وبحسب الموعد أخذت لها في صباح اليوم التالي أربعة أرغفة خبز وبعض البصل. وفي اليوم الثالث قالت لي بعد أن كلّمتها لمدة ساعة. يا أخي أنا مربكة. فأجبتها : ان الله حنون ورحوم. وتلك الطفلة بلغتها البريئة حتما كانت تراني كانت تقول لقد جاء خالي. وكلما كنت أسمع هذه الكلمات الحلوة، نياط قلبي كانت تتمزق لمرارة الألم والتنهدات التي كنت أعاني منها.

وفي صباح اليوم الرابع ذهبت إليها فوجدتها ميتة وفحصت جثتها ولم أجد مكاناً لجرح أو لطعنة وعلمت ان أمر الله حل بها فماتت. وبقيت طفلتها وهي لا تدري ان أمها قد ماتت. وقلت لها إن كانت تريد خبزاً قالت نعم أريد، وأطلب منك ان تنقعه في الماء لآكله طرياً. وبدأت الطفلة تأكل الخبز وأنا أبكي ... فتركت الأم المائتة وطفلتها قربها.

وفي اليوم التالي جئت ورأيت الطفلة تبكي وهي مرتمية على صدر والدها وتصرخ : أمي أمي قومي لقد جاء خالي ... وكانت الجثة منتفخة وأعطيتها الطعام وغادرت المكان ...

وفي اليوم التالي، لم آت إلى الطفلة بل أرسلت واحداً من أصدقائي فنقل إليها الطعام ورأى الطفلة مائتة إلى جانب والدها. وبكينا بكاء مراً لأننا لم نستطع ان نحمي ونحفظ حياة الأم وابنتها من هؤلاء الظالمين والقساة. وصلينا الصلاة الربانية بكل خشوع من أجل نفس الأم الرؤوم والطفلة الحبيبة ...

رباه ... ألهذا خلقت الإنسان وقضيت على مختاريك بالعذاب والاضطهاد والتشرد وأخيراً بالموت الزؤام ...

وفي أحد الأيام بينما كنت في البيدر وإذا بأصوات بنادق وبواريد تُسمع فنهض أبناء القرية قاصدين مكان الصوت. وعند الظهيرة عاد القرويون ومعهم عسكريان. وقصد هذان الجنديان بيت المسؤول عنا. ودعتني زوجة المسؤول وقالت : اترك الشغل وتعال وسلِّ هذين الضيفين. لأن زوجي ليس في المترل. وبحسب أمرها ذهبت وأدخلت العسكريين إلى المترل ورأيت مع هذين الجنديين فتاة يشع النور من محيّاها. وعندما جلس الجنديان وارتاحا، وجّه أحدهما كلمة إلى الفتاة وقال لها : تعالي وأسلمي فأجابته ان والدي ووالدتي وأهلي نبهوني كثيراً أن لا أستسلم لديانة المسلمين. فأجابها أكبرهما قائلاً : أما رأيت كيف قُتل والداك وأهلك ... فأجابت نعم يا سيدي. وتابعت قائلة : وقالا لي أيضاً انهم سيقتلونك وأنت لا تستسلمي لهذه الديانة فأطلب منكم ان تقتلوني لأذهب إلى أبي وأمي وأهلي.

ثم أشار إليّ أحدهما قائلاً : حدّثها أنت بالأرمنية. وبدأت الكلام معها ... وسألتها هل أنت آمدية (من دياربكر) أجابت : نعم. وتابعت قائلةً : هل أنت مسيحي يا عم لأنك تعرف الأرمنية ؟ أجبتها نعم، أنا مسيحي. فأجابت ... عجباً لماذا لم يقتلوك. وتنهدت بمرارة وقالت : ليتني عاينتُ كيف قُتل أبي وأمي واخوتي. وبعد ذلك تركتهم أنا وخرجت.

وبعد بضعة أيام جاء المسؤول عنا، ولما حييته بالسلام، قلت له أين كنت يا سيدي، أجاب : كنت ذاهباً مع قافلة من سبسطية متجهة نحو ماردين ورافقتها على مدى خمس ساعات خارج المدينة. وكنا نظن انها ذاهبة للموت ولكنهم لم يقتلوها هنا، بل نقلوها إلى ماردين ورأيت عجباً هناك ... وسألته ما هذا العجب ؟ أجاب : هذه القافلة كانت مؤلّفة من أربعين ألف نفس خرجت من بوابة ماردين. وذهبتُ معهم إلى ضفة نهر دجلة ولما بلغوا الجسر الكبير. وإذا بخمسين امرأة بعضهن يحملن اولادهن وغيرهن يمسكن الأولاد ...

رأيتهم جميعاً وقد انتقلوا من القافلة وقصدوا الجسر، النساء والأولاد جميعاً، وظن العسكر انهم هربوا منهم إلا ان السيدات والأولاد وقفوا على الجسر المرتفع عن الماء خمسين متراً ونادوا باسم المسيح ورفعوا أيديهم إلى السماء فألقوا بأنفسهم في النهر النساء والأولاد معاً. فأطلق عليهم الجنود الرصاص. ولم يدركوا ان المجموعة أعدت نفسها للموت بدلاً من ان تفقد النساء شرفهن وعفتهن. وذلك بشجاعة نادرة حيّرت الجنود وكل من رآهن، وكن يشجعن الآخرين على الموت.

وتابع قائلاً : أمس لما آتيت إلى حدود قرية (زوغة) رأيت قافلة صغيرة حوالي خمسين شخصاً عرّاهم الجنود من ثيابهم ليقتلوهم.

وكان في هذه القافلة سيدة جميلة، بعد ان قتل الجنود صديقاها، دعاها قائد الجنود إلى الإسلام ليتزوجها وتعيش في مترله حياة هنيئة. وكانت المرأة تهزأ به وتحتقره. ولما بذل محاولات كثيرة لإغرائها واجتذابها لم يُفلح ولم تخضع له. وكانت تقول له اني أحب ديانتي كثيراً ولن أبدّلها أبداً.

ولما فقد الأمل من طاعتها له وخضوعها، تقلّد بندقيته ووجّهها إلى صدرها. وكانت تزداد تمسكاً بدينها وإيمانها. قال لها القائد هل أنت مجنونة ؟ أما تدرين انك ستموتين ... أجابته المرأة قائلة : انني مسرورة جداً للذهاب إلى المسيح. ارفع عينيك إلى السماء وانظر، ها ان يسوع فتح ذراعيه ويدعوني لأصل إليه ... ولما سمع القائد هذه الكلمات سقطت البندقية من يده وسقطت المرأة مسلّمة روحها بيد فاديها. والذي ينظر إلى هذه المرحومة يظن انها قد ماتت منذ شهر. تعظم اسم الله الذي يقويّ خائفيه ويشجّع ويدعم المتّكلين عليه ... تعال أيها الرب يسوع ...

الفصل التاسع :

القتل والاضطهاد والضيقات المريرة
التي ألّمت بمدينة دياربكر والقرى المسيحية حولها عام ١٩١٥

أ — قره باش :

قره باش، قرية كبيرة وهي القرية الوحيدة التي سكانها مسيحيون وهي سريانية بحتة. فيها كنيسة باسم **القديس مار قومي** وكاهنان هما : فولوس (بولس) وبهنام، ابنا الأخوين القس عبد الأحد والشماس قومي الذي استشهد في اضطهاد عام ١٨٩٥.

في العشرين من شهر نيسان سنة ١٩١٥، حضر يحيى بن ياسين آغا الأمدي وصدقي برنجي قائد الخمسين في الجيش يتبعهما خمسون جندياً من فرقة الخمسين في الجيش وطوّقوا قره باش في الساعة التاسعة ليلاً وأحاطوا بالقرية من كل الجهات، وفي الصباح دخلوا القرية.

ودعوا مختار الضيعة المدعو (بشارة) وقالوا له : يجب ان تجمعوا كل أنواع السلاح الذي في حوزتكم وتسلّموه إلى الحكومة. وإلا فستواجهون هلاكاً محتوماً.

أما المختار (بشارة) مع شخصين آخرين من أبناء القرية وخمسة عساكر طافوا القرية بيتاً بيتاً وجمعوا كل ما رأوا من سلاح كالسيوف والرماح والخناجر والمعاصم والخوذ والبندقيات وسواها ... فجلبوها ووضعوها أمام قائد الخمسين وجيشه. فرح الطغاة وتأكدوا ان سرقة ونهب هذه القرية بات سهلاً وصولاً إلى غاياتهم الشريرة بقتل أهلها ونهب ممتلكاتهم ومقتنياتهم. وأعلموا الأكراد في القرى المجاورة سراً، ان قره باش خالية ومفرغة من السلاح وليس فيها سكين.

وبدأوا إجرامهم بإلقاء القبض على عشرين رجلاً من القرية، وأوثقوهم وقادوهم إلى دياربكر. ووضعوهم في مكان يدعى (مسافرخانة) أي بيت الضيوف. وبعد خمسة أيام أخرجوهم وربطوهم موثوقين بالحبال وقالوا لهم : إننا سننقلكم إلى (جباقجور) لتعبدّوا الطريق وترصفوها بالحجارة.

وبعد مسيرة سبع ساعات بلغوا أبواب قرية (شرابي) على ضفة نهر الدجلة. هناك أوقفوهم وخلعوا ثيابهم وعرّوهم وقتلوهم جميعاً ...

يا لرحمة الظالمين ! ! ...

وبعد يومين أي في الثاني والعشرين من شهر نيسان عام ١٩١٥، وفي منتصف الليل جاء أيضاً يحيى بن ياسين وصدقي برنجي مع خمسين من قواته، وألقى القبض على كل رجال وشيوخ قرية قره باش وساقوهم إلى مدينة دياربكر قاصدين تشغيلهم في الطرقات الرسمية إلا انهم أعدموهم وقتلوهم جميعاً.

ولما علم الأكراد إنه لم يبق في القرية رجل ذكر قادر أن يقاوم، قاموا في منتصف ليلة الثالث والعشرين من شهر نيسان وهجموا على القرية المنكوبة الحظ يقتلون أهلها وينهبون أموالهم.

فدبَّ الذعر بأبناء القرية فمات من مات وتشتَّتَ من تشتَّتَ. فبعضهم هربوا إلى دياربكر وغيرهم لجأوا إلى قرية (دراقلي) القريبة من قره باش مسافة نصف ساعة سيراً على الأقدام.

وانقضّ عليهم الأكراد كالذئاب الكاسرين موصدين البوابات والطرقات ومخارج البيوت التي كانوا مختبئين فيها وطفقوا يذبحونهم كالنعاج ولم ينجُ إلا قليلون وهم الذين هربوا تحت جنح الظلام غير مبالين. بل عاد بعضهم إلى القرية ليلاً واختفوا في مخازن القمح واهراءات الحبوب وفي مخازن التبغ وفي أعشاش الحمام على السطوح والأبراج ...

ويلاه ما أظلم الإنسان إن طغى وبغى ...

أما الذين هربوا إلى دياربكر في تلك الليلة المظلمة الظالمة مع شروق الشمس بلغوا نهر دجلة. وبينما كانوا يهمون بقطع النهر إذا بجنود كانوا مفرزين لحماية قرية قره باش يلتقون بهم فأعادوهم إلى القرية قائلين :

انا مرسلون لنحمي حياتكم. ارجعوا وعودوا إلى قريتكم **علماً ان هؤلاء الجنود كانوا أشد سوءاً وأكثر شراً وظلماً ونهباً واضطهاداً من الأكراد.**

وبعد يومين، حضر رجل ثري يملك أغناماً وماشية يدعى (حجي مصطفى) وحلّ على عين الماء (نبع الضيعة) فقصد منزل أحد أصدقائه في القرية ووجده مغلقاً. وأخذ يناديه باسمه وليس من يجيب.

ثم نادى باسم مريم زوجة الرجل المقصود، أما مريم فكانت مع نساء وبنات كثيرات مختبئات في مخازن التبن، فما أن سمعت صوته عرفته، فخرجت وفتحت الباب وألقت بنفسها على الأرض ساجدة عند قدميه وهي تبكي وتطلب عونه وأمنه وسلامه.

أما هذا الرجل (حجي مصطفى) فبكى وقال : حي هو الله ان حياتي فداء لحياتكم. فلتخرج النساء من مخابئهن ويجلسن على السطوح. وأمر فأحضروا لهن لبناً وعيراناً (رايب) فالنساء والأطفال وكل من نجا من الموت أكلوا اللبن وشربوا العيران (الرايب) وأنعشوا نفوسهم وأجسادهم.

وفي اليوم التالي، عندما علم **الحجي مصطفى** ان أبناء القرية يعانون كثيراً من الجنود الذين يحرسوهم. أرسل يخبر والي المدينة وكان صديقه. وهذا استجاب إلى طلب صديقه فاستبدل هؤلاء الجنود بآخرين مع قائد رفيع الأخلاق اسمه (ابراهيم).

ولما حضر هذا الضابط الإنساني والحسن السلوك ذهب إليه الحجي مصطفى وقال له : هؤلاء الناجون والمشردون المساكين هم أيضاً أموات. فأنت احفظ حياهم حتى يكمّل الله ارادته معهم وبهم. لأنهم لا محالة مائتون إن كان من الجوع أو من المرض. فأجاب الضابط انني أقسم بشرفي ان لا تنــزف منهم نقطة دم والله يشهد عليّ.

ثم جمع القائد ابراهيم من تبقوا من أبناء القرية قائلاً : حتى تنجوا من هؤلاء الأكراد ليذهب كل يوم منكم عشرون شخصاً إلى دياربكر، كأنهم يقصدون الرحى (الطاحونة) ليطحنوا قمحهم، ليبق عشرة في المدينة ويرجع عشرة أشخاص فقط. وهكذا في فترة عشرة أيام لم يبق في قره باش إلا بضع نساء شيخات ومتقدمات في أعمارهن. فأخذهن هذا الضابط الطيب ابراهيم وذهب إلى دياربكر وقال للوالي : لقد أرسلتنا لنحفظ أبناء قره باش ولم نجد في هذه القرية إلا جثثاً نتنة وأولاء النساء الشيخات العشر. فإذا أردت نأخذ اولئك العجائز ونقتلهن خارج المدينة أو نصرفهن ليذهبن ويمتن من الجوع والمرض في الشوارع والأزقة والأسواق وأمام أسوار المدينة. وهذا خير من ان ندنّس أيدينا بدماء العجائز اللواتي هنّ أَولى بالعطف والشفقة والرحمة. وهكذا أطلق سراحهن وفرغت قره باش من سكانها وحل محلهم شعب غفير من المحمديين.

أما القس بهنام بن الشماس قومي بينما كان هارباً ليلاً إلى قرية (دراقلي) التقاه الطغاة فقتلوه. وابن عمه القس بولس بن القس عبد الأحد ساقه ذلك الظالم الطاغية (خليل آغا) أمام حصانه وقتله في الطريق إلى قرية (مطرانية) وفي رواية أخرى في طريق قرية (شرابي) وهذه رواية أصدق، لأن القاتل الجزّار كان من قرية (شرابي).

وملحق الحادثة هو كالتالي : بعد ان خف الاضطهاد وقليلون من المسيحيين نجوا من القتل والموت عادوا من جديد ولجأوا إلى قريتهم (قره باش). كان هناك طاغية كردي يدعى (خليل آغا) كان قد أودع بعض مؤونته لدى أناس من أهل قره باش، وكان في مؤونته خوذة صغيرة، ولما جاء خليل يسأل عن هذه الخوذة فلم يجدها.

وكانت هناك في القرية سيدة تدعى مريم زوجة ابن المقدسي يوسف. مزحت مع خليل آغا وقالت :

ان القس بولس قد سرقها ... فتنمّر الطاغية وغضب وتملّكته الضغينة فأرسل وطلب القس وقاده أمام حصانه بقسوة وعنف في طريق (مطرانية) وهو يجلده ويضربه ويلقيه تحت أقدام فرسه، وإذا قام من سقطته عاد وضربه و لم يبق له حيل ولا قوة وهو يسير باتجاه قرية (شرابي)، وعلى أبواب المدينة قتله بدون رحمة حتى ذاق الموت وأسلم روحه بيد فاديه يسوع ...

أين هي عدالة السماء ألم يرضك هذا الكاهن يا الله بخدمة مذبحك وهيكلك حتى تنتقم لخدمته الطاهرة في كنيستك ... أنت يا رب العارف بكل شيء ... رحماك.

الفصل العاشر :

لقطات من المرائر التي تستحق الذكر في هذا الاضطهاد العنيف

عندما دخل الأكراد قرية قره باش، ارادوا ان يخطفوا بالقوة بنات قره باش ويغتصبوهن. واحد من هؤلاء البهائم خطف امرأة تدعى (مارسن).

الا ان هذه المرأة حملت طفلتها الرضيع وهربت، فتبعها ولحقها الشرير العاتي وطعنها بالخنجر فسقطت وماتت. أما طفلتها فبقيت إلى جانبها ترضع حليباً من ثدييها. ولما رأى الضابط بعث ثلاث نساء ليدفنّها.

كرديان شريران خطفا عروسين (مريم وسيدة) ولما اجبروهما على ركوب حصانين بالقوة وساروا بهما راكضين.

نادت العروسان باسم يسوع والقيتا بنفسيهما من ظهري الحصانين وسقطتا أرضاً فعاد الطغاة الظالمون إليهما، الأولى بالخنجر والثانية قطعوا خدها ومزّقوه، فأرسلهما قائد الجيش في دياربكر إلى المستشفى وعالجهما طبيب أميركي يدعى (ورد Ward) فشفاهما.

هذا قليل من كثير مما أصاب قرية قره باش.

بعد ان هدأت الحرب قليلاً وضعفت قوة المملكة العثمانية وبدأت تشعر بألم قاسٍ من الضربات المؤلمة التي أصابتها، إذ خسرت كثيراً من بلادها وفقدت أعداداً من جنودها وقوادها ورجالها وقتل واضطهاد المخلصين لها.

فكرت امبراطورية بني عثمان ان تعود إلى صوابها فأوقفت اضطهاد المسيحيين. خاصة وتداركت ان قليلين من هؤلاء المشرّدين وبقايا السيوف قد نجوا ويعيشون على الإعانات والصدقات، فسمحت لبعض أهالي قره باش ان يعودوا إلى قريتهم وأعمالهم.

الا ان هؤلاء المساكين لم يتمكنوا ان يعيشوا في قريتهم بسلام وراحة وطمأنينة، لأن الحكومة كانت قد أسكنت محلهم مسلمين مهاجرين من بلغاريا.

وهؤلاء كانوا خبراء مع الأكراد في النهب والسلب والسرقة فقضّوا مضاجع أهل قره باش.

واشتهر وذاع صيتهم في السرقة والتعديات ولا سيما المتنفذين في دياربكر (آل جميل باشا) الذين استولوا على أراضي القرية ظلماً وعدواناً. مما قاد أهل قره باش ليتركوا ضيعتهم ويعيشوا في دياربكر.

و لم يجد المسيحيون مستقراً لهم بعد ذلك في قره باش العزيزة الغالية.

الفصل الحادي عشر :

قرية الكعبية

في اليوم الأول من شهر نيسان عام ١٩١٥، صدر أمر جائر من الامبراطورية ليجمعوا كل أنواع الأسلحة من المسيحيين. وفي اليوم العاشر من هذا الشهر توجه من دياربكر إلى قرية الكعبية ثلاثة ضباط هم : **جرخي بن برنجي ويحيى بن ياسين وثروت بن عثمان** يرافقهم نحو سبعين جندياً من قوات جيش الخمسين وهم مدججون بأسلحتهم فبلغوا القرية الساعة السادسة مساءً، وطوّقوها من كل الجهات حتى يستحيل ان يغادرها أحد فيهرب.

وصباحاً دخل هؤلاء القادة الضباط إلى القرية ودعوا عميدها المختار جرجس وقالوا له : ليخرج من القرية كل الذكور من ابن الخمس عشرة سنة وما فوق. وإذا تخلف أحد وتأخر عن الخروج، فليعلم ان وجد بعد تفتيش البيوت سيحرق هو وكل أهل بيته.

فخرج المختار وبدأ ينادي بصوت عالٍ ويردد أقوال الضباط قائلاً : كل ذكر ابن الخمس عشرة سنة إذا بقي في المترل سوف يقتل. وفعلاً نفّذ الجميع الأمر وخرجوا فوراً من بيوتهم و لم يتخلف أحد. حينئذ طلب الضباط من المختار أربعين ربطة من العشب ودعوا الجنود ليوثقوهم ويربطوهم. وكان عدد الرجال الذين أوثقهم الجنود وربطوهم مئة واثنين وخمسين (١٥٢) رجلاً.

وبعد ان ربطوهم وأوثقوهم، بدأ الضباط يكلّمون أبناء القرية قائلين : يا أهل الضيعة هاتوا كل ما عندكم من سلاح وأحضروه إلى هنا. فنفّذ الأهالي المساكين الأمر وجلبوا كل ما عندهم حتى السكاكين والخناجر ܚܢܓܪ̈ܐ وقالوا للقادة الضباط :

يا سادتنا ... ها اننا جلبنا لكم ما عندنا ولم يبق لدينا شيء، فأجابهم الضبـــاط ... لا بل لديكم خوذات وبنـــادق ومدافع وسواها ... اجلبوها إلى هنا ... وإلا فسوف تقتلون. وأوعزوا إلى الجند والعسكر ليذيقوهم أنواع العذاب والمرائر بأنواعها.

والويل من العذابات التي عنّفوا بها هؤلاء العزّل المساكين. فكانوا يرفعون أرجلهم بعضهم إلى فوق وينهالون عليهم بضربات قاسية لا تطاق مئتين وثلاثمئة ضربة وبدون رحمة. والدماء تترف كشلالات مياه من أقدامهم وتضرّج أجسامهم وثيابهم. وأصوات صراخ هؤلاء المغلوبين على أمرهم الأبرياء ترتفع إلى السماء طالبين الموت. وليس من يشفق أو يتحنن عليهم.

وبعد ان استمر الظالمون في عملهم هذا مدة تسع ساعات، أمر الضباط جنودهم ان يفرزوا خمسة من وجهاء القرية وهم : **المقدسي كبرئيل (جبرائيل) وأبلحد ولدي القس اشعيا ومانوك ومهران ولدي توماس ورزقو بن الّو.** لينقلوهم ويقتلوهم أسفل القرية. وهكذا قضى هؤلاء الأبرياء وختموا حياتهم.

ثم ألقوا القبض على **الخوري موسى وعلى الراهب القسيس نوح وأخذوا يعذبونهما.** وبعد ان جلدوا كل واحد منهما مئتي جلدة، ألقوهما في مستنقع مليء بمياه المطر والأوساخ لكي تبتل ثيابهما وتفسد رائحتهما وعادوا فأخرجوهما وتابعوا تعذيبهما وجلدهما بقضبان غليظة قاسية وكانوا يهزأون بهما قائلين، أيها الكهنة الذين ليلاً نهاراً تلهجون وتعلمون الناس عجائب المسيح وتعاليمه في كنائسكم ومجتمعاتكم ... **أين هو مسيحكم** ؟ ... ادعوه ليأتي ويخلصكم. أما الكاهنان الجليلان ولشدة الآلام والأوجاع تجمّد لساناهما في سماء حلقيهما ولم ينبسا بكلمة وتملّك عليهما الصمت.

وربما كان ذلك على مثال يسوع الذي لم يجب هيرودس، وتحولت ثيابهما إلى سواد مضرّج بالدم ما جعل منظرهما كخارجَين من القبر.

وفي الساعة الحادية عشرة أمر الضباط جنودهم ليطلبوا من النساء ان يعددن عشاءً للعسكر شريطة ان تذبح شاة أو نعجة لكل واحد منهم، وذبحوا في ذلك اليوم ثمانين خروفاً. اواه من القساوة التي لا تعرف رحمة. أنا أصمت الآن ولا أذكر النجاسة واعمال الفجور التي مارسها هؤلاء الجنود مع النساء العفيفات والبتولات النقيات، الأمور التي يخجل إبليس إن عاينها أو حرّض آخرين على فعلها. **أين عدالتك يا ربّ ...**

وفي مساء ذلك اليوم وبعد ان تعشوا وشبعوا وملأوا بطونهم وكمّلوا شهواتهم المرذولة. قاد الجند هؤلاء الأسرى الموثقين إلى مدينة دياربكر، إلى مكان يدعى (مسافرخانة) أي بيت الضيوف.

وبعد ان عذّبوهم هناك لمدة خمسة أيام أي في الخامس عشر من شهر نيسان، أمرهم الطغاة ان يخرجوا إلى الطريق الرئيسية ويشتغلوا أشغالاً شاقة بتكسير الحجارة، وقادوهم في طريق الجبل في رأس جبل مطلّ على الفرات، وهناك خلعوا ثيابهم وقتلوهم وألقوا بجثثهم إلى الأسفل. إلاّ ان أرواحهم صعدت إلى السماء لتقف أمام منبر العدالة وتطالبها بدينونة هؤلاء الأشرار الظالمين.

وفي اليوم العشرين من شهر نيسان وفي الساعة الخامسة مساءً هجمت عشائر متنوعة من الأكراد على قرية الكعبية. وبينما كان هؤلاء الغزاة الملاعين مشغولين ومهتمين بالسرقة، انتهز أهل القرية الفرصة وهربوا إلى مدينة دياربكر، لعلهم يجدون نجاة لحياتهم، وعلى الرغم من هذا فقد استشهد ومات نحو خمسين شخصاً من أهل القرية.

والغريب في الأمر، عندما وصل هؤلاء المشردون إلى المدينة وقصدوا كنيسة العذراء (مريمانا) لم يستقبلهم كاهن الكنيسة المدعو القس بشارة، ولم يسمح لهم باللجوء إلى الكنيسة لا بل إلى باحة الكنيسة. فقد بلّغ هذا الكاهن والي دياربكر وكان يدعى رشيد باشا يعلمه بأمر هؤلاء، فأصدر الوالي أمراً إلى الجنود والشرطة ان يطردوهم من المدينة. ولما قالوا للوالي اننا لا نستطيع ان نعود إلى القرية خوفاً من الأكراد. قال لهم الوالي : اذهبوا وأنا أرسل معكم أربعة جنود لحراستكم. وهكذا أخرجهم من المدينة بالقوة.

وهؤلاء الحراس كانوا غير امناء على الوديعة المسلّمة لحمايتهم. ففي الطريق قتلوا أربعة أشخاص من هؤلاء المساكين المشردين. وبعد ذلك كان أهل القرية ينتظرون موتهم ويتشوقون ان ينضموا إلى قافلة الشهداء اخوتهم، وكانت قلوبهم مفعمة بالرجاء والإيمان، يوجههم ويرشدهم ويعلّمهم ويشجّعهم الشماس قرياقس معلم الأطفال، الذي كان يحدّثهم ويعلّمهم قصص وأخبار القديسين ويعزّيهم ويحثهم على الشهادة من أجل يسوع الحبيب.

ولكثرة آثام وسيئات وشرور هؤلاء الحراس. ومن الخوف من الخارج من الأكراد، اجتمع أهل الضيعة الذين كانوا مئة وستين بيتاً وانضموا إلى خمسة بيوت ملتصقين ببعضهم ويقضون وقتهم بالصلاة والبكاء والنحيب، والوالد يعانق ولده والأم ابنتها وكأنهم سينفصلون عن بعضهم ويتبادلون التحية ويودّع الواحد الآخر، لأن نهايتهم قريبة ...

وفي الثلاثين من شهر أيار أرسل والي دياربكر مساعده المدعو (شاكربك) وكان شركسياً ومعه نحو خمسين رجلاً وهم من الفاسدين الطغاة ويعرفون باسم (رمّو) وهم من عشيرة (عُمركي) وقد اشتهروا بالظلم كثيراً.

وفي الساعة الثامنة مساءً طوّقوا القرية ودخلوها فجراً. وقتلوا كل الذكور الذين التقوهم ورأوهم بعد ان أوثقوهم وكانوا يحمّون أسياخاً حديدية على النار وينخسونهم قائلين : اجلبوا أموالكم وما لديكم من نقود. وهؤلاء ببكاء مرير كانوا يسلّمونهم كل ما يملكون ويرشدونهم إلى خزائنهم. وفي مدة خمس ساعات جمعوا ألف وخمسمائة ليرة ذهباً. ولم يشبعوا نهمهم إذ تابعوا شرورهم وتدنيس النساء والبنات ... **نسألك يا رب نجِّ العالم من شرور وأفعال هؤلاء وأمثالهم.**

وفي الساعة الثامنة من صباح اليوم، نقلوا هؤلاء الأسرى وعبروا نهر دجلة وتوجهوا في طريق قرية (ديركة) ولما بلغوا تلة تدعى (قورط قيا) أي كهف الذئب. قتلوهم جميعاً قرب عين ماء تدعى (كاهنية بازركانا) عين التجار أو القوافل.

وفي الهزيع الأول من الليل أضرموا ناراً واحرقوا جثثهم فماتوا شهداء الإيمان المسيحي القويم. وكانت جثثهم تشع نوراً حتى الصباح. وفي هذه القافلة استشهد الشماس قرياقس الذي لم ينفك مشجّعاً ومقويّاً أبناء القرية لتحمل الضيقات والاستعداد للموت من أجل اسم المسيح.

ولم يبق في القرية سوى النساء والبنات والأطفال. وكان الأكراد يقصدون القرية حتى إذا وقعت عيونهم على إحدى النساء أو البنات يأخذونها معهم. ولما عاينت النساء ما يجري بهن طفقن بالهرب من القرية. وكن يلجأن إلى كل الوسائل ليغادرن القرية وخاصة بواسطة السيدات المسلمات اللواتي كنّ يهرّبن كثيرات مقابل مال يعطى لهن. ولم يبق في الضيعة إلا عجائز باليات.

رئيس الحصادين في المنطقة الشرقية الذين كانوا يحصدون زروع الكعبية، سمع ان كثيرين من أبنـــاء القرية قد نجوا من القتل والموت وانهم يقطنون المدينة.

جاء إلى دياربكر وقال لهؤلاء المساكين بما أنكم سريان قدماء (*) فإن والي المدينة اصدر قراراً ألاّ يؤذيكم أحد. اذهبوا واسكنوا في قريتكم. وإذا تعلّلتم انكم فقراء سنكتب أسماءكم في قيودنا وسجلاتنا لنبعث إليكم مؤونة وإعانات لحاجتكم. ومن الآن وصاعداً، أي واحد يتخلف عن الذهاب إلى القرية فمسؤوليته عليه. وهكذا عاد هؤلاء المساكين إلى القرية.

وفي اليوم الذي عادوا فيه إلى القرية وكان في الثاني عشر من شهر أيلول. وفي الهزيع الأول من الليل، تقدم نحو مئة عسكري من الشركس وخمسين في الفرقة الخمسين بقيادة ورئاسة المدعو (خليل جلبي) هؤلاء الذين عكّروا كل الأجواء ضد أهل القرية ليتسلطوا على القرية وممتلكاتها. وفي الصباح اجتمع هؤلاء مع أهل القرية وقالوا لهم : استعدوا الآن لنأخذكم إلى المدينة لتعيشوا فيها. لأننا هنا سنجعل المهاجرين البلغار يقيمون.

ثم جمعوا كل أبناء القرية في البيدر القريب وأعطوا كل واحد منهم رغيفاً من الخبز وقادوهم نحو المدينة. ولما عبروا النهر قالوا لهم لنذهب في طريق ماردين. حينئذ أدرك أهل الكعيبة انها يساقون إلى الهلاك والموت. وانتفض فجأة واحد من أبناء القرية ويدعى دانيال وكان له ستة أولاد من الخمس عشرة سنة وما دون، وكان أهل بيته نحو ثلاثين نفساً وصرخ بصوت رهيب قائلاً للأسرى : يا اخوتي، اليوم هو عرس لنا عظيم وحياة لا تنتهي ولا تزول. اخرجوا إذن ورتلوا وهللوا. فارتفعت أصوات التهاليل والتسابيح ممزوجة بالبكاء والنحيب وساروا في طريق (ديرك) ولما بلغوا (قورط قيا) صخرة الذئب وكهفه المذكور سابقاً في

(*) سريان قدماء هو اصطلاح أطلقه الأتراك على السريان الأرثوذكس تمييزاً لهم من السريان الذين تبعوا الكنيسة الكاثوليكية في القرن الثامن عشر ١٧٨٢م. (المترجم).

الجهة الشرقية قرب عين ماء تدعى (كهنية مالو) أي عين مالو أمروهم ان يجلسوا ليرتاحوا. وطلبوا من النساء ان يرضعن أولادهن. وأوصوا الجميع ان يشربوا ماءً قائلين : من الآن لن تجدوا ماء في الطريق.

وبعد ان شربوا الماء. فصلوا الذكور عن الإناث وأمام أعين الكل أطلقوا عليهم الرصاص وسقطت جثثهم على الأرض كالخراف. ثم أقبلت عشائر الأكراد كالوحوش المفترسة وهم يحملون الأسلحة وجميع الآلات والأدوات المميتة كالسكاكين والسيوف والعصي والمناجل والفؤوس وهم ينهالون على الجثث الممزقة. **اواه من المصائب المريرة والضيقات الأليمة والظلم الذي لا يوصف، وأنت ترى هؤلاء يخطفون الأطفال من أحضان أمهاتهم ويمزجون دماءهم بالحليب، والأمهات تُنتهك أعراضهن عن مرأى الكل وليس من يمنع أو يردع، اطمريهم أيتها الأرض اطمريهم وأنت أيتها الشمس احجبي وغيبي لتستر عورات هؤلاء الأبرياء ...**

بعض الأطفال لم يموتوا وظلوا أحياء لبضعة أيام معظمها خمسة، ثم هلكوا من الجوع. وغيرهم عرف بهم هؤلاء الظالمون فعادوا وقضوا عليهم بحد السيف أو أحرقوهم أحياء.

لقد قصّ لنا هذه الحادثة وأخبرنا بها رجل موصللي يدعى عبدالله، الذي مرّ من هناك بعد ثلاثة أيام فرأته امرأة مصابة ومجروحة ومضرّجة بدمائها. فطلبت منه ماءً، وهذا لم يفعل مثل سواه، بل استجاب إليها وتحنن عليها وأعطاها ثوباً كساها وأحضرها إلى عين ماء لتشرب وتغسل جراحها ... وهناك سألها إن كان هناك أطفال ما يزالون أحياءً. فقالت له نعم ... وأرته واحداً منهم فأخذه وعاد به.

هذه القافلة التي كانت نحو خمسمئة وخمسين نفساً، نجا منها ثلاثة أطفال ما بين الخامسة والثامنة من أعمارهم. وامرأتان حضرتا عاريتين ولم تعيشا إلا مدة يومين لصعوبة جراحهما.

وهذه القرية (الكعبية) التي كانت تؤلف ألف وستمئة وخمسين نفساً لم ينجُ منهم إلا قليلون.

الفصل الثاني عشر :

قتل وإبادة أهل الكعبية

لا نلوم الزمان والحوادث المؤلمة التي جرت لأن مآسي الحياة وتناقضاتها كثيرة. ولا نلوم المجرمين الطغاة لأنهم معوَّدون على سفك دماء الأبرياء، لأن البغضاء القومية والدينية رضعها هؤلاء مع الحليب وهي ممزوجة بدمائهم. ولكن اللوم كل اللوم والشكوى كل الشكوى نرفعها إلى منبر العدالة.

هذه الملامة تقع على ذلك الرجل الذي لم يستقبل هؤلاء المشردين في باحات الكنيسة بعد ان نجوا من الموت، الذي طلب بإلحاح من الوالي ان يأتي العسكر ويطردوا هؤلاء المساكين من المدينة. وشعوره انهم سينجسون الكنيسة فسلّمهم إلى حد السيف، وهو القس بشارة كاهن كنيسة مريمانا في دياربكر.

أجل ان دماء هؤلاء الشهداء الأبرياء سيطلبه الله من ذلك الكاهن (*)، ما دام الرب يحكم بالعدالة، اننا يا رب على عدلك متكلون ومراحمك منتظرون.

(*) تأمل : كم أثرّ هذا التصرف اللاإنساني واللا مسيحي من الكاهن في نفس المؤلف وكل من عرف هذا الخبر ؟ ترى هل لنا عبرة منه ... (المترجم).

الفصل الثالث عشر :

قرية قطربل

في اليوم الأول من شهر نيسان عام ١٩١٥، ذهب (ثروت بن عثمان) إلى الضباط في الجيش الخمسيني يتبعه نحو خمسين جندياً إلى قرية (قطربل) ودعاه مختار القرية المدعو (كشّو باران) وقال له : بحسب أمر الوالي جئنا لنجمع كل أنواع الأسلحة، وعليه يجب ان تجمعوا كل ما عندكم من سلاح. أما المختار (كشّو) فقال له : سيدي كل الناس يعلمون ان أهالي هذه القرية لا يملكون سلاحاً أبداً وإذا كنت لا تصدّق وتشك في كلامي، تفضل وابحث بنفسك مع عسكرك كل بيوت القرية. وحالاً قام الجند وأخذوا يفتشون البيوت. ولسوء حظ القرية وجدوا في أحد البيوت بندقية صيد. فجنّ جنون الضابط وهاج من الغضب واعتقل المختار (كشّو) مع أربعة رجال من وجهاء القرية وأرسلهم إلى مدينة (خربوت) إلى المحكمة المختصة بشؤون الحرب العالمية.

وفي اليوم العاشر من شهر نيسان. جاء يحيى بن ياسين إلى القرية ومعه نحو خمسين جندياً وألقوا القبض على ثلاثة وعشرين رجلاً وجرّوهم إلى القرية ونقلوهم إلى دياربكر وحبسوهم واعتقلوهم في (مسافرخانة) بيت الضيوف وهم مقيّدون. وبعد ان عذّبوهم لمدة أربعة أيام، أخرجوهم ليلاً في طريق (جاروخية) وأصعدوهم تلة تدعى (كندالة صور) التلة الحمراء. وهناك خلعوا ثيابهم وقتلوهم.

أما النساء والأطفال عندما سمعوا ما جرى، هربوا وعبروا نهر دجلة وأتوا إلى مدينة دياربكر ونجوا من أيدي الظالمين الذين قصدوا إبادتهم (*).

(*) نبغ من هذه القرية الخوري يعقوب القطربلي الشاعر الذائع الصيت ١٧٨٤م. (المترجم).

الفصل الرابع عشر :

قرية جاروخية (جاروقية)

جاروخية أو (جاروقية) قرية خصيبة مسيحية فيها السريان والكلدان. تقع على ضفة نهر دجلة وتبعد مسافة ثمانية كيلومترات عن دياربكر جنوباً.

في الثاني من حزيران ١٩١٥، وفي الساعة الثامنة مساءً جاء نحو خمسين جندياً من فرقة الخمسين بقيادة (يحيى بن ياسين) رئيسهم. وطوّقوا القرية من كل الجهات حتى لا يتمكن أحد من الهرب.

وعند الفجر دخلوا القرية وألقوا القبض على الرجال الذين فيها. وكان عددهم خمسة وثلاثين رجلاً، لأن معظم شباب القرية كانوا قد التحقوا بالجيش من أجل الخدمة العسكرية، فأوثقوا هؤلاء الذين اعتقلوهم وقالوا لهم : اننا سنأخذكم إلى العمل في الطريق الرئيسية، **واعتقلوا أيضاً كاهن القرية المدعو (القس توما) وعلّقوا في عنقه جرساً ووضعوا على رأسه رسناً وجلسوا عليه كالبهيمة وتوجهوا نحو قرية (هاوارجاي) أي جبل النجدة.**

ولما بلغوا قرية تدعى (جولاّ) خلعوا ثياب الأسرى وصفّوهم خمسة خمسة ليجرّبوا بنادقهم، إن كانت رصاصاتها تخرق خمسة رجال وبهذه الطريقة الوحشية قتلوا هؤلاء الأبرياء، واستمر الجنود لمدة ساعة يتأملون جثث هؤلاء الشهداء. وإذا بواحد من هؤلاء المعذّبين ويدعى بطرس بن موسى يقف على قدميه معافى سالماً لأنه لم يصب بطلقة أو رصاصة.

وقال بطرس للعسكر : ها أنا حي هلمّوا واقتلوني. فأجابه الجند لم يأت أجلك بعد. تعال وأسلم وعش. فأجابهم : حاشا لي ان أنكر المسيح وأترك دينه.

ها هم رفاقي في الطريق واقفون ينتظرونني لألحق بهم. فاعدموني لكي أذهب وانضم إلى صفوفهم. ولما لم يقتنع من بقائه حياً ولم يخضع لمشيئتهم أجهزوا عليه وقتلوه. وهكذا ختم أهل هذه القرية حياتهم.

أما النساء والأطفال المشردون هربوا إلى دياربكر ولجأوا إلى كنيسة الكلدان. وكان المطران شليمون مطران الكلدان يرعاهم ويدبّر شؤونهم حتى فتح لهم الله باب الفرج. **ومن أجل محبة المطران شليمون ورحمته واهتمامه بهؤلاء حفظ له الكل هذه الخدمة وصار ذكره بالصلاح حتى يومنا هذا. رحمه الله ومتّعه بنوره الأزلي، وسكب على ضريحه ندى رحمته.**

الفصل الخامس عشر :

قرية سعدية برافة

ان أخبار قرية (سعدية برافة) حدثنا عنها جندي من جيش الخمسين قائلاً : لقد كنت من جنود الرئيس في قرية (تبا) أي التلة في (برافة) في ذلك الزمان ثار اضطهاد على المسيحيين. جاء القائمقام المسؤول عن المنطقة إلى (قرية برافة) ومعه نحو سبعين رجلاً مسيحياً من أهل (البشيرية). ولما بلغوا قرية (تبا) وجدوا قربها نفقاً على ضفة النهر. فأوقف هؤلاء الرجال السبعين وأمر العسكر والأكراد ان يذهبوا ويقتلوهم. ليس بالبنادق بل بالسيوف والفؤوس والآلات الحديدية.

وتابع : **ان واحداً من هؤلاء المسيحيين بعد ان قطعوا عنقه، ظلّ يتكلم لمدة عشر دقائق يصلي ويذكر اسم المسيح.**

وبعد ان أبادوا هؤلاء الأسرى. جاء القائمقام بنفسه إلى قائدنا الذي كان من (بالو) فوبّخه وعنّفه بقسوة لماذا لم تقتل المسيحيين عندك ؟

ولما سمع المسيحيون هذا الكلام علموا ان آخرتهم قد دنت وإنهم مائتون لا محالة. فأعلموا القس داود كاهن قرية سعدية، وهذا الكاهن دعا وجمع أبناء القرية السريان والأرمن، لأن كاهن الأرمن كان قد انتقل من الضيعة منذ شهرين إلى منطقة أخرى، وكاهن السريان كان يخدمهم أسوة برعيته، وبعد ان قدّم الذبيحة الإلهية ألقى عليهم كلمة معزّية ومشجعّة، وبعد ان تناولوا القربان المقدس طلب منهم الانصراف.

وتابع هذا العسكري حديثه قائلاً : ولما دخلنا القرية وأخذنا نفتّش بيوتها ونبحث عن أهلها وسكانها لاعتقالهم وإلقاء القبض عليهم. لم نعثر على القس داود واثني عشر رجلاً هربوا من الضيعة قبل وصولنا إليها.

وبعد ان أنهينا مهمتنا بقتل أهالي القرية بحثنا عن القس وهؤلاء الرجال الهاربين ولم نعثر عليهم. فالكاهن ورفاقه هربوا واختفوا في نفق على ضفة النهر حيث كانت المياه تخرق السور وتختلط بمياه دجلة. وبقوا هناك ثمانية أيام. وكان هناك إنسان مخلص من المسلمين ينقل إليهم الطعام خفية.

وفي اليوم التاسع رآه شخص يحمل خبزاً فشكّ في أمره، لأن الرجل المسلم لم يكن له أحد هناك لينقل إليه خبزاً وطعاماً. فجاء هذا الرجل وأعلمنا بالأمر. وتبعنا هذا الرجل المسلم إلى المكان الذي كان يختفي فيه الكاهن ورفاقه. وسمعناه ينادي الكاهن ليخرج من المخبأ ويأخذ الطعام.

وبعد ان أكل الكاهن ورفاقه الطعام وعاد الرجل المسلم من عندهم، هجمنا عليهم وألقينا القبض عليهم وأسرناهم وربطناهم وأتينا بهم إلى قرية (تبّا) وهناك ... وبعد عذابات مريرة أذقناهم إياها وخاصة للكاهن.

واحد من هؤلاء المعتقلين ضعف أمام الآلام والضربات وكاد ان ينكر المسيح. صرخ الكاهن بوجهه على الرغم من كون الكاهن تحت التعذيب وكان في جيب القس علبة صغيرة من الفضة.

ولما بسطنا أيدينا لنأخذها من جيبه أمسكها بيديه وعلى الرغم من ضرباتنا العنيفة على يديه لم يفلت العلبة. ولما توقفنا عن ضربه لدقائق فتح العلبة وأخذ منها شيئاً كان بداخلها ووضعه في فمه وبلعه. ثم ألقى العلبة إلينا. ولما عجزنا عن ضربهم وتعذيبهم، قدناهم إلى قرب الماء وهناك قتلناهم جميعاً. وكان اثنان منهم قد ماتا تحت الضرب والتعذيب.

لقد تعجبت من ذلك الكاهن الذي تحمّل الآلام المريرة وهو يحتقر العذابات ويهزأ بها وبفاعليها ومقترفيها. الله وحده يعلم شدة هذه التعذيبات كيف يستطيع إنسان ان يتحمل ولم نسمع منه أنيناً أو عبارة (اوي) و(آخ) وسواها وهكذا ختم هؤلاء الأبرياء المساكين حياتهم.

الفصل السادس عشر :

قتل مسيحيي قرى : هوارجاي، اميد، جمّه هوار

في الثالث من شهر أيار ١٩١٥، ذهب (شاكربك) مرافق الوالي مع الضابط رئيس الرمّة المدعو (عُمركهِ) يتبعه نحو مئة وخمسين جندياً من جيش الخمسين وأكراد الرمّة وتوجهوا إلى قرى المسيحيين في منطقـــة (هارجاي) وهذه القرى هي : **سيله، قرطه، دير بشور، مقسي اوغلو، زورافا، هوار دحلة، هوارخاصه وصحبوا كل الرجال من تلك القرى ونقلوهم إلى قرية (جناقجي).**

وبعد ان جمعوا الرجال المسيحيين من قرية جناقجي أيضاً، أوثقوهم وربطوهم ونزلوا بهم إلى أعماق الوادي القريب من قرية (هوار دحلة) وهناك خلعوا ثيابهم وأطلقوا عليهم الرصاص والبارود حتى سقطوا جميعاً على الأرض. وكان عددهم مئة وأربعة وستين رجلاً مشهوراً ووجيهاً وغنياً وأبطالاً.

وفي الوقت عينه توجه هؤلاء الجنود إلى قرية (سيرمي وكوزلي) وجمعوا المسيحيين الذين وجدوهم هناك وقتلوهم. أما النساء والأطفال الذين كانوا يقطنون هذه القرى فهربوا ولجأوا إلى دياربكر. وغيرهم سباهم الأكراد.

فالذين أسلموا وأنكروا المسيح لم يقتلوهم. والذين لم ينكروا وبقوا على إيمانهم قتلوهم بعد ان أذاقوهم العذابات القاسية.

الفصل السابع عشر :

قتل مسيحيي قرى انبارجي

في السابع من شهر أيار ١٩١٥، أخذ (يحيى بن ياسين) خمسين جندياً مع صاحب القرى (قاسم بك) وكان لهذا عشرون شاباً يرافقونه مدججين بالأسلحة وتوجهوا إلى منطقة (انبارجي) وقراها :

بجه جيك، بوزبينار، كوشك، عباسه، جرنق، وجمعوا الرجال المسيحيين من هذه القرى وأخذوهم إلى قرية (مالاكبراه) وبعد ان جمعوا رجال قرية (مالاكبرا) طفق قاسم وشبابه يعذّبون هؤلاء الرجال بالضرب وأنواع الاضطهاد، علماً ان هؤلاء المسيحيين جميعاً كانوا يخدمونه في أملاكه وهو صاحب هذه القرى.

وبعد ان أنزل بهم أشد المرائر، ساقهم إلى الجهة الشرقية من قرية (مالاكابره) وأحدروهم إلى الوادي القريب ويدعى (دراجيانه) وقتلهم جميعاً وكان عددهم مئة وأربعة عشر رجلاً. أما النساء والأطفال الذين سلموا من الموت، أبقاهم قاسم أحياءً ليفلحوا أراضيه ويخدموه. **وبعد ثلاثة أشهر انتهى الحصاد دعاهم قاسم ليتركوا دينهم فالذين أطاعوه وأسلموا سلموا، والذين لم يطيعوه قتلهم كأجر لهم وعرفاناً بجميلهم ...**

الفصل الثامن عشر :

قتل المسيحيين والاضطهادات
التي أصابت قرى منطقة ماردين عام ١٩١٤

ما أكتبه هنا ليس إلا نقطة صغيرة من بحر الدم الذي سفك في قرى المسيحيين، لأن الشرور والسيئات التي اقترفها البرابرة ليس بإمكان قلم ودواة (محبرة) ان تعبّر عنها. وكذلك لا تسعها مجلدات ضخمة من الكتب والمنشورات. لكنني سأذكر القليل جداً من الكثير الذي أصاب المسيحيين في هذه القرى وذلك للعبرة والتاريخ والذاكرة.

- دير الزعفران (*) :

دير الزعفران أو دير مار حنانيا، يقع شرق ماردين مسافة ثمانية كيلومترات. كان يقيم في هذا الدير أثناء الحرب الشرسة التي ضربت المسيحيين آلاف الرجال والنساء والأطفال المشردين والهاربين، الذين نجوا من الموت من القرى المسيحية

(*) كان المؤلف بين المقيمين في دير الزعفران والمحاصرين، لهذا فهو شاهد عيان. (المترجم).

التي تحيط بهذا الدير وهي : **قلعتمرا**، **المنصورية**، **بنابيل**، **بكيرة** **وسواها** **مع** **رهبان** **دير** **السيدة** **العذراء** **والدة** **الإله** (**الناطف**) **ܕܝܪܐ ܕܢܛܘܦܐ** ومار يعقوب السروجي القريبين من دير الزعفران في قلب الهضبة المطلة على الدير. هؤلاء جميعاً كنت تسمعهم يبكون ويولولون على الرجال والشباب الذين ساقوهم إلى الخدمة العسكرية وشرّدوهم وقتلوهم وأهلكوهم.

سكان الدير والمقيمون فيه واللاجئون إليه كانوا ينتظرون في أية ساعة سيهجم عليهم الأكراد ويقتلونهم. وفي الرابع من تموز صباح يوم الاثنين ١٩١٤ هجم البرابرة على الدير وطوّقوه من عين جرون جنوباً وشرقاً إلى مزار العذراء شمالاً (**ܦܘܪܕܘܣ**) وبعضهم وصلوا إلى بستان الدير المدعو (الفردوس) القريب من الدير على مرمى حجر.

أما المقيمون في الدير، الرهبان وأهالي القرى الذين لجأوا إلى الدير. لما رأوا فظاعة الموقف والضيق الذي يحيط بهم. صعد بعضهم إلى السطوح وأخذ يطلق النيران والقذائف على هؤلاء البرابرة. وغيرهم كانوا يحرّضون ويشجّعون الحراس حتى يطردوهم، وآخرون لجأوا إلى الرب وقديسي الدير يصلون ويطلبون العون من السماء. ما أرهب تلك الساعة المريرة عندما كان المؤمنون يقفون للصلاة صفوفاً صفوفاً بدءاً بالأطفال والصغار وقصيري القامة، وهم يرتلون ويسجدون ويبكون صارخين وقـــائلين (موران حوس واثراحملين : **ܡܪܢ ܚܘܣ ܘܐܬܪܚܡܝܢ** يا رب أشفق علينا وارحمنا).

أما الحراس الذين كانوا يحرسون قرية قلعتمرا. عندما سمعوا أصوات البنادق هتفوا بالأبواق وأعلموا المسؤولين في المدينة (ماردين) ان يرسلوا إليهم قوة لتدعمهم.

وفي منتصف النهار ظهراً وصل إليهم خمسون عسكرياً من جيش الخمسين. وكانوا متوجهين ومصممين على القتل والتدمير والهدم. إلاّ ان الله حفظنا بنعمته. ذلك ان هؤلاء البرابرة الذين قصدوا الدير أولاً سبق واتفقوا مع قائد العسكر من فرقة الخمسين المدعو (فرحان) أن يدفعوا له مئتي دينار ذهباً فيسلمهم الدير ليقتلوا الموجودين وينهبوا موجودات الدير وأهله. ولما شاء هؤلاء العسكر ان يدخلوا الدير. رفض بعض الناس الموجودين في الدير ان يُفتح لهم الباب فيصيبهم ما أصاب قرية (القصور). إلاّ ان المطران الياس هللولي وغيره سمحوا لهم بدخول الدير. وقبل ان يأتوا بأي حركة سيئة وشريرة، إذا بجنود آخرين من المحاربين قد وصلوا الدير. هؤلاء أرسلهم والي ماردين بحسب طلب ورغبة المطران قوريلس جرجس. ولما دخل هؤلاء المحاربون إلى الدير أخرجوا حالاً هؤلاء المحتالين الأشرار من جيش الخمسين واطمأنت قلوب سكان الدير. وكان عدد هؤلاء الجنود المحاربين مئة رجل ، ولما صعدوا إلى السطوح ورأوا هؤلاء الوحوش البرابرة يطوّقون الدير. غضب القائد وشتم هؤلاء الأشرار من جيش الخمسين أن يطلقوا الرصاص ويقتلوا هؤلاء الأكراد ويبددوهم شذر مذر.

ولما رأى الأكراد ما أصابهم عادوا خائبين، وأمر رئيس الدير الخدام فذبحوا عشرة خراف وأعدّ لهم طعاماً ومكثوا في الدير لمدة يومين.

وحيث ان الحرب العالمية كانت قائمة وقد اتسخت ثياب هؤلاء المحاربين، فاهتم سكان الدير بغسل ثيابهم واعطوا بعضهم ثياباً جديدة. وقدّموا للقائد مبلغ عشرين ليرة ذهباً الذي هو بدوره وزّعها على جنوده. ولما انصرفوا أبقى الضابط عشرة عناصر من جيشه ليحموا الدير ويحرسوه ومكثوا في الدير مدة عشرين يوماً مكرّمين من سكان الدير.

لئن نجا المسيحيون الذين لجأوا إلى دير الزعفران من الاضطهاد والجوع والحاجة والمرض. إلاّ انهم تعرضوا إلى ظروف صعبة إذ نفذت المؤونة التي حملوها معهم من قراهم ونفذت أيضاً مؤونة الدير وصار الطعام مشكلة كبيرة، ولكون الناس محاصرين وغير قادرين على الخروج من الدير لجلب الطعام، حيث ان هؤلاء البرابرة كانوا يتربصون لهم، فكل من وجدوه على الطريق قتلوه.

وبسبب هذه الظروف غير الطبيعية التي ألّمت بالدير وأهله مات كثيرون من الجوع والمرض وأنواع الأوبئة والأوساخ والأقذار التي عصفت روائحها في الدير وسكانه. وأخذ كثيرون يغادرون الدير بحماية الحراس وذهبوا إلى ماردين وقصدوا البرية حيث وجدوا لهم ملاجئ لدى بعض العرب الآمنين. ونجوا من الموت إن كان بسبب الاضطهاد أو الجوع والمرض.

كان في الدير في هذه الأثناء **البطريرك عبد المسيح الثاني الذي عزله المجمع المقدس، والمطران مار ايوانيس الياس هللولي، ومار سويريوس صموئيل مطران مار ملكي، وثمانية رهبان وكهنة، واثنا عشر راهباً مبتدئاً، وأربعون طالباً اكليريكياً بالإضافة إلى سكان قلعتمرا وبنابيل وبكيرة، وبعض مسيحيين من القرى المحيطة مثل : دارا وفيران وبافاوا ومعصرته وسواها.**

أما الشباب الأبطال الذين كانوا مسلحين ويحمون الدير فهم شباب بنابيل الشجعان، الذين كانوا يحرسون الدير بأسلحتهم ليلاً ونهاراً بكل شجاعة ورباطة جأش حتى حضر الجنود المحاربون.

واختفى شباب بنابيل لأنهم كانوا خائفين ان يسوقوهم للخدمة العسكرية أو للموت، خاصة إذا وجد هؤلاء الجنود سلاحاً بأيديهم، لأنه كان محظوراً على المسيحي ان يحمل سلاحاً تحت أي ظرف.

الفصل التاسع عشر :

قرية بنابيل

بنابيل قرية عامرة، مئة وخمسون بيتاً سريانياً، أهلها مشهورون بالقوة والجبروت والفروسية تبعد عن ماردين خمسة عشر كيلومتراً شرقاً. ونحو عشرة كيلومترات شمال شرق دير الزعفران، فيها كنيستان على اسم مار قرياقس والقديسة مارتشموني وكاهنان : القس يوسف والقس شمعون الذي توفاه الله منذ سنة.

في التاسع من حزيران هجم على القرية حوالي خمسة آلاف بربري متوحش من القرى المجاورة، ولم يكن في القرية سوى عشرة جنود للحراسة والحماية. ولم يساعدوا أهل القرية أبداً. أعني العسكر والطاغية (خليل غزالة) المعتبر صديق القرية وأهلها الذي كان يأكل من خيراتهم ويعدهم دائماً ان يحرس القرية ، (حاميها حراميها). وهذا شأن معظم الآغاوات في القرى الذين كانوا في العلن أصدقاء لأهلها وفي السر يتآمرون عليهم (*).

ولما تضايق أهل بنابيل ولاحظوا ان العسكر لا يفعلون شيئاً، إذ دخل الأكراد على مرأى هؤلاء الجنود بدأوا بالنهب، فإن كرامة أهل بنابيل لم تسمح لهم بالسكوت وقبول الضيم ولم يتحملوا الأمر، قرروا ان يردوا هؤلاء الأعداء على أعقابهم فانقضّوا عليهم وأجبروهم على مغادرة القرية بالقوة. ولحقوا بهم إلى خارج القرية مزمجرين عليهم كالأسود وبأيديهم أنواع الأسلحة فهرب هؤلاء البرابرة من أمام زمجرة الأسود أبناء بنابيل الأبطال.

(*) المترجم.

ولما عاد أهل بنابيل إلى الضيعة خدعهم خليل غزالة والعسكر وغشوهم ليسلّموهم سلاحهم. ولما اجتمع رجال القرية بالعسكر وخليل غزالة واتباعه في البستان، وكان هناك بعض أبناء القرية يقطعون المشمش ليأكلوا بدأ البرابرة يطلقون عليهم النار فسقط من أبناء القرية ستة رجال غدراً، إلاّ ان أهل بنابيل تعقّبوهم وطردوهم من قريتهم.

اللافت للنظر والغريب، كيف خُدع هؤلاء البواسل الأشداء من أهل بنابيل بكلام الجند وخليل غزالة الغدّار، إذ ان البنابليين لهم تجربة مع هؤلاء الناس، وخبرتهم قديمة بهذا الجنس الخائن الذي لا يحفظ وداً ولا عهداً.

ولما وجد أهل بنابيل أنفسهم مجردين من السلاح ومعزولين قرروا ان يغادروا القرية ويلجأوا إلى دير الزعفران، حيث أقاموا لمدة ثلاثة أشهر. ثم عادوا إلى قريتهم.

الفصل العشرون :

قرية دارا

دارا قرية قديمة في السهل الممتد ما بين نصيبين وعامودا. في مطلع حزيران وقبل ان يعلن رسمياً اضطهاد المسيحيين. فإن مختار القرية (الشيخ) وأحمد خليل طلبا من المسيحيين وكانوا خمسة وعشرين رجلاً ان يحضروا اجتماعاً وقالا لهم : بحسب أمر الحكومة أنتم مدعوون لتذهبوا إلى المدينة من أجل الخدمة العسكرية.

وبالتآمر مع أصحابهم قادوا هؤلاء المساكين إلى بئر قريبة من القرية مسافة ثلاثين دقيقة سيراً على الأقدام، وهناك قتلوهم وألقوا جثثهم في البئر. وقتلوا معهم امرأة لم تتجاوب مع رغبة هؤلاء الأشرار.

نجا من هذه الجريمة رجل هرب عرياناً إلى قرية (بكيره) وقصّ هذا الخبر وحتى اليوم هناك نساء في هذه القرية يرفضن الزواج من المسلمين (*).

وبعد قتل أبناء هذه القرية بمدة ثلاثة أشهر، هربت امرأة تدعى (سيدة) مع ولدها ابن الثمانية أعـــوام وجاءت إلى دير الزعفران. وهذه السيدة أودعت ثلاث وخمسين نعجة لدى مختار عامودا المدعو (فرحان) وقد أرسل البطريرك الياس الثالث شاكر جنوداً إلى هذا المختار (فرحان) وطلب منه النعاج فسلمهم إياها.

وبعد سنة ذهبت **سيدة** إلى قريتها دارا مع ولدها. وهناك قتلها الرجل الذي هربت من مترله.

الفصل الحادي والعشرون :

قرية معصرته

في اليوم الثاني من شهر حزيران هجم طاغيتان من القرية هما : حسين وشندي على مسيحيي القرية، فهذان خططا لهذه الجريمة. إذ اتصلا بوجهاء ماردين وهم : خضر جلبي ومحمد جلبي وشوكت بن ملله واستأذناهم ليقتلا المسيحيين. وعادا إلى القرية.

وفي المساء استدعيا الرجال المسيحيين في القرية وكانوا ثلاثين رجلاً وقالا لهم : لقد صدرت أوامر لنحمي السريان من الاضطهاد هلموا معنا لنذهب ونرى ما هي هذه التعليمات والأوامر والوصايا ... وأحضر هذان الطاغيتان المجرمان

(*) هذا الكلام هو عام ١٩١٨ يوم تدوين هذه المذكرات (المترجم).

رجالاً مسلّحين معهما وأخرجوهم إلى خارج القرية. وعلى حافة بئر ذبحوهم وقتلوهم وألقوا بجثثهم في البئر.

بعض رجال القرية لم يرافقوا هؤلاء الرجال، لما سمعوا ما جرى لأهلهم تركوا القرية وهربوا. اثنان منهم وصلا إلى دير الزعفران ونجوا من الموت واثنان آخران قصدا قرية بافاو وقتلا. بعض نساء مسلمات حافظن على الأولاد والنساء. ولما هدأت الحال واستقر الأمن قليلاً، بدأن من يوم لآخر أن يحضرن إلى كنيسة الأربعين شهيداً في ماردين، ومعهن بعض الأولاد والنساء الناجين. وكان المطران قوريلوس جرجس يتسلّم هؤلاء المشردين ويغدق العطاء للنساء المسلمات حتى يتابعن عملهن في إنقاذ النساء والأطفال.

الفصل الثاني والعشرون :

قرية بافاوا

في اليوم الرابع من حزيران جاء الأكراد إلى قرية بافاوا. فيما كان الجنود مشغولين بالسرقة والنهب. بدأ الطاغية المسؤول عن القرية مع اخوته في قتل المسيحيين. يا للعار والخيانة فأحرقوا القس كاهن القرية حياً.

ومع مختار القرية المدعو جرجس المشهور بالصلاح والكرم وفعل الخير هذا أيضاً قتلوه : وذلك عندما دنا الأكراد من منزل المختار.

قال له ابنه المدعو يوسف يا أبي اسمح لي ان أطلق عليهم النار من بارودتي وأقتل بعضهم وبعد ذلك نموت نحن. لم يقبل الأب بل وبّخ ولده قائلاً لا تهدر دماً، فهؤلاء لن يقدموا على قتلنا وإذا كانوا مصرّين على قتلنا فنحن لا نلطّخ أيدينا بدماء الناس.

فألقى يوسف بندقيته جانباً وأخذ الإنجيل المقدس و لم يلقه من يديه حتى استشهد بحد السيف. **ترى هل من عدالة على الأرض ... ترى هل ستنتقم السماء لدماء هؤلاء الناس الأبرياء ... الذين لا ذنب لهم سوى كونهم مسيحيين ... أين الجريمة ؟...**

وهرب ثمانية رجال من بافاوا، اثنان قصدا قرية (رصين) وقتلهما الأكراد هناك. وأربعة وصلوا إلى قرية بنابيل. والاثنان الأخيران وصلا إلى دير الزعفران والذين بقوا من أهل القرية أخذوهم إلى سور المدينة، واستولوا عليها.

الفصل الثالث والعشرون :

قرية بكّيرة

قرية بكّيرة هي ملك دير الزعفران. لما شاعت أخبار اضطهاد المسيحيين وقتلهم، ذهب رئيس الدير مع وكيل الوقف إلى الطاغية زعيم (العوثمانكية) ويدعى (خليل غزالة) وحدّثاه عن حفظ القرية وحراستها. وسأله رئيس الدير ان كانت هناك حاجة لنطلب حراساً وجيشاً من المدينة ليحرسوا القرية وأهلها. أجاب المجرم الطاغية ان لا حاجة لذلك ... وأقسم يميناً معظمة انه سيحرس القرية وأهلها.

أما هذا الخبيث المجرم خليل غزالة، فعل عكس ما وعد. فبعدما عاد من سلب ونهب وسرقة قرية بنابيل بعد ان غادرها أهلها جاء وصبّ جام غضبه وحقده على قرية بكّيرة والذين كان مؤتمناً على حراستهم وحمايتهم، ومعظمهم من أهل بنابيل. فدعا أولاً الرجال والنساء وقدّم لهم عشاء، وقال لهم : هلموا معي لآخذكم إلى دير الزعفران. فقادهم هو ورجاله في طريق قرية (خورمية).

وفي منتصف الطريق عندما وصلوا إلى بئر ماء تدعى (بير ممو). هناك بدأوا بقتل الرجال الذي كانوا خمسة عشر رجلاً وأخذ النساء إلى منزله. وكثيرات منهم هربن بعد ذلك وأتين إلى دير الزعفران. وثلاثة من أهل بكيرة القوا بأنفسهم في الجب (البئر) وهم أحياء، مفضلين الموت على العذاب. فجمع خليل غزالة ورجاله خشباً وحطباً وأوقدوه وأحرقوا هؤلاء الرجال. وإحدى النساء الجميلات قصدوا اغتصابها أو ان تتزوج هذا الطاغية ورفضت. فهربت إلى دير الزعفران تاركة وراءها طفلها الصغير.

الفصل الرابع والعشرون :

قرية المنصورية

وفي يوم الأربعاء الحادي عشر من حزيران، هجم مسلمو المنصورية على جيرانهم وبني ضيعتهم المسيحيين، وقبل ان يبيدوا الحي الأول من المسيحيين حضرت قوة من العسكر من ماردين ومنعوا المجرمين من مواصلة جرائمهم ونجت الحارة الثانية من القرية.

ولما هدأت الحالة قليلاً جمعت الحكومة بعض الأموال من أملاكهم واشترت لهم طعاماً، لأنه كان يستحيل على المسيحي ان يغادر خارج قريته أو محلته، لأنه ان عثر عليه أحد من هؤلاء البرابرة كان يقتله.

وحدث ان أربعين امرأة خرجن ليجلبن بعض الأثاث والمؤونة من بيوتهن، هجموا عليهن ثانية وقتلوا معظمهن (وفي رواية جميعهن). وإن امرأة مسلمة من القرية تدعى (داشية) أخبرت عن تعجبها من شجاعة أولاء النساء وتحملهن وصبرهن، وكيف كن يتقدمن للموت من أجل إيمانهن ودينهن.

وقد تأكدنا من هذه المعلومات ان صبياً مسيحياً مسبياً كان هناك، هرب وجاء إلى دير الزعفران وقصّ لنا تفاصيل كل ما جرى في هذه الضيعة.

الفصل الخامس والعشرون :

قرية القصور

وفي يوم الرابع عشر من شهر حزيران استعد طغاة الأكراد والمسلمين في برية ماردين وجبالها وجاءوا إلى قرية القصور. علماً ان مئة وعشرين عسكرياً كانوا يحرسون القرية وكان عدد سكان القرية اربعمئة بيت وكلهم سريان.

في البداية جابه العسكر هؤلاء الغزاة ومنعوهم من دخول القرية. لكنهم في النتيجة اتفقوا معهم على الخراب والسرقة والسلب والنهب. وشجّعوهم وسهّلوا دخولهم إلى القرية ليهجموا عليها. وبدأوا بالقتل والنهب ثم القوا ناراً في الضيعة وأحرقوها. وكانت سلاهب النار وعواميد الدخان ترتفع في الفضاء لمدة ثمانية أيام.

أما الناجون فكانوا قليلين وقد هربوا تحت جنح الظلام إلى ماردين في ظروف وأحوال بائسة تمزّق نياط القلوب إن تحدث عنها أحد وصوّر قساوتها وطغيان هؤلاء المجرمين.

وفي اليوم التالي جاء والي دياربكر إلى ماردين. فأرسل أحد مرافقيه ليفتّش ويبحث شؤون القتل والتخريب. فأحصى مع لجنة خاصة عاونته عدد الجثث **فكان عددها ألف وسبعمئة جثة لهؤلاء الأبرياء.** ووجد هناك ابن الشيخ رمزان (رمضان) الذي يقسم المسلمون برأسه ويعتبرونه فاعل عجائب.

هذا رآه العسكر مسلّحاً مع عصابة مجرمة يتزعمها يستعدون للسرقة، فألقوا القبض عليه وبعض رجاله وأتوا به إلى ماردين، ووبَّخه الوالي ظاهراً ثم أطلقه وأرسله بسلام ليتابع رذائله ومفاسده.

تأمّل أيها القارئ ...

الفصل السادس والعشرون :

قرية قلث

قلث (ܩܘܠܬܐ وتعني جرة الماء) قرية كبيرة وشعبها سرياني أصيل، قليلون منهم انضموا إلى الكنيسة الكاثوليكية، وقليلون آخرون انضموا إلى الكنيسة الإنجيلية (بروتستانت). كان في القرية كنيسة قديمة جداً باسم القديس مار سمعان القناني (القانوي) ومار يوحنا الديلمي. وأهل الضيعة الذين كان يتجاوز عددهم المئتي بيت كانوا مرتاحين يعيشون برخاء من خيرات أراضيهم وكرومهم وبساتينهم وأملاكهم الوفيرة.

كان كهنة القرية : **القس توما والقس مسعود والقس ابراهيم مع الوجيه السرياني اسكندر بن ملكي كبرو وسواهم معتقلين في السجن في (القصور) منذ مدة وهم يتحملون الآلام والعذابات المريرة. هؤلاء مع كثيرين من أهل القصور قتلهم الطغاة في مكان يدعى (بابَين).**

في اليوم الثالث من حزيران اجتمع الأكراد وطوّقوا (قلث) من كل الجهات، وكان فيها خمسة وعشرون عسكرياً لحمايتها. هؤلاء كانوا جنوداً خائنين و لم يكونوا جنوداً مؤتمنين حقاً على حراسة القرية.

في هذا الوقت كان مختار القرية السيد بنيامين وابنه شمعون اقتيدا وسيقا إلى دياربكر للمحاكمة بسبب وشاية بهما. ولم يقتلا في دياربكر. ولما أطلق سراحهما وهما عائدان إلى القرية هجم عليهما العسكر في الطريق وقتلوهما.

وتجمع أهالي قلث في بيت بنيامين، وبسبب العدد الكبير من الناس الذين تجمعوا هناك في المترل، هجم عليهم الأكراد وقتلوا كثيرين منهم حتى سالت دماؤهم في البيت والباحة المحيطة به.

أنا أخجل ان أذكر الرذائل والمفاسد التي مارسها وفعلها هؤلاء الوحوش البرابرة في نساء القرية وبناها، إن كان في الداخل أو الخارج، ولم يتورعوا ان يتعدوا على الجثث وهي مائتة. فيحمّون أسياخ الحديد بالنار ويطعنون بها من فيه رمق حياة أو من مات على السواء. وإذا وجدوا عيناً ترف أو جسماً ينبض يهجمون بوحشية مزرية ويقضون عليه. ومن نجا نقلوه إلى مدينة الصَور وأكرهوا وأجبروا النساء والبنات اللواتي لم يمتن على الزواج منهم، وكثيرات متن بسبب رفضهن، والساتر الله. **يا رب أدبك ولا غضبك.**

حدثنا بطرس كبريال قائلاً : أنا والمقسي حنا وملكي اليتيم ذهبنا إلى الصَور مع **ܟܪܟܒܐ** (سائس الخيل) يدعى (رشيدو) ومن الصَور ذهبنا برفقة جندي معروف إلى قرية قلث وحللنا ضيوفاً في بيت (جبو كلي الصباغ).

وفي فجر اليوم الثاني جاءت أم كلو المدعوة (زيرو) وقالت أبناء (الآغاوات البيكات) رؤسائنا أعلمونا :

ان الجنود سوف يأتون إلى قلث. فيجب على الشباب والصبايا ألاّ يبقوا في القرية بل ليصعدوا إلى الجبل معهم ويأخذوا معهم زبيباً للمؤونة ومن المستحسن ان تذهبوا أنتم معهم.

وقلنا لها إن كان الأمر متعلقاً بالخدمة العسكرية نحن سنبحث الأمر معهم لأننا لسنا هاربين من الخدمة. أنا دفعت بدل الخدمة وصديقي هو صغير السنّ.

وبعد ساعة سمعنا أصوات البنادق، وتبعتها أصوات الويلات والعويل والبكاء الصارخ الذي أطلقته النساء الطاعنات في السن، حيث رأين بين البساتين سبعة شباب مقتولين. وفي الساعة الثالثة حضر العسكر من الصَور. ولما لم يجدوا أحداً إلا الشيوخ والمتقدمات في السن، ألقوا القبض على ثلاث نساء. وبعد ان تعدوا عليهن واغتصبوهن. خلعوا ثيابهن وصلبوهن عاريات على ثلاثة صلبان وألقوا القبض على الكهنة. وبعد ان عذبوهم عذابات مريرة وأليمة، قادوهم إلى الصَور وأودعهم السجن.

الفصل السابع والعشرون :

بلدة الصَور

ان عدد المسيحيين في الصَور كان أقل من عدد المسلمين. ولما ثار الاضطهاد على المسيحيين. اعتقل العسكر الرجال المسيحيين في البلدة. ومنهم : اسكندر جبة وعمسيح لولو وملكو بحي صباغ وباهو كجون وصهيون، وزينو بن داوود وأخوه هابيل، وجرجس بن شماس ومراد حداد وغيرهم كثيرون من أهـــل الصَور : سعدو نعلبند وابنه اسكندر وبرو (ابراهيم) بن عيسى بانو، الذي قتل بدون رحمة.

هؤلاء، بعد ان عذّبوهم في الحبس لمدة معلومة. أخرجوهم من السجن كأنهم يقودونهم إلى مدينة ماردين. وقبل ان يغادروا أخذوا من بعضهم بدل الخدمة العسكرية عن سنة كاملة (والمبلغ هو خمسون ليرة ذهباً عن كل شخص).

وبعد مسيرة قصيرة، قتلوا عمسيح لولو بعد ان عذّبوه وأذاقوه الأمرّين. **ولما وصلوا إلى (بابَين) مات القس ابراهيم من الرعب والحزن. أما القس توما قتلوه وهو رافع يديه إلى السماء يصلي. أما اسكندر فعذّبوه كثيراً وكثيراً جداً وهو الرجل الوجيه والمعروف جداً.** إلا ان أحدهم ويدعى برو (ابراهيم) بن عيسى بانو هذا حرّضوه وشجّعوه كثيراً أن يترك دينه ولما لم يسايرهم حالاً انقلبوا عليه وقتلوه. وكثيرون من المسلمين عاينوا وشهدوا علانية ان عاموداً من النور والنار استمر لمدة يومين حالاً ومنيراً جثث هؤلاء الشهداء. وكانوا يظنونه دخاناً.

الفصل الثامن والعشرون :

دير مار آحو في ارزون

لما ثار الاضطهاد على المسيحيين. هرب رهبان دير مار آحو وهم : الراهب يعقوب الحبسناسي والراهب جبرائيل البشيري. وكاهن الرعية مع سائر المؤمنين الذين لجأوا إلى الطاغية (جميل جتو) الذي استقبلهم ووعد أن يحافظ عليهم. لكنه نكث بوعده عندما اضطر من البرابرة ان يسلّمهم إياهم مدعياً انه يحفظ حياته إذا سلّمهم وإلا سيموت معهم. لهذا تآمر مع هؤلاء الوحوش وأخذ يختار اثنين اثنين من كل قرية والكهنة الثلاثة فسلّمهم إياهم ليقتلوهم.

هؤلاء الكهنة الراهبان والقس، عندما علموا انهم ذاهبون إلى الموت كانوا فرحين في سيرهم ولم تتوقف أفواههم وألسنتهم من التسبيح والشكر لله الذي أهّلهم للشهادة المقدسة وهم يصلون ويتلون المزامير.

وجاء دور الشعب ليموت الكل. فساقوهم كالنعاج والخراف إلى المجازر الوحشية. واحد من هذا الشعب ضعف أما التجربة فأعلن إسلامه، لكنهم لم يرحموه بل قتلوه أولاً. **وهكذا قضوا على كل مسيحيي منطقة ارزون ولم يعد إليها مسيحي منذ ذلك اليوم.**

الفصل التاسع والعشرون :

جبل سنجار
يتحمل الضيقات والحصار من أجل المسيحيين

سنجار : هي مجموعة جبال عالية ومنيعة مليئة بالفواكه والثمار وخاصة بالتين. دخلت المسيحية هذه المنطقة منذ القرون الأولى وتلألأت بالكنائس والأديرة وأماكن العبادة. ومن أهم أديرتها دير مار سرجيس في الجبل العطشان (**ܛܘܪܐ ܕܨܗܝܐ**). ونبغ في هذه المنطقة أساقفة كبار مشهورون وعلماء وملافنة متبحرون منهم العلاّمة داودبرفولوس بيت ربان (آل ربان) **ܕܘܝܕ ܒܪ ܦܘܠܘܣ ܕܒܝܬ ܪܒܢ**. بيد ان اليزيديين الذين ازداد عددهم هناك في نهاية القرن الثاني عشر ضايقوا المسيحيين وغلبوهم وهدموا كنائسهم وأديرتهم وخف وقلّ عدد المسيحيين هناك.

ينتسب اليزيديون إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. **يؤمنون بإله واحد عظيم، وبسلطانه ستة آلهة هم أدنى منه شأناً وهم : يزيد وشيخ عادي والملك طاووس وشرف الدين وشمس الدين وفخر الدين، ويؤمنون بانتقال الأرواح وبخلود النفس.**

ولد يزيد سنة ٦٥٩، وسنة ٦٨٨ قتل كثيرين من أهل الكوفة والبصرة. وسنة ٨٧٩ تسلم مسؤولية ادارة اليزيديين أحمد جد الشيخ عادي، وبعد أحمد قام مسيفر ثم عادي الذي علّم اليزيديين ان يؤمنوا بألوهة يزيد. **وهذا عادي قتل رهبان جبل سنجار في أواخر القرن الثالث عشر. ثم قتل عادي في منطقة تدعى (طاق) بأيدي قوات هولاكو وقُتل ابنه شرف الدين في الجزيرة.**

لليزيديين قائدان أحدهما يدعى (الحاج) وكلاهما يصومان أربعين يوماً صيفاً وأربعين يوماً شتاءً. ويشتهران بالرحمة والإحسان والطيبة. ولليزيديين رؤساء آخرون بالإضافة إلى هذين الرئيسين.

ومن عاداتهم، إذا وُلد طفل يبقى والده في البيت لمدة سبعة أيام، ثم يجتمع الأهل ويختنون الصبي ويعمّدونه بالماء إذا كان الوقت صيفاً. ويسمح لهم بالزواج وخطف النساء على مدار السنة ما عدا شهر نيسان. ومأذون لهم بالزواج من سبع نساء معاً. ويأكلون الزبيب مع العريس والعروس ولا يتم هذا الزواج إلا بمشيئة الله. وسيان لديهم إن كانت الزوجة ثيباً (بتولاً) أو امرأة. وإذا مات منهم أحد يعدون حصاناً ويغطونه بالأرجوان ويسيرون به أمام الميت ويرقصون بالسيوف والتروس. ويطلقون النار ويلقون التراب على رؤسهم، ويمزّقون ثيابهم ويجزون شعور رؤوسهم ويضعونه على قبر الميت.

ولليزيديين ثلاثة أعياد :

- الأول في بداية فصل الصيف لذكرى مقتل الشيخ عادي، ويسمونه عيد الأربعين.

- الثاني في بداية شهر تشرين الثاني لذكرى مقتل عادي بأيدي قوات هولاكو.

- الثالث في بداية نيسان لذكرى احتلال عادي دير نسطور [*].

ويُحظر على اليزيديين ان يتعلموا القراءة والكتابة ما عدا أبناء بيت عادي. ويخضع لسلطان الأمير خمسة وعشرون أميراً، وللأمير الكبير حرية مطلقة في القتل والنهب. وفي تعيين وخلع من يشاء من الأمراء.

أما الأمير الثاني فلا يشرب مسكراً أبداً، لكنه يسمح لمن يشرب مسكراً ان يأتي إليه. أما خدمة الأمير الثالث فهي الصلاة والتعليم، وأمره مطاع ويحفظ في منزله قيوداً وعصياً. وبها يطرد الأرواح الشريرة. أما الرابع فيحكم بحالات الزواج، ويخضع لإدارته شيوخ يطيعونه. أما الأمير الخامس فله مرافقون وخدام ويقيمون في قريتي (بحزاني) و (بعشيقة) القريتين من مدينة الموصل / محافظة نينوى ويجمعون الهدايا والصدقات ويبعثونها إليه. والأمير السادس له مرافقون يدعى (فقير) أي المساكين ويرتدون الثياب السوداء وهم في الغالب غرباء ܢܘܟܪܝܐ.

وجميعهم يتزوجون ما عدا رئيسهم المدعو (شاويش)، والأمير السابع له مرافقون ويدعون ܩܘܠܐ (قوّات) وهم كثيرون ويصومون أربعين يوماً في السنة ويحجون إلى قبر شيخ عادي، ويلقبون أنفسهم (حمير الشيخ عادي).

وكان لليزيديين سبعة تماثيل نحاسية. اثنان منها اختلسهما المسلمون. وبقي هناك خمسة تماثيل. وتمثّل الطيور بأشكالها ولكل واحد من هذه التماثيل عين واحدة فقط.

---

[*] دير نسطور في بلاد العراق، على اسم نسطور بطريرك القسطنطينية في القرن الخامس، حرمته الكنيسة في مجمع أفسس عام ٤٣١، لرفضه قبول الإيمان بالمسيح يسوع إلهاً متجسداً ولرفضه أن تسمى مريم العذراء والدة الإله ܝܠܕܬ ܐܠܗܐ Theotocos . توفي عام ٤٥١م، في طريقه لحضور المجمع الخلقيدوني. (المترجم).

وعندما يجتمع اليزيديون في مترل رئيسهم، يضعون التمثال في صحن صغير من المياه ويغنّون وينشدون باللغة الفارسية، حتى يبدأ التمثال بالرقص. وهذا الأمر لا يتم إلا مرة واحدة في السنة.

اليزيديون يحبون المسيحيين كثيراً (*)، ويبغضون المسلمين، لأن المسلمين يذلون اليزيديين ويحتقرون ديانتهم. ويتمتعون بعزة النفس ويحبون الغرباء والضيوف. وقد تجلت هذه الصفات برحمتهم وإحسانهم إلى المسيحيين والعطف عليهم. وخاصة بدفاعهم عن المسيحيين اثناء الاضطهاد القاسي.

وقد عرّضوا حياقم للموت وبيوهم للسرقة من أجل المسيحيين، وبفضلهم هذا، حفظوا لأنفسهم محبة عظيمة لدى المسيحيين واحتراماً كثيراً. وهم موضوع تقديرهم وعرفان جميلهم أبداً.

الفصل الثلاثون :

هروب المسيحيين
من الاضطهاد إلى جبل سنجار

لما رأى المسيحيون في ماردين وضواحيها، مهما أبدوا من طاعة وخضوع وعبودية للحكومة العثمانية ولشعبها، يستحيل عليهم ان يرضوا طغياها وظلم شعبها. بل يستحيل عليهم أكثر ان يزرعوا في قلوهم رحمة وإحساناً وعطفاً عليهم. ولهذا قرروا انه من الأفضل لهم ان يتركوا بيوهم ويهجروا أرضهم

(*) يلاحظ القارئ كيف قتل الشيخ عادي الرهبان المسيحيين في القرن الثالث عشر. سبحان الله، كيف تبدلت الأمور ليكون المسيحيون أقرب إلى اليزيديين من سواهم. وسوف ترى أيضاً ان اليزيديين كانوا معنيين ومنقذين للمسيحيين في حرب الإبادة هذه . (المترجم).

ويتشتتوا في أرجاء المعمورة. ولم يجدوا في البداية أي مكان أمين ليتخذوه ملجأ، إلا جبل سنجار في حمى الشعب اليزيدي.

وفي ربيع عام ١٩١٥ تناقلت الأنباء ان العثمانيين يضطهدون ويقتلون المسيحيين في بلاد (دوسبان وأرضروم) وينظرون بعيون حاقدة إلى المسيحيين في سائر المدن. ومن هناك بدأ كثيرون من الشباب المسيحيين في ماردين وضواحيها يهربون خلسة قاصدين سنجار، خوفاً من الهلاك المحتّم لخدمة العسكرية والظلم والاضطهاد والموت.

وعندما كانوا يبلغون سنجار. كان اليزيديون يستقبلونهم بكل محبة وفرح. وخاصة رئيسهم (حمّو شرو) (*) المشهور بالإحسان والرحمة والمحبة الإنسانية. هذا الرجل كان يستقبلهم بكل مودة وعطف. ويخصص لهم مساكن للإقامة والمعيشة ويكمّل كل حاجاتهم الضرورية. ويوفّر لهم أسباب العمل. وكان يعزّيهم ويتألم معهم للأخبار المؤلمة التي كانت تسمع في تلك الأيام. وقد نال محبة واحتراماً واكراماً عظيماً لدى المسيحيين في كل مكان، وذاعت له شهرة عظيمة في العمل الإنساني.

ولما جاء شهر تموز سمعوا أخبار القوافل والسوقيات، التي تقود المسيحيين إلى القتل والموت في كل مكان. واقتنع هؤلاء اللاجئون إلى سنجار ان أهلهم أصابهم الموت والهلاك، وصاروا طعاماً لسيوف هؤلاء البرابرة المتوحشين. ومن يستطيع ان يكتم عويله وبكاءه وحزنه.

آه ما أقسى تلك الأيام ...

(*) يحفظ السريان وكل المسيحيين ذكراً طيباً لهذا الرجل. كافأه الله خيراً. (المترجم).

الفصل الحادي والثلاثون :

مرض المسيحيين
والوباء الذي حلّ بهم في سنجار

في خريف عام ١٩١٥، توالت الأحداث والمصائب على هؤلاء المساكين. إذ لم يرتاحوا من ظلم العتاة الطغاة، حلت بهم مصيبة الحمى المميتة التي ألّمت بهم. بسبب الأحزان والآلام التي كانوا يعانون منها وهم يسمعون أخبار أهلهم وذويهم فتنفطرّ قلوبهم أسىً وألماً.

ومما زاد في الطين بلة ان رؤساء اليزيديين وبمقدمتهم عاشور رئيس منطقة (ماميلة) انزعج منهم مع أهل سنجار لخوفهم ان يمتد هذا الفساد بل هذا المرض ويعدي المنطقة وأهلها وألزموهم ان يخرجوا من بينهم. وقد أمر عاشور أن يجتمع كل المرضى ويوضعوا في مكان واحد لئلا يصيروا سبباً لهلاك كل أهل سنجار. وإذا مات هؤلاء المرضى والمصابون، يموتون وحدهم.

ولجأ المسيحيون إلى أصدقائهم من أهل سنجار ولا سيما نصيرهم (حمو شرو) الزعيم الأعلى والعام لمنطقة سنجار الذي دعا عاشور وهدّده قائلاً :

انه سيقتله إن أصاب بأذى أحد هؤلاء المسيحيين. ووافق عاشور ورضي ان يبقى المسيحيون في حارة من حارات (ماميصه)، حتى يشفى المرضى من هذه الحمّى القاسية.

وحيث ان المسيحيين لم يتمكنوا من الحصول على الدواء. فقد مات منهم عشرون رجلاً. غضب عاشور وأهل ماميصه وقصدوا ان يخرجوا المسيحيين من القرية.

فعاد المسيحيون ولجأوا ثانية إلى الزعيم **حمو شرو** الذي نقلهم وأعطاهم تلة تجاه قريته ليسكنوا فيها. وأذن لهم ان يبنوا بيوتاً وعرازيل من خشب البلوط ويقيموا فيها في الخريف وإذا حلّ الشتاء يعودون إلى بلادهم ناصحاً إياهم بقولـــه : ان بقاءكم قريبين مني هو أفضل كثيراً.

ولما حل الشتاء بنوا لهم بيوتاً من اللبن والطين وبنوا بيتاً كبيراً. وكانوا يجتمعون فيه للصلاة مع كاهن كلداني يدعى يوسف. إلا ان هذا الكاهن لم يقم طويلاً. فتركهم وأقام لهم معلّماً يدعى (فرج الله) الذي كان يعلّمهم ويشجّعهم وهكذا رويداً رويداً كثر عدد المسيحيين. فبنوا منزلاً ليعيشوا فيه، كما بنوا بيتاً كبيراً جعلوه مستشفى وجمعوا كل المرضى والمصابين فيه. ورتبوا جمعية خيرية وجمعوا خيرات وصدقات من المسيحيين لمساعدة هؤلاء المرضى.

ولما بلغ شهر آذار عام ١٩١٦، بدأ كثيرون من المشردين الأرمن من مناطق الشدادة ودير الزور يأتون إلى سفح جبل سنجار من الجهة الجنوبية.

ومن جهة ثانية كان بعض المسلمين يأتون بقوافل المسيحيين ويتركونهم هناك ليموتوا من الجوع والعطش في تلك البرية المقفرة.

أما اليزيديون الذين كانوا يسمعون هذه الأخبار فكانوا يقصدون أماكن هؤلاء المشردين فيذهبون ويخطفون الأطفال ومن يتمكن منهم من المجيء معهم، ويأتون بهم إلى سنجار ويسلمونهم إلى المسيحيين ليعتنوا بهم.

الله وحده يعرف ما كانتِ حالة هؤلاء المشردين. أما المسيحيون في سنجار فكانوا يستقبلونهم بكل رحابة صدر وفرح ويشكرون اليزيديين على عملهم الإنساني.

وقد هرب كثيرون من قوافل السوقيات وأتوا بظروف صعبة إلى سنجار ووجدوا ملاذاً وخلاصاً لحياتهم. وكان في جملة من وصلوا إلى سنجار مجموعة من ثلاثمئة نفس هربوا من منطقة الشدادة ودير الزور والقرى المحيطة وحلوا ضيوفاً أعزاء على المسيحيين من سكان سنجار، وجمعوا لهم نحو خمسين ديناراً ذهباً لسد بعض حاجاتهم.

وفي صيف عام ١٩١٦، أخذ المسيحيون يشتغلون في كروم اليزيديين وحقولهم بلقمة عيشهم. وغيرهم بعثوا يطلبون من ذويهم وأصدقائهم الناجين من الموت إبر خياطة وعلكة وسكر وبعض سلاسل الفضة والذهب والخواتم والمحابس والأساور وسواها. وكانوا يقدّمونها لأهل المنطقة لقاء حنطة وقمح وعدس وحبوب للمؤونة. وكانوا يتقاسمونها مع أهلهم وأصدقائهم وأفاض الله عليهم خيراته بغزارة. ولما ضرب الجوع والوباء والغلاء سنجار وضواحيها. **قصد المسيحيون عشائر طي العربية غير آبهين بالموت ومتحدّين الأخطار ... استقبلهم هؤلاء القوم ذوو الشهامة ومنحوهم كميّات كبيرة من الشعير والذرة والدهن وسائر حاجات القوت والطعام واستقرت حياتهم.**

حتى ان الرئيس حمو شرو لما رأى أرزاقهم الوفيرة تعجب وبفرح خاطبهم : بالحقيقة أنا فخور بكم أيها المسيحيون، كيف تمكنتم من تأمين غلاّت الحياة. بينما نحن أصحاب الأرض والكروم والحقول نعيش بالفاقة والحاجة، وأولادنا يستقرضون منكم ويستدينون ما يحتاجون إليه.

وفي هذا الغلاء القاسي والجوع الشديد، شرع كثيرون من اليزيديين يسرقون وينهبون كل ما يحتاجون إليه من المواد الضرورة للحياة.

أما الزعيم حمو شرو أصدر أمراً قائلاً : كل من يسرق أي شيء من المسيحيين يجب ان يسلب بيت السارق ويطرد من البلد.

ونفّذ هذا الأمر بعض اليزيديين الذين نهبوا أموال بعض المسيحيين. ونال حظوة وكرامة في عيون المسيحيين. وسطّر اسمه في صفحات بيضاء في تاريخ المنطقة. وأمضى هؤلاء المسيحيون مدة سنة وستة آشهر يعيشون حياة آمنة مستقرة. وقد توقف الخطر والاضطهاد في ماردين. ودخلت القوات البريطانية مدينة الموصل في العراق ودب الأمن في تلك الأرض.

ان لعنة العثمانيين لحقت المسيحيين، فلما سمعوا ان كثيرين من المسيحيين لجأوا إلى سنجار ونجوا من الموت. عادت الحكومة وأصدرت أمراً بقتل من نجا من المسيحيين وقصد جبل سنجار، ودفعت جنودها إلى جبل سنجار مدجّجين بأنواع الأسلحة ليذهبوا ويحتلوا سنجار والجبل ويقتلوا كل المسيحيين هناك.

وصلت القوات العثمانية وحلت في جبل سنجار، وفرضوا حصاراً قوياً على المنطقة وأرسل قائد العسكر المدعو (محيي الدين بك) ورئيس المخابرات والتفتيش في جبل سنجار كتاباً إلى الزعيم حمو شرو.

وهذا نص الكتاب : " أرسل إلينا كل المسيحيين الذين هربوا ولجأوا إليك مع كل أنواع الأسلحة التي بحوزتك، وإذا لم تخضع للأمر ستحل بك مصائب وآلام مريرة لا تتصورها. وسوف نهدم بيتك وبيوت جميع أهلك وذويك وعشيرتك ".

ولما قرأ حمو شرو هذه الرسالة غضب جداً وقال : **كيف يسمح لي ضميري لأسلّم هؤلاء المسيحيين الذين لجأوا إليّ وأنا أعطيتهم عهداً وأقسمت بشرفي وديني ألاّ أغشّهم (لاوفيستا) هي يمين معظمة لدى اليزيديين. لن أسلّم واحداً**

منهم ما دام في عينيّ ماء، أما إذا قُتلت أنا وأولادي فبإمكان الأعداء ان يفعلوا بهم ما يشاءون.

وتابع **حمو شرو** قائلاً : هذا الضابط الذي أرسل يطلب سلاحنا، ما أسخفه وأحقر تفكيره. يطلب سلاحنا لنسلّمه إياه، ونبقى نحن عزّلاً وعرضة لسلاحه وعسكره. قرأ هذه الرسالة ودعا كل زعماء العشائر في جبل سنجار وأعلمهم بأمر الضابط. وأعلن موقفه بالتمرد على أمره وقراره.

وكانت آراء زعماء العشائر متفاوتة. فمنهم من قال اننا نخضع لأمر الضابط ومنهم من رفض. وأخيراً أقنعهم حمو شرو بقوله : يجب ان ندافع عن أنفسنا ونرفض أن نسلّم هؤلاء الأبرياء إلى سيوف الحكام الظالمين ويكونوا أغناماً وخرافاً للذبح. فخرج رؤساء العشائر والقرى وأخذوا أسلحتهم وتجمعوا في مكان يدعى (**شيب القاسم**) وهي دائرة مقدسة عندهم. أما **حمو شرو** فاختار بعض الفقراء مرافقيه، وذهبوا ليتجسسوا على القوات العثمانية في منطقة تدعى (كرسه) فرأوا ثلاثة فيالق (فرق) من القوات حالّة هناك، وينتظرون الفرصة ليهجموا على الجبل ويحتلوا المنطقة.

ويوم سبت النور ليلة عيد القيامة، تقدمت القوات الحكومية نحو الجبل. وأخذوا يطلقون نيران بندقياتهم وقذائفهم على **شيب القاسم** حيث يجتمع اليزيديون. فاهتزت الأرض من أصوات المدافع ودب الرعب في قلوب أهالي الجبل. وتقدمت القوات من الجبل **وحمو شرو** والذين معه كامنون لهم يترصدونهم. ولما دنوا منهم أطلق **حمو شرو** ورجاله النار عليهم، فقتلوا منهم خمسة عشر رجلاً، ولم يُقتل من اليزيديين إلا رجل واحد هو خلف السنجاري. ذاك الذي ذهب إلى القتل ليأخذ أسلحتهم.

ولما رأى حمو شرو كثرة عدد القوات المهاجمة وأسلحتهم، خاف ان لا يهلكوا في كمينهم. وعاد إلى قرية قريبة ودعا المسيحيين قائلاً : أنصحكم ان تخرجوا من بيوتكم وتنتقلوا إلى الجهة الجنوبية من الجبل حيث لا يوجد خطر هناك. وتحملوا معكم كل ما تستطيعون من المؤونة والثياب والحاجات، لأن العدو واقف على الباب ويهدّدنا بقساوة وعنف.

حمل المسيحيون ما تمكنوا وانتقلوا إلى الجهة الجنوبية ودخلت القوات العثمانية قرية **ماميصة**، وبدأوا ينهبون البيوت. وهجموا على قرى كثيرة في ذلك اليوم. وعند غروب الشمس بلغوا قرية المسيحيين. وأول بيت دخلوه وجدوا رجلاً شيخاً لم يتمكن من الهرب قتلوه حالاً وسرقوا كل ما في المترل.

أما المسيحيون بعد ان تركوا قريتهم، هربوا وهم يتسلقون الهضاب والتلال وهم خائفون يبكون ويولولون.

وبعد ان احتل العسكر قرية **ماميصة** وقرية **حمو شرو** استسلم اليزيديون للقوات العثمانية وقدّموا لهم الخضوع. وأقام العسكر مسؤولاً على قرية **ماميصة** ووضعوا في كل قرية مخفراً وعادوا وارتاح أهل الجبل قليلاً.

أما العسكر الذين بقوا لحراسة الجبل، ملّوا من الإقامة في ذلك الجبل. وبدأ عددهم ينقص رويداً رويداً. ومن هنا اشتدت عزيمة اليزيديين وانتفضوا لينتقموا من العثمانيين. وهكذا كلما التقوا عسكرياً من هؤلاء كانوا يقتلونه ويصادرون سلاحه. وأخيراً هرب سائر العسكر خوفاً على حياتهم.

أما المسيحيون فبعد مدة غادروا المنطقة وذهبوا قاصدين عشيرة طي العربية ودفعوا مالاً لزعيمهم ليحميهم من القتل والموت. وغيرهم هربوا من قرية إلى قرية حتى وصلوا نصيبين خائرين جائعين. والذين بقوا في سنجـــار عادوا إلى قريتهم

وعاشوا هناك حتى مرّت العاصفة وخفّ الخطر وتوقف الاضطهاد. وهكذا تشتتت من جديد جموع المسيحيين الآمنين بسبب فظاعة وشناعة ورذائل قوات بني عثمان.

الفصل الثاني والثلاثون :

مجزرة بيت زبدي (آزخ) والجزيرة

بيت زبدي وتدعى جزيرة ابن عمر. هي مدينة ملبّدة الأجواء وهواؤها معكر، تقع على ضفة نهر دجلة جنوب مدينة ماردين على مسافة مئة وثمانين كيلو متراً. كانت هذه المدينة مسكناً لجموع كثيرة من المسيحيين السريان والكلدان وبعض اتباع الكنيسة الكاثوليكية. وكان لهذه الطوائف مطارنة وكهنة وكنائس فخمة.

في نيسان عام ١٩١٥، بعث الطاغية الضابط الوالي رشيد باشا رجلاً من وجهاء دياربكر يدعى (زلفي)، هذا الشقي قصد الأكراد وحرّضهم على قتل المسيحيين. وصادف ان مار يعقوب أسقف الكلدان ذهب إلى زيارة (زلفي) فنظر إليه زلفي بغضب وحقد وقال له : قد دنا اليوم الذي سوف نجعلك تحمل مئة كيلو من الشعير ونقودك كالحمار. فاضطرب الأسقف وخاف فعاد إلى قلايته حزيناً ومتألماً.

وذكر لنا بعض أهل ماردين أسماء كثيرين من الذين ساهموا في قتل المسيحيين منهم، محمد رسول، محمد نازو واخوة خضر جلبي. وذلك عندما حل وقت مجزرة خراف المسيح في دياربكر. فإن المطران هنام عقراوي أسقف الجزيرة غادر إلى آزخ.

وفي ١٧ آب ١٩١٥، احتلت القوات المعادية كنيسة السريان الكاثوليك وألقوا القبض على المطران ميخائيل [*] وعلى القس بولس وألقوهما في السجن. ثم قصدوا كنيسة الكلدان واعتقلوا الأسقف يعقوب وثلاثة قسس هم : يوحنا وايليا ومرقس وألقوهم في السجن مع آخرين.

ويوم ٢٨ آب ١٩١٥، دعا الطغاة المطران ميخائيل والمطران يعقوب وساقوهما إلى المحكمة، وطلبوا منهما السلاح الموجود في حوزتهما ولدى شعبهما. فأجاب المطرانان ان لا سلاح عندنا. اضطرموا بنار الغضب فانهالوا عليهما ضرباً حتى سالت الدماء من جسميهما الضعيفين. ثم أطلقوا على كل منهما ثلاث طلقات من بنادقهم، فسقطا شهيدين، وأوثقوا أرجلهما وألقوا بجثتيهما عاريتين خارج المدينة.

وفي اليوم التالي ٢٩ آب ألقوا القبض على كل الرجال المسيحيين وسجنوهم في الحبس. وبعد ان قضوا أربعة أيام جوعاً وعطشاً واضطهاداً وتعذيباً، ربطوهم بحبال وساقوهم إلى جنوب المدينة (بيت زبدي) على مسافة نصف ساعة إلى مكان يدعى (نهرسوس) وقتلوهم جميعاً رجماً وبالسيوف والسكاكين والعيارات النارية بدون رحمة ولا شفقة.

وفي الأول من أيلول ١٩١٥، عاد هؤلاء الطغاة المجرمون وجمعوا النساء والأطفال والصبايا والفتيات، وقالوا لهم اننا سنرسلكم إلى الموصل إلى ذويكم، فجمعوهم وساقوهم كالبهائم وأصوات البكاء والأنين والاستغاثة تشق عنان السماء، وأخذوهم هم أيضاً إلى نهرسوس وهناك قتلوهم بعد ان جرّدوهم من ثيابهم ومصاغهم وما كان بحوزتهم، واختاروا من حسن لهم من الفتيان والفتيات

(*) هو المطران ميخائيل ملكي. (المترجم).

ونقلوهم إلى بيوتهم. ولم يسلم من أهل الجزيرة إلا أربع نساء لجأن إلى أحد المسلمين الذي أخفاهن في مترله.

الفصل الثالث والثلاثون :

مجزرة مدينة سعرت

تقع مدينة **سعرت** قرب شاطئ نهر دجلة، وتحيطها جبال خصيبة بالكروم وعرائش العنب وأشجار التين والرمان، وتابعة لولاية (بتليس) وتفصلها عن ماردين مسافة أربعة أيام سيراً على الأقدام شمالاً. وكان عدد المسيحيين في سعرت ينيف على الاثني عشر ألف شخص. **سريان وكلدان وأرمن. وكان مطران الكلدان يومها العلاّمة الكبير والشهيد الطوباوي مار ادى شير.**

وكان في سعرت دير ومدارس للصبيانِ والفتيات (للبنين والبنات) وميتمان تديرهما ثلاث راهبات. وبالإجمال كانت سعرت مدينة عامرة ومزدهرة بشعبها المسيحي.

وعند اشتعال نار الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، اضطر الرهبان الدومنيكان والراهبات ان يغادروا سعرت ويعودوا إلى بلادهم. وفي أواسط حزيران عام ١٩١٥، هاج طغاة الأكراد وآغاواتهم وانقضوا على بيوت المسيحيين وطفقوا يعذّبونهم ويقتلون. وألقوا القبض على وجهاء المسيحيين كعائلة (عبوش) التي كان ينيف عدد أفرادها على الستين. وكذلك عائلات عيواص [*]، وموسى كوركيس وسواها. وقد بلغ عدد المعتقلين أكثر من ستمئة

[*] عيواص هي عائلة قداسة سيدنا البطريرك المعظّم مار اغناطيوس زكا الأول عيواص وهي من جزيرة ابن عمر أصلاً وتسمى جزيرة الأشراف (المترجم).

رجل، وأودعوهم السجون وقطعوا عنهم الطعام. واستدعوا الكهنة والمسؤولين وهم يستفسروهم ويطلبون منهم ان يكشفوا لهم مخابئ السلاح، وهم يعنّفوهم ويضطهدوهم ويعذّبوهم بأساليب وحشية بدون رحمة ولا شفقة ولا شعور إنساني. **وهجم عليهم الطاغية (أحمد آغا خجو) وأمسك بالقس ابراهيم كاهن السريان وقطع رأسه وألقاه في سوق المدينة، فهجم عليه رعاع المسلمين وأخذوا يرفسونه ويلعبون به كالكرة.**

وهاجم (قاسمو) الشرير ورفاقه منزل القس جبرائيل الكلداني وساقوه إلى المحكمة. وعند وصوله أدخلوه إلى غرفة وعرّوه من ثيابه أخذوا يخزونه ويهينونه ويضربونه بالسيوف والحراب. وفي كل ضربة أو طعنة كانوا يقولون له : **أكفر بالمسيح واشهر إسلامك.**

أما الكاهن الشهيد فكان يصرخ قائلاً : أموت على دين المسيح حتى سلّم روحه بيد خالقه، وقطعوا رأسه وألقوه في خندق للأوساخ قريب من منزل أحمد آغا.

وبعد ان أمضى المسيحيون مدة أربعة أيام في السجن. وفي فجر اليوم الخامس جاء الظالمون وربطوهم وأوثقوهم وقادوهم إلى وادٍ يدعى (زرياب) شمال المدينة على بعد خمسة كيلومترات. وقبل ان يبدأوا بقتلهم، وقف القس أفرام وأخذ يشجّعهم ليثبتوا على إيمانهم. وفجأة سمعت أصوات الاستغاثة والعويل والبكاء والصراخ التي وصلت إلى المدينة، فأبادوهم جميعاً وقتلوهم وأخذوا ثيابهم ووزّعوها فيما بينهم ولم يرتوِ غليلهم. بل جاءوا إلى المدينة وانقلبوا على بيوت المسيحيين فجمعوا النساء والأطفال والعذارى (البنات) ووزعوهم على ثلاث قوافل، وقادوهم جميعاً إلى المجزرة (المذبحة).

بعد ان عرّوا الجميع، النساء والبنات والأطفال والأولاد، والجميع حفاة عراة جائعين عطاشاً وقد تفجرت الدماء من أقدامهم لسوقهم في الطرقات الوعرة والمليئة بالصخور والحجارة والشوك زيادة في تعذيبهم. وكانوا عندما يخلعون ثيابهم يدنّسون النساء والعذارى ثم ينفّذون شهواتهم الوحشية وساديتهم، فيقتلون الواحدة تلو الأخرى غير مستثنين أحداً.

أما البنات اللواتي نجون من الموت وهن القاصرات غير البالغات، فاختارهن آغوات الأكراد ليكنّ جواري لهم مكملين بهن شهواتهم الحيوانية. ولم يسلم من الموت إلا بعض أولاد قاصرين أبقاهم الظالمون أحياء حتى يتملكوا على أموال أهلهم وأملاكهم المنقولة وغير المنقولة.

وعندما وصلت القوات الروسية إلى تلك المنطقة، وقبل ان تركّز مقامها ووجودها. جمع آغاوات الأكراد هؤلاء الأولاد المسيحيين وقتلوهم في مكان يدعى (سرهزينا). **أما المطران ادي شير،** فقد أرسله عثمان آغا إلى قرينته (دَيرشو). ولكن بعد أسبوع لما علم بوجود المطران المدعو (علي نقيب الأشراف) وحاكم الولاية بعث إليه عسكره وأمسكوه وأخرجوه إلى القتل.

وقبل ان يقتلوه وينفّذوا بحقه حكم الإعدام، طلب المطران منهم ان يمهلوه خمس دقائق، وسجد على ركبتيه وصلّى ووضع صليبه على صدره قال لهم : الآن افعلوا ما تريدون، فهجموا عليه وقتلوه وخلعوا ثيابه وأتوا بها إلى علي وحاكم الولاية، ليؤكدوا لهما قتله. وحسب العادة تابعوا عملهم بسرقة ونهب بيوت المسيحيين وتوزيعها على بعضهم بعضاً.

وحوّلوا كنيسة الكلدان إلى مسجد دعوه (**مسجد الخليلي**) باسم خليل باشا طاغية المنطقة ومجرمها المشهور.

ومدرسة الآباء الدومنيكان حوّلوها إلى مستشفى عسكري. ثم عثروا على مخازن وكنوز ومخابئ المسيحيين حيث نهبوا عشرات الآلاف من الليرات الذهبية والمال، بالإضافة إلى المصاغ والآنية الكنسية وبضاعة الحوانيت. ولم يكتفوا بفعلهم الشنيع بمدينة سعرت، بل امتدت شرورهم إلى القرى المحيطة وقُضي على كل من يحمل اسم المسيح أو يرسم علامة الصليب المقدس. وفرغت المنطقة من المسيحيين ...

الفصل الرابع والثلاثون :

مجزرة كربوران

كربوران، قرية كبيرة في طورعبدين وعامرة بالسكان ومعظمهم سريان، وفيها بعض الأرمن. لما بدأت المجازر وحلت السيوف الموجهة ضد المسيحيين دعا مدير المنطقة أبناء الطاغية (علي رمّو) وآغوات الأكراد ورؤساء عشائرهم. واجتمعوا معه سراً، فحرّضهم وشجّعهم وحرّكهم على قتل المسيحيين ونهب بيوتهم وسرقة ممتلكاتهم.

هجم هؤلاء الظالمون على بيوت المسيحيين وحاصروهم لمدة أربعة أيام، ولم يتمكنوا من احتلال منازلهم لأنها كانت حصينة وقوية، فلجأوا إلى محاولة جهنمية إذ صعدوا إلى سطوح المنازل وأخذوا يحفرونها ويثقبون. وأضرموا النيران بالتبن والأعشاب فدخلت إلى البيوت فمات كثيرون (*).

(*) هذه الطريقة كانوا يلجأون إليها في كل القرى التي يحاصرونها (المترجم).

أما الذين هربوا من القرية فطاردهم الأشرار وألقوا القبض على أكثر من ستمئة شخص فأسروهم وألقوهم في السجن.

أما مدير المنطقة فاستدعى المطران انتيموس يعقوب مطران السريان الذي كان يحبه وأخفاه في منزله لينقذه من الموت. وظن الذين رأوه، ان المطران قد أنكر المسيح وأعلن إسلامه لهذا لجأ إلى منزل مدير المنطقة، بينما، المبادرة كانت من مدير المنطقة لمحبته الشخصية للمطران المظلوم والشهيد بعدئذ.

أما الطاغية مصطفى بن علي رمّو بعد قتل المسيحيين الأسرى والذين لم يستثنوا منهم إلاّ النساء والفتيات الجميلات، ذهب مصطفى هذا إلى منزل مدير المنطقة وأخرج المطران يعقوب وأوثقه متمرداً على مدير المنطقة وأرسله صحبة اثنين من مرافقيه، فقتلاه وأحضرا ثيابه معهما. وكان المطران في العقد الرابع من عمره. وبعد ذلك سرق الأشرار ونهبوا بيوت المسيحيين واختلسوا الآنية الكنسية وكل ما تحويه الكنيسة وفرغت كربوران من المسيحيين (*).

الفصل الخامس والثلاثون :

دير مار كبريال أو دير العمر (*) (قرتمين)

انه دير قديم بني عام ٣٩٧ وتجدد في أواسط القرن السادس. في خريف عام ١٩١٧ أحد الطغاة المدعو (شندي) أخذ معه جيشاً وذهب إلى الدير، وطلب من حراسه الأربعة ان يخرجوا من الدير، فدخل مع جنوده وهجموا على الرهبان

(*) ثم عادت كربوران وتعمّرت من بعض الناجين من أهلها وعائلات سريانية أخرى انضمّت إليها حتى فرغت كلياً عام ١٩٧٥ ويعيشون اليوم في أوروبا وخاصة السويد وأوستراليا. (المترجم).

(*) دير العمر تسميه العامة دير العمر نسبة إلى كلمة ܥܘܡܪܐ السريانية وتعني الدير والمسكن واسمه الرسمي ܥܘܡܪܐ ܕܡܪܝ ܓܒܪܐܝܠ أي دير مار كبريال وهو مؤسس عام ٣٩٧م. (المترجم).

والشمامسة والسبعين رجلاً من قرية (كفربه) القريبة من الدير الذين أخرجوهم خارج الدير وقتلوهم ولم ينجُ منهم إلا ولدان أحدهما هرب إلى باسبرين والآخر هرب إلى عينورد.

وتسلّط شندي على الدير وعلى كل كنوزه ومقتنياته وكتبه. أما شعب (كفربه) الذين كانوا في القرية دافعوا عن أنفسهم لمدة ستة أشهر وأخيراً تمكن منهم الظالمون فقتلوا معظمهم في كنيستهم (كنيسة مار اسطفانوس) واحتلوا قريتهم وسرقوا أموالهم ومقتنياتهم. والذين نجوا تشردوا ولجأوا إلى القرى المحيطة.

الفصل السادس والثلاثون :

مجزرة قرية قلعة مرا

قلعتمرا قرية شهيرة تقع ما بين ماردين ودير الزعفران، وسكانها جميعاً مسيحيون سريان. وفيها بعض الكاثوليك والانجيليين (بروتستانت) وفي القرية كنيسة باسم الشهيد مار جرجس ولها كاهنان هما القس ايليا والقس داود.

يوم الجمعة ١١ حزيران ذهبت بعض النساء إلى ماردين، وأخبرن المطران قوريلوس جرجس ووجهاء الملة بقولهن : ان الأكراد يتوعدون هذه القرية ويهددون أهلها بالقتل. فنصحوهن أن يذهبن إلى القرية ويعلمن أهلها أن يهربوا جميعاً مع أموالهم ومقتنياتهم إلى دير الزعفران الحصين ضد المهاجمين. وعلم بهذا اسماعيل بن علي محموده وأحمد ميرزو وولده. وأرادوا ان يطمئنوهم إلاّ ان أهالي القرية رفضوا وأصروا ان يذهبوا إلى دير الزعفران.

وفي صباح يوم الأحد ١٣ حزيران خرج من دير الزعفران أربعة وخمسون شخصاً من أهل قلعمترا وتوجهوا إلى قريتهم حتى ينقلوا ما تبقّى في القرية من

الثياب والأثاث يرافقهم حارسان من دير الزعفران وهما من المكلّفين حماية الدير واسمهما (خلّو وعبدي) فهجم عليهم الأكراد وقتلوهم ولم يتمكن هذان الحارسان ان يحمياهم ولم ينجُ من هؤلاء إلا رجلان جريحان متألمان وهما : جرجس بن عبي وشمعون بن ملكي يعقوب اللذان هربا إلى ماردين ودخل جرجس مستشفى البروتستانت وعالجه طبيب اميركي يدعى (الدكتور تام) ولعله توم Tom ومعناه توما ونال الشفاء.

سمع سكان قلعمترا المقيمون في الدير باستشهاد هؤلاء الرجال. فدبت بهم الحمية وذهبوا إلى قرية قلعمترا فأخذوا الجثث ووضعوها في جوالق (أكياس) وحملوها إلى الكنيسة ليصلوا عليها ويدفنوها. فرماهم الأكراد بالبنادق إلاّ ان الله حماهم وعادوا بسلام إلى الدير.

ويوم الخميس ٢٤ حزيران جاء إلى دير الزعفران نوري البتليسي قائد المئة الضابط من جيش الخمسين، وألقى القبض على أربعمئة وخمسين رجلاً من المقيمين وأخرجهم بالقوة من الدير ونقلهم إلى ماردين ليضمهم إلى فرقة العمال. وكان بينهم خمسة رجال أرمن من الذين هربوا من قرية فيران.

فهؤلاء أفرزهم وقتلوهم في الطريق. أما بقية الأشخاص فضموهم إلى فعلة وعمال الطرق الرئيسية. وبعد بضعة أيام هرب هؤلاء المعتقلون وأخذوا يعودون الواحد تلو الآخر إلى دير الزعفران. وقد حققوا ذلك بالرشوة التي دفعوها للموظفين الذين كانوا مسؤولين عنهم.

ولما وصلوا إلى دير الزعفران عرف بهم نوري هذا فجاء وأمر ان يدفع كل واحد منهم مبلغ أربعين قرشاً شهرياً رشوة عن نفسه.

وبسبب الضيق والحصار الشديد على دير الزعفران وكثرة اللاجئين إليه والمقيمين فيه أصاب الدير وباء كبير فمات كثيرون منهم. وكثيرون آخرون هربوا وتشتتوا في البرية في حمى العرب وهم يتنقلون من مكان إلى آخر حتى ان بعضهم وصلوا إلى جبل سنجار.

الفصل السابع والثلاثون :

مجزرة نصيبين

نصيبين مدينة شهيرة بقدمها، فيها تأسست مدرستها الشهيرة حيث علّم مار أفرام السرياني والمعلم نرساي. غنية بجنائها وبساتينها. ويقسمها نهرها الشهير هرماس واليونان يسمونه (كندركنيس) والعرب يدعونه (جقجق) وكانت يوماً مدينة الحدود ܡܕܝܢܬ ܬܚܘܡܐ الفاصلة ما بين المملكتين الرومانية والفارسية.

وبعد ان خربت نصيبين عاد أهلها وبَنوها من اللبن والآجر والحصى والقرميد. ولم يسلم من أبنيتها القديمة إلاّ كنيسة مار يعقوب النصيبيني وبعض الآثار من سورها القديم. وكان السريان يقيمون فيها. وكاهنها كان الراهب اسطفانوس ذلك الذي استشهد ببطولة نادرة، بعد ان تحمّل المرائر وصبر على الاضطهاد وتكلل بالشهادة. وكانت تعيش فيها عائلات يهودية. عام ١٩١٦ أسس فيها الألمان بنياناً كبيراً وقلعة شمال المدينة وخزنوا فيها مؤونة ومواد كثيرة لحاجة العمال الذين كانوا يشتغلون بسكة الحديد.

يوم الجمعة الرابع من حزيران، ذهب رزو بن نجمة إلى بيت جرجس الهارط. فأوثقه وأرسله إلى ماردين واستشهد مع مسيحيي ماردين.

أما شقيقاه حبيب وعبد الكريم فهربا إلى قرية (دعدوشية) إلى ابراهيم زعيم عشيرة (طي) الذي وعدهم ان يحفظهم وجميع أفراد العائلة.

ويوم الأحد السادس من حزيران فقد اعتقل الأشرار مسيحيي نصيبين. أما عبدالله بك الشركزي وعبدالعزيز داشي فذهبا إلى القرى المحيطة وأوثقا المسيحيين فيها وأتيا بهم إلى نصيبين.

وفي منتصف الليل جاء (رورا) القائد رئيس الضباط. ويوم الاثنين ١٤ حزيران دعا المأمور (الموظف) كل السريان المعتقلين وقال لهم : ان الحكومة أشفقت عليكم وسامحتكم قوموا واذهبوا إلى بيوتكم.

وعند العصر جاء إلى السجن محمود شوكت، شاكر حاج كوزه، حاج أسعد جلبي وقدوربك وأطلقوا سراح المسجونين فهرب عبد الكريم وأخوه باسيل إلى سنجار وهناك نجوا من الموت.

ويوم الثلاثاء ١٥ حزيران عاد الجنود وجمعوا كل المسيحيين رجالاً وشباباً وألقوهم في السجن. وفي منتصف الليل قادوهم إلى مكان يدعى (خراب كورت) أي الجورة (الحفرة) الخربة. وذبحوهم جميعاً وسالت دماؤهم.

ثم ألّف هؤلاء فرقة برئاسة رفيق بن نظام الدين حتى يقتلوا المسيحيين المقيمين في القرى المحيطة لنصيبين، وتبعه قدور بك وسلمان مجر وقد أعلموا رؤساء القرى الفرقة والآغاوات محرضين ان يقتلوا المسيحيين (*).

ومن هؤلاء الذين نفذوا أوامرهم وتعليماتهم : ابراهيم صاحب قرية خزنة الذي أخرج المسيحيين من قريته وقتلهم. وأحمد اليوسف صاحب قرية (سكية)

(*) هؤلاء المذكورون، بعد ان توقفت المذابح، ووضعت الحرب العالمية أوزارها، انتقلوا من نصيبين في تركيا إلى القامشلي (نصيبين الجديدة) في سورية وعاشوا مع المسيحيين عيش سلام وألفة وطنية وتأصلّت الصداقة بينهم في ظلّ الحكم العربي الذي لا يفرّق بين المواطنين بسبب دينهم. (المترجم).

الذي جمع كل المسيحيين من القرى المحيطة وذبحهم بيديه كالخراف. ومحمد العباس صاحب قرية (دوكر) بمعاونة الضابط قدور قائد فرقة الخمسين قتل كل المسيحيين في قريته. وعلي العبس صاحب قرية (حلوة) قتل مسيحيي قريته بتحريض قدور قائد فرقة الخمسين، واستولوا على كل أموال المسيحيين، ولا سيما الأغنياء ومنهم بيت ايليا اليودا **ܐܠܝܐ ܐܠܝܘܕܐ** وغيرهم ... **أين هي عدالة السماء ؟ ...**

أما هذا قدور قائد جيش الخمسين، فأخذ معه أحمد العباس وابراهيم الخليل وعمر الأوس رئيس عشيرة الدكشورية فقتل كل مسيحيي قرى : **محركان وكرشامو وخويتلا ولم يترك أحدا ان ينجو من الموت،** ما عدا سليمان العباس فأعطى الحرية للمسيحيين في قرية (كرشيران) ونجوا من الموت. أما مسيحيو سروجيه وكُبيبه وسواهما فهربوا وتشتتوا في مناطق أخرى.

أما هذا الشرير قدور قائد جيش الخمسين، فجمع النساء والأطفال في كنيسة مار يعقوب، ثم أخرج النساء وقتلهن في مكان يدعى (خرابة كورت) أي خربة الدب. وبعد ان انتقى هو وجماعته البنات الجميلات عاد وربط الأولاد بحبال وأخرجهم إلى البرية وسلّط عليهم الخيول التي وطأتهم بأقدامها وماتوا.

ثم جمع هؤلاء الظالمون أموال ومقتنيات المسيحيين ووزعوها فيما بينهم. **يا لعدالة الجيرة ؟ ... أما محمد رئيس عشيرة (طي)** (*) **فأمر جميع أبناء عشيرته والمنتسبين إليه أن يحافظوا على المسيحيين ويحموهم، لا سيما الذين يلجأون**

(*) تأمل أيها القارئ، إنسانية العرب ولا سيما العشائر وفي مقدمتها عشيرة (طي) ومحبة الزعيم اليزيدي (حمو شرو) وجماعته، ولطفهم بالمسيحيين وعملهم الإنساني الرائع. وقارن الجناة من الجيران وأهل المنطقة وقد علّمهم القرآن الكريم : من يعمل خيراً مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل شراً مثقال ذرة شرّاً يرى. فهل يعتبرون. (المترجم).

إليهم وان يعتنوا بهم وبعث كثيرين من المسيحيين إلى صديقه البار (حمو شرو) صاحب سنجار ولم يفعل شراً مع المسيحيين بل لم يأخذ شيئاً من أموالهم ومقتنياتهم.

يحكى ان هذا محمد رئيس قبيلة (طي)، جاءه بعض هؤلاء الأشرار يحملون بيدهم خاتماً كثير الثمن يبيعونه إياه، فسألهم من هو صاحب هذا الخاتم ؟ فأجابوه ان صاحب هذا الخاتم هو مسيحي، فأجابهم إن قلبي لا يرتاح ولا يسمح لي أن أتنعم بما لم يتنعم به صاحبه الشرعي. فخجل هؤلاء اللصوص وخرجوا من عنده ملتحفين بالعار.

الفصل الثامن والثلاثون :

الآلام وعذابات الابادة
التي أصابت مسيحيي آمد (دياربكر) عام ١٩١٥

بقدر ما يكون المؤرخ خبيراً وماهراً، بقدر ما يكون قلمه سليطاً ومصقولاً. هذه الميزات لا تجعله قادراً ان يصوّر الآلام والضيقات وحروب الإبادة التي أصابت مسيحيي دياربكر بالمستوى المطلوب، لأنها تفوق الكلام والتفكير، وحسبنا ان نقول ان مدينة دياربكر ذات الحجارة السوداء بسبب كثرة آلامها وعذاباتها وما تحمّلته من مصائب، صار السواد صفتها وميزة آلامها وشعبها. وصدق فيها قول الأولين (**قلاع الدماء**).

أخذت الشرور والويلات تمتد إلى دياربكر عندما بدأ أعضاء حزب الاتحاد يتآمرون في العاصمة (القسطنطينية). واختاروا رجلاً شريراً يبغض المسيحيين يدعى (رشيد) وأقاموه والياً على دياربكر. وفوّضوا إليه حرية القرار في كل عمل

أو تصرف، ووضعوا بتصرفه قطيعاً شريراً من البلشيين المعروفين بقساوة القلوب وبغضهم للمسيحيين وكرههم لهم.

وفي اليوم الخامس من شهر نيسان، اخترع الوالي رشيد باشا وسيلة شيطانية خبيثة كقلبه المجرم، وجلب من العاصمة ستة ضباط من مؤيّديه وحضروا إلى دياربكر كجواسيس لكونهم يعرفون اللغة الأرمنية جيداً، وأرسلهم إلى كنيسة الأرمن وهم يعرّفون عن أنفسهم انهم أرمن هربوا من العاصمة وجاءوا إلى دياربكر، ليحرّضوا الأرمن على التمرد والعصيان على الدولة لمصلحة مملكة روسيا.

أما رشيد باشا فأعلن ببيان مكتوب، ان ستة ضباط أرمن هربوا من العاصمة وجاءوا إلى دياربكر كعصاة ومتمردين ليثيروا الفتنة ضد الإمبراطورية العثمانية.

المسؤولون في دياربكر يبحثون عنهم في الكنائس وبيوت وجهاء الأرمن. وبعد يومين ذهب رشيد باشا بنفسه مع قائد يدعى (رشدي) وبعض الضباط والجنود وأخذوا يدورون في المدينة. وعندما بلغوا كنيسة الأرمن وجدوا فيها هؤلاء الجواسيس. فضج رشيد باشا واضطربوا ورفعوا أصواتهم مولولين ومستنكرين، فأمر رشيد باشا ان يفتّشوا الكنيسة والمطرانية لعلهم يجدون فيها سلاحاً، وبدأوا يحفرون ويهدمون ويفتشون ويبحثون عن السلاح لمدة خمسة أيام.

ومن صباح يوم الاثنين الثاني عشر من شهر نيسان إلى يوم الخميس الخامس عشر من شهر نيسان، ألقوا القبض على ستمئة وأربعة عشر رجلاً من وجهاء الأرمن وتجارهم من محلة (فاتح باشا) ومحلة (حصولي) ووضعوهم في مكان يدعى بيت الضيافة والغرباء.

ولما ضاق هذا السجن بهم أخذوا يضطهدونهم ويعذبونهم بأنواع العذابات المريرة، فكانوا يقبعون أظافرهم بالكلبتين وبعضهم يقبعون أسنانهم وأضراسهم بدون رحمة. وغيرهم يثقبون أيديهم وأرجلهم بالسكك الحديدية. وكثيرون من هؤلاء المساكين ماتوا في السجن من كثرة العذابات وألقوا بجثثهم على المزابل.

ولم يكتفوا بأفعالهم الشريرة اللاإنسانية بل خرجوا إلى قرى المسيحيين المحيطة بدياربكر وبدأ العساكر والطغاة يقتلون المسيحيين وينهبون بيوتهم وينزلون بهم أنواع الاضطهاد والعذاب بدون رحمة.

وفي هذا الوقت القاسي وصل إلى دياربكر ثمانمئة وأربعون رجلاً أرمنياً، من عمال الطرق في مناطق أرضروم وطرابزون وأرزنجار، وفيما كانوا في الطريق أرسل رشيد باشا فرقاً من الجيش وقتلهم في الطريق.

ويوم الأحد ٢٥ نيسان أوثق الطغاة ثمانمئة وسبعة رجال من المعتقلين في بيت الضيافة، وربطوهم بالحبال وأخرجوهم من الباب الجنوبي المعروف باسم (باب ماردين). ولما بلغوا نهر دجلة وضعوهم في سبعة عشر كلكاً (ܟܠܟܐ) (عبّارة نهرية) كانت جاهزة. ورافقهم رشدي باشا مع بعض الضباط والجنود الجركز (الشركس)، ولما ابتعدوا من المدينة مسافة ساعة أوقفوا مسيرة العبارات وأمروهم ان يكتبوا رسائل إلى ذويهم قائلين : إننا ذاهبون إلى مدينة الموصل. حتى يغشوا ويخدعوا مسيحيي دياربكر في هذه المكيدة. وهناك عرّوهم من ثيابهم وقتلوهم في مكان يدعى (مضيق رمّا) وأضرموا النار بالعبّارات (الأملاك)، وعادوا بسرعة إلى دياربكر حتى يقودوا قافلة أخرى إلى الموت.

وهكذا كلما كانوا يخرجون قافلة كانوا يواكبون مطران الأرمن ويذهبون معه إلى بوابة المدينة لكي يرى بعينيه شقاء شعبه فيحزن أكثر.

وعند انتهائهم من نقل آخر قافلة للرجال أخذوا المطران وساقوه إلى السجن، وطفقوا يلقون القبض على كل من يصادفونه داخل المدينة وخارجها وينقلونه إلى مسجد فاتح باشا، وهناك يعذبونه بالضربات القاسية المميتة ولم يتورعوا من تقطيع بعضهم ارباً ارباً وعلى آخرين يصبون زيتاً حامياً ويحرقونهم.

ثم جلبوا كهنة الأرمن الخمسة وألحقوهم بمطرانهم في السجن. وكانوا يعذبونهم عذابات لم يفعلها الشياطين.

ثم ساقوهم إلى ساحة السراي وجلسوا على ظهورهم كالحيوانات وهم ينهالون عليهم بالضرب ويلطمون رؤوسهم ويجبرونهم على تنظيف الأرض بالمكانس وهم جالسون على ظهورهم.

واستمروا على أفعالهم هذه الشنيعة لمدة ثلاثة أيام. وكانوا يضعون على رأس المطران المسكين جرن حجارة ثقيلاً ثم يجبرونه على الرقص وهم يهزأون به. ثم سلقوا بيضتين ووضعوهما في حفنتيه، وألزموه ان يضعهما بيديه حتى ذاب لحم يديه من الحرق. أخيراً جاءوا بمسمار كبير ودقوه بجمجمة المطران حتى خرج من عنقه، ثم ساقوه إلى ساحة السراي وهناك صبوا عليه زيتاً حامياً ونفطاً مغلياً وأحرقوه حياً وجرّوا جثته وألقوها في المزبلة. أما الكهنة الخمسة فقد ربطوا حبالاً بأعناقهم وظلوا يشدونها حتى ماتوا جميعاً.

بعد ان قضوا على كل الرجال بدأوا بجمع الأطفال ويقودونهم قوافل قوافل. بعضها عن طريق بوابة الروم وبعضها من بوابة الجبل، ومنها من باب ماردين.

وفيما كانوا ينقلون هذه القوافل وخاصة النساء كان الرجال المسلمون يخطفون الأطفال من صدور أمهاتهم وهن في طريقهن إلى الموت.

حدثني جورج مرجان من قرية القصور، قال : بينما كان يجول في البرية بشكل عربي بدوي رأى في قرية (شيركه) قافلة نساء آتية من دياربكر.

ولما وصلت القافلة إلى القرية أخذوا يفصلون النساء أربع أربع ويقودوهن إلى بئر عميقة. وبعد ان يعروهن من ثيابهن يقتلوهن ويلقوهن في (الجب) البئر العميقة.

ورأى قافلة أخرى من الشيوخ والنساء والأطفال آتية من دياربكر إلى قرية (تعلكه) قتلوهم جميعاً وألقوا بجثثهم في البئر. وذهب بنفسه إلى البئر وكان يسمع أصوات التنهدات والصراخ. فأخذ حبلاً ودلاّه لهم فأنقذ اثني عشر شخصاً منهم ابن منير خاتون بنت يوسف طوراني.

ورأى قافلة ثالثة في قرية (عاليه) في غرب (تعلكه) بعد ان قتلهم الطغاة وألقوا بهم في البئر، ذهب رجل يدعى (عبد القادر بك) مع بعض اتباعه وأخرجوا من تلك البئر حوالي خمسين شخصاً مصابين مجروحين واهتم بهم وعالجهم قدر استطاعته لكنهم بالنتيجة ماتوا. **الخير يعرف صاحبه ...**

وهكذا فرغت دياربكر من المسيحيين ولم تكن ترى فيها عام ١٩١٤ إلا بعض المشردين التعيسين الذين نجوا من الموت، ومعظمهم من سكان القرى المحيطة بدياربكر وأكثرهم شيخات طاعنات في السن، وأطفال وبنات دون الثانية عشرة سنة. والجميع يعيشون على الاستعطاء والصدقات، وهم لا يملكون شيئاً.

وكانوا يعيشون في بيوت الأرمن الفارغة والمهدومة. وهؤلاء أيضاً مات معظمهم من الجوع والعطش والبرد والوباء (الكوليرا) الذي حلّ بالمدينة من نتانة هؤلاء المهاجرين والمنبوذين، الذين جاءت بهم الحكومة من المناطق الشمالية الذين كانوا مسبيّين إلى روسيا.

الفصل التاسع والثلاثون :

أسواق بيع مقتنيات المسيحيين وممتلكاتهم

كل من يجول في مدن ما بين النهرين بعد الاضطهاد والخراب والقتل والسبي والجلاء الذي حلّ بالمسيحيين يلاحظ ان القتلة الظالمين يهتمون بالعثور على فَعلة وحمالين (عتّالين) ويأخذونهم بالقوة إلى بيوت المسيحيين، ويحمّلونهم المواد والأثاث والثياب والقماش والممتلكات فيجلبونها إلى مكان عام ويبيعونها بأسعار رخيصة ويضعونها في خزانة الدولة التي هي جيوبهم.

وهنا، على سبيل البرهان عما حدث في مدينة ماردين أقول : بعد أن قُتل المسيحيون، استولت الحكومة على بيوتهم وأملاكهم وأموالهم المنقولة وغير المنقولة. وأفرزت أناساً أشراراً ليقوموا بالمسؤولية، منهم : ابن حجي ونجيم بقيادة حسن بن مقتي ومحمد علي جلبي وصادق بن سرّي. هؤلاء جمعوا عمالاً وحمّالين بالقوة ونقلوهم إلى بيوت المسيحيين وحوانيتهم ومخازنهم ونهبوا أموالهم ونقلوها إلى بيت كبير ودار واسعة وإلى كنيسة الأرمن وباعوا هذه البضائع علانية. وكلما كانوا يعثرون على جرة أو ربطة ثمينة كانوا يضعونها في جيوبهم خفية ويذهبون بها إلى بيوتهم.

وكنت اسمع أصوات السماسرة (الدلالين) وهم يصرخون وبأيديهم مقتنيات المسيحيين ويبيعونها باطلاً، ويدفعون أثمانها إلى الموظفين الجالسين هناك خلف طاولاتهم. ولقاء ذلك لم يرض هؤلاء الموظفون إلا بحصة الأسد من مبيعات المال المسلوب والمنهوب. ثم انتقلوا إلى الكنائس ونهبوها من كل أثاثها وآنيتها كالكؤوس والصواني والصلبان وقناديل الفضة والذهب والحلل الكهنوتية وأغطية

المذابح والسجاد والبسط باعوها جميعها بأثمان زهيدة. وكنت ترى على أرض الكنيسة الكتب المقدسة وكتب الطقوس ممزقة وأوراقها مبعثرة يطأونها بأقدامهم.

وبعد ان انتهوا من بيع مقتنيات المسيحيين فكروا كيف يمكنهم ان يحصلوا على خزائن ومخابىء وصناديق أموالهم (*).

الفصل الأربعون :

المخابىء والكنوز

كثيرون من المسيحيين أخفوا أموالهم وممتلكاتهم الثمينة كالفضة والذهب والمصاغ والمال وسواها تحت التراب في أراضي البيوت، لئلا يسيطر عليها الأكراد وآغواتهم، حتى يتصرفوا بها بعد النفي إذا عادوا إلى بيوتهم.

ولم يفكر المسيحيون ان هؤلاء الأعداء هم أذكياء وفطنون، فدعوا بعض الذين يتعاطون السحر ولهم معرفة بالغيب وأمروهم ان يفتشوا بيوت التجار ويحفروا ويبحثوا عن المخابىء والكنوز وقد حصلوا على شيء كثير.

الفصل الحادي والأربعون :

قوة الله التي تحرّك صالحين كثيرين ليعلنوا حقيقة دين المسيحيين

أ- الولد الصغير :

أحد أطفال المسيحيين وقد سباه أحد المسلمين من الحارة السفلى وتدعى حارة الدباغين في ماردين. هذا لما أخذوه مع طفل آخر إلى مرضعات مسلمات

(*) إذا لم تظهر عدالة السماء في حينها لنا ثقة ورجاء إن عدالة الله تمهل ولا تهمل، فالويل للظالمين. (المترجم).

كان يصرخ ويرفض ان يرضع اثداءهن، ولما كانوا يأخذونه إلى نساء مسيحيات كان يرضع بفرح، فسلّموه إلى المسيحيين ليعود إلى أصله.

تبارك اسم الخالق ...

ب - بتول المسيح :

أحد الجنود الذين كانوا يحرسون دير الزعفران أعلمنا، بينما كان ذاهباً مع قوافل المسبيين، أخذ إحدى الفتيات الجميلات المسيحيات ليزّوجها لابنه، وعندما حدّثها بهذا ألقت نفسها أرضاً و لم تخضع لمشيئته. وعندما أصرّت على موقفها لمدة ثمانية أيام و لم تخضع لاغراءاته، مفضّلة الموت مثل ذويها من أجل المسيح وتلح على تحقيق هدفها هذا. نقلها إلى خارج المدينة وقتلها هناك.

وهكذا ختمت حياها و لم تخضع لافساد عفتها والزواج النجس مع الأئمة.

ج - همجية الطغاة :

أحد جنود فرقة الخمسين حدّثنا. عندما كانوا يقودون قوافل المسيحيين، إحدى النساء التي كانت أماً لطفل ابن سنتين قالت لأحد جنود فرقة الخمسين :

اني عالمة انني ذاهبة إلى الموت، هوذا ابني هذا اجعله ابناً لك. وهذه ثلاث ليرات ذهب أملكها خذها واصرفها عليه. هذا الجندي أخذ الليرات الذهبية ووضعها في جيبه. أخذ الطفل من أمه وضرب رأسه بصخرة قريبة وأماته بحضور أمه وعلى مرأى عينها.

ولما عدنا بطريق رأس العين حيث نقلنا القافلة ووصلنا إلى تلك الصخرة، قصّ لنا ذلك الجندي خبر الطفل وطريقة قتله، وقبل أن يكمّل حديثه سقط الجندي أرضاً ومات قرب الصخرة.

وتمت فيه كلمة الرب :

(بالكيل الذي تكيلون يكال لكم ويزاد).

د – الباب بين الموت والحياة :

أحد الأشرار الطغاة نقل من إحدى القوافل فتاتين مسيحيتين جميلتين، الأولى ابنة اثنتي عشرة سنة والثانية ابنة ثماني سنوات.

ولما دعاهما إلى الاسلام، قالت الفتاة الكبيرة أنا لا أوّد ان أدخل الأسلام لأنني أرغب في الذهاب إلى أهلي. أجابها : ان ذويك جميعاً هم مائتون وأنت ما تزالين على قيد الحياة، أجابت الفتاة ان أمي علّمتني انه ليس بين الموت والحياة إلا باب صغير، ومفتاح هذا الباب هو السلاح الذي تحمله، ولما سمع الظالم هذه الكلمات تأكد ان هاتين الفتاتين لن تخضعا لارادته فأخذهما إلى خارج المدينة وقتلهما. وهكذا انتقلت هاتان الفتاتان الشهيدتان من الموت إلى الحياة.

ه – الشفرة كانت جوابها :

احدى قوافل المسيحيين المسبيين من دياربكر، كانت فيها فتاة جميلة بين هؤلاء المساكين.

ولما رآها القتلة والمجرمون هاموا بجمالها وحبها. وطلبها أحدهم لتكون له زوجة ولما فاتحها بالموضوع وحدّثها طالباً جوابها، نظرت إليه باحتقار وأخرجت شفرة من جيبها مزّقت بها بطنها وهي تقول : ان هذا هو جوابي الذي أعددته لمن يطلب مني هذا الطلب المرفوض ولهذا الظرف بالذات.

وهكذا فارقت هذه الفتاة الجميلة حياتها على الأرض لتنتقل بعفتها وطهارتها ونقاوتها إلى السماء.

و – كالحمل إلى الذبح :

أحد شباب دياربكر عندما بلغ موعد قتله، طلب من القتلة والسفاحين الاّ يمسكه أحد، فرفع يديه إلى السماء ونام أرضاً ومدّ عنقه، ودعاهم إلى قتله كالحمل المساق للذبح قائلاً : الآن نفّذوا ارادتكم ...

يا لمحبة الرب يسوع ...

ز – قوة الله بمختاريه :

قره كليسه (الكنيسة السوداء) هي احدى قرى دياربكر. فيها كنيسة باسم مار ايليا الحي (مار الياس) كانت تقيم فيها عائلة كبيرة من مهاجري قرية (وان) بعد قتل المسيحيين والمجازر التي أصابتهم.

في أحد الأيام جاء أحد المهاجرين المقيمين في الكنيسة وسأل أحد المسيحيين الذي كان يخدم عائلة مسلمة في القرية وسأله : هل هذه الكنيسة مهدومة بواسطة المسلمين أو هي خربة منذ عهد بعيد ؟

فأجابه ذلك الرجل المسيحي قائلاً : انها خربة منذ عهد بعيد، ثم قال ذلك المهاجر : في احدى الليالي جاءني رجل يلبس ثياباً سوداء وقال لي : اخرجوا من هذا المكان والاّ سأميتكم، وحتى الآن مات خمسة رجال منا وأخي هو مريض. قال هذا وذهب. وصباح اليوم التالي جاءني هذا الرجل وطلب مني فأساً ورفشاً ليدفن أخاه. وبعد يومين مات أخوه الآخر أيضاً. وكان هذا المنظر يتوالى عليه كل ليلة. وبعد ان دفن شقيقه الثاني جاء إلينا مع مواشيه وقطيعه والتي كانت ترعى مع ماشية القرية وقال لنا : انني سأغادر هذه الكنيسة قبل أن أموت.

مبارك أنت أيها القديس الغيور مار الياس ليت الله يقيمك على ميزان الحق.

ح – انقلب شره على رأسه :

أحد الجنود الأثيمين جداً، بينما كان ذاهباً مع قافلة المسبيين وهو يسير خلف القافلة. وكان كلما رأى مسبياً يتخلف أو يتأخر بالمسير لسبب التعب أو الوهن أو المرض أو لأي سبب يهجم عليه فوراً ويقتله ويخلع ثيابه.

ولما عاد في احدى المرات ليذهب إلى بيته وهو يحمل غنائمه من هؤلاء المقتولين المظلومين، أصيب بمرض في الطريق ولم يتمكن من الوصول إلى منزله، سمع أهله فجاءوا لعونه ومساعدته فرأوه وقد افترسته الكلاب ومزّقته ارباً ارباً.

ليت عدالتك يا رب تظهر فوراً ...

ط – عذاب دينونة الضمير :

يحيى بن ياسين الدياربكري ، كان قائد جيش فرقة الخمسين. أيام قتل المسيحيين واضطهادهم. جمع أموالاً كثيرة وخاصة من ممتلكات الكنائس والآنية الكنسية الفضية والذهبية، وسرق خمور الكنائس حيث وقعت عينه عليها.

هذا الرجل، عندما خف الاضطهاد أصيب بمرض عضال وفقد عقله وفقد الذوق والتمييز. كان يرى رؤى ومناظر مخيفة ورهيبة كان يصرخ باضطراب قائلاً : ما هو هذا الصوت الذي أسمعه من الكنائس، فهي تطلب مني حساباً عن كل ما فعلت. اقفلوا الأبواب والنوافذ، وهكذا قضى نحبه ومات وهو يتعذب بهذا المرض القاسي وفي هذه الرهبة مات في حمام المنزل شرّ ميتة.

لو كان كل إنسان يجازى في هذا العالم بحسب أعماله، فإن كل عذابه لا يقاس بظلمه وسيئاته وشروره الكثيرة التي ارتكبها بحق المسيحيين الأبرياء.

ي – هكذا تفسد :

ܗܟܢܐ ܡܬܚܒ̈ܠܢ ܥܒܘ̈ܕܐ ܕܪ̈ܘܗܐ

فتاة شابة ابنة ثماني عشرة سنة جميلة المنظر والقوام، كانت مسبية مع قافلة تضم أربعة عشر ألف شخص من ارضروم. ولما مرت القافلة وعبرت قرية (حرين) في ولاية ماردين. هام بحب هذه الفتاة قائد القافلة وبعض جنوده. وتنافسوا لتكون زوجة لواحد منهم.

قائد القافلة عندما رأى لجاجة واصرار أصحابه الساعين إلى طلبها زوجة لواحد منهم. تركها واهملها وصرف النظر عنها. تقدم منها أحد المسؤولين (قائد العشرة) وأخذ يستلطفها ويغريها لتقبل به زوجاً. أما هي فأجابته بكل صراحة قائلة : هل ترى جمالي هذا الذي ليس له مثيل في منطقتك، ناهيك عن معرفتي وعلومي وأدبي التي لا تقارن بها كل معارف ومعلومات منطقتك أيضاً. مع كل هذا أطلب منك ان تجيبني إيجابياً بكلمة (نعم) سأتجاوب معك. ولما أجابها سألها ان تقول ماذا تريد ... أجابته قائلة : قل، انني أكون مطلّقاً من زوجتي إن لم أقل لك ... نعم. وعندما تضايق بهذا، قال له أصحابه : أجبها كما تريد فنرى ماذا تفعل. وعندما قال لها هذه الكلمة، أجابته إذاً تعال وصر مسيحياً، فاضطرب وصرخ بغضب قائلاً : كيف تقولين لي هذا أيتها الكافرة. ونظرت إليه باحتقار وهي تغريه بجمالها وصمتت ولفتت وجهها عنه.

وعندما سباه حبها وثارت شهوته، ترجاه رفاقه ان يسايرها بلسانه فقط انه يصير مسيحياً. ضحكت منه بسخرية وقالت : انك لسبب شهوة زائلة. طلّقتَ زوجتك الأولى وأنكرت دينك، كيف أأتمنك. بل كيف اعتمد على وعدك وأعقد معك زواجاً. أما أنا يكفيني اني سمعتك، انك تؤمن بالمسيح.

وأنت يا هذا، أظننتني بدون عقل لأوافقك الشركة وأتبع رجلاً غريباً عن ديني وأتنجس معه بالزواج. لا سيما ان عائلتي المعروفة بالإيمان والجاه قد مات أفرادها بسيوفكم وحقدكم. إذ لا مقارنة بين شرفي وكرامتي وحقارتك. وعندما غضب عليها وهمَّ بقتلها وهو يتوعد ويهدّد، أجابت بفرح : الآن أموت بهدوء. وسلام على اسم المسيح ذاك الذي اعترفت أنت به الآن.

وبعد ان فقد الأمل من الحصول عليها، تنهّد وطلب من أحد الجنود ليقتلها، لأن قلبه لم يطاوعه ليقتلها هو بيده. واستشهدت قرب قصر (سروجخان) أو فندق سروج. وهكذا فاضت روحها ذبيحة في بتولية مقدسة على مذبح الرب.

يا (١١) الجندي المهاجر الذي آمن واستشهد :

حدّثنا رجل مسلم من ماردين يدعى (عبو بن شيخي خلف) الذي كان من جيش فرقة الخمسين قائلاً : ذهبت مرة مع قافلة من ماردين مسافة في طريق رأس العين وعندما كانوا يقتلون هذه القافلة قرب بئر في طريق قرية (تيمسكه) أبقوا على قيد الحياة شابة كان يريد أحد جنود الأتراك ان يتزوجها.

ولما دعاها هذا الجندي إلى الإسلام ورفضت. وقالت له انها لا تريد الذهاب بل ترفض ان تترك دينها، ولما بذل ذلك الجندي جهوداً كثيرة لاقناعها و لم يفلح. تضايق منها وغضب واستلّ سيفه وضربها قاطعاً رأسها.

ورأى بعينيه ان الدم يرتفع إلى العلا ولا يترل (لا يسقط)، واندهش وتعجب لهذا المشهد، وأطلق صوتاً عالياً وبندامة قائلاً : أنا أقدّم حياتي قرباناً لهذه العقيدة المستقيمة. ولما سمع رفاقه كلمته، وبّخوه قائلين لا تردد هذه العبارة لأن إيمان هؤلاء هو باطل. إلا انه ظل يردد هذا القول مصرّاً على موقفه، فوجهوا إليه بنادقهم وأسلحتهم وقتلوه. وسقط إلى جانب تلك التي صارت سبباً لاستشهاده.

يب (١٢) شهيدان من بنابيل :

شمعون وشمّو، هذان بلغا مستوى الشهداء الأولين. الأول عندما كان يهرب، ولم يفارق اسم يسوع شفتيه وفمه حتى أسلم روحه. أما الثاني، مع كونه شيخاً، ولم يشأ ان يأتي مع العائلات إلى دير الزعفران لكنه كان يقول : كيف أنا أغادر والشباب والفتيان يقتلون هنا ... أفضّل ان أموت هنا على اسم المسيح لأكفّر عن ذنوبي القديمة.

وهكذا كان الأمر عندما كانوا يقصدون الهرب. رأى هذا الشيخ رجلاً يدعى صوفي (*) وسأله ما هذا الصوت الذي نسمع أيها الصوفي ؟ هل تكذبون علينا. أجابه الصوفي : لا شيء ثم صوّب نحوه بندقيته وقتله. فوقف الجريح على قدميه وقال يا يسوع ساعدني، وسجد على الأرض معانقاً صخرة نحو المشرق وسلّم روحه بيد خالقه.

أحد الأكراد وعندما كان يقص هذه الأخبار في مجلس أحد الطغاة، كان يردد عبارته قائلاً : ما أعظم محبتهم للمسيح ... مَن هو هذا المسيح الذي ينادون به ولا ينكرونه حتى الموت ...

شخص آخر من بنابيل اسمه (يوسف قرقوع) هذا بعدما ضُرب حتى الموت، بعد يومين رآه أحد المسلمين ان روحه ما تزال حيّة فيه، فناداه يوسف باسمه لأنه كان يعرفه شخصياً واسمه (بكربن مطّو) وطلب منه قائلاً :

إما خذني إلى اخوتي في قرية (بكّيرة) إلى دير الزعفران. فأجابه (بكربن مطّو) ان اخوتك قد ماتوا أمس وقتلوهم، ودير الزعفران يعاني الضيق من حصار الأكراد له. ولن ينجو أي مسيحي. فالأفضل لك ان تعلن اسلامك فأنقلك إلى

(*) صوفي كلمة كردية تعني (الشيخ) وتطلق على رجل الدين المسلم والشيخ العادي. (المترجم).

منزلي. أجابه يوسف قائلاً : ان كان اخوتي قد قُتلوا ودير الزعفران سيسقط، فما نفع وجودي حياً وأنا ما بين حي وميت.

ثم تابع يوسف قائلاً : أرجو ان تأتي إليّ وتهمَّ بقتلي، أرجوك صفٍّ حياتي واقتلني لأرتاح. ولما ردد عليه الكلام قائلاً : انني أموت على اسم المسيح ... ونزولاً عند رغبته جاء (بكر) وقتله، بعد أن وشم نفسه بعلامات الصليب ثلاث مرات.

يج (١٣) قافلة من دياربكر :

هذه القافلة سيقت من دياربكر وعدد أفرادها ألفان وخمسمئة نفس. ولما جاء الجنود بهذه القافلة إلى مكان يدعى (شكفته) أي الكهوف والحفر في منطقة (بيت رمّو) أحضروهم إلى وادٍ عميق ووجهوا إليهم البنادق حتى ذابت البواريد من كثرة إطلاق النار.

وبقي دخان حرق الجثث لمدة ثلاثة أيام يملأ الجو سواداً وهواءً معكّراً.

أحد الأكراد كان يمرّ بذاك المكان جاء إلى جنود القرية وقال لهم : ما يزال بعض الأحياء بين هؤلاء الذين قتلتهم. أمس رأينا بينهم قسيساً يلبس ثياباً أرجوانية تلمع، ومعه أربعة رجال محترمين ولما ذهب الجنود ليروا لم يعثروا على شيء، سوى الهدوء والحزن المهيب والألم الذي يفطر القلوب.

يد (١٤) اليزيديون أصحاب القلوب الطيّبة :

حدّثنا رجل يدعى ميخائيل بن صليبا السرياني المارديني قائلاً : أنا كنت اشتغل في نسيج خيام العرب في سهل جبل سنجار حتى صيف ١٩١٦. وكنت أرى قوافل كثيرة تأتي من بلاد أرمينيا ويُقتل المسبيون بدون رحمة.

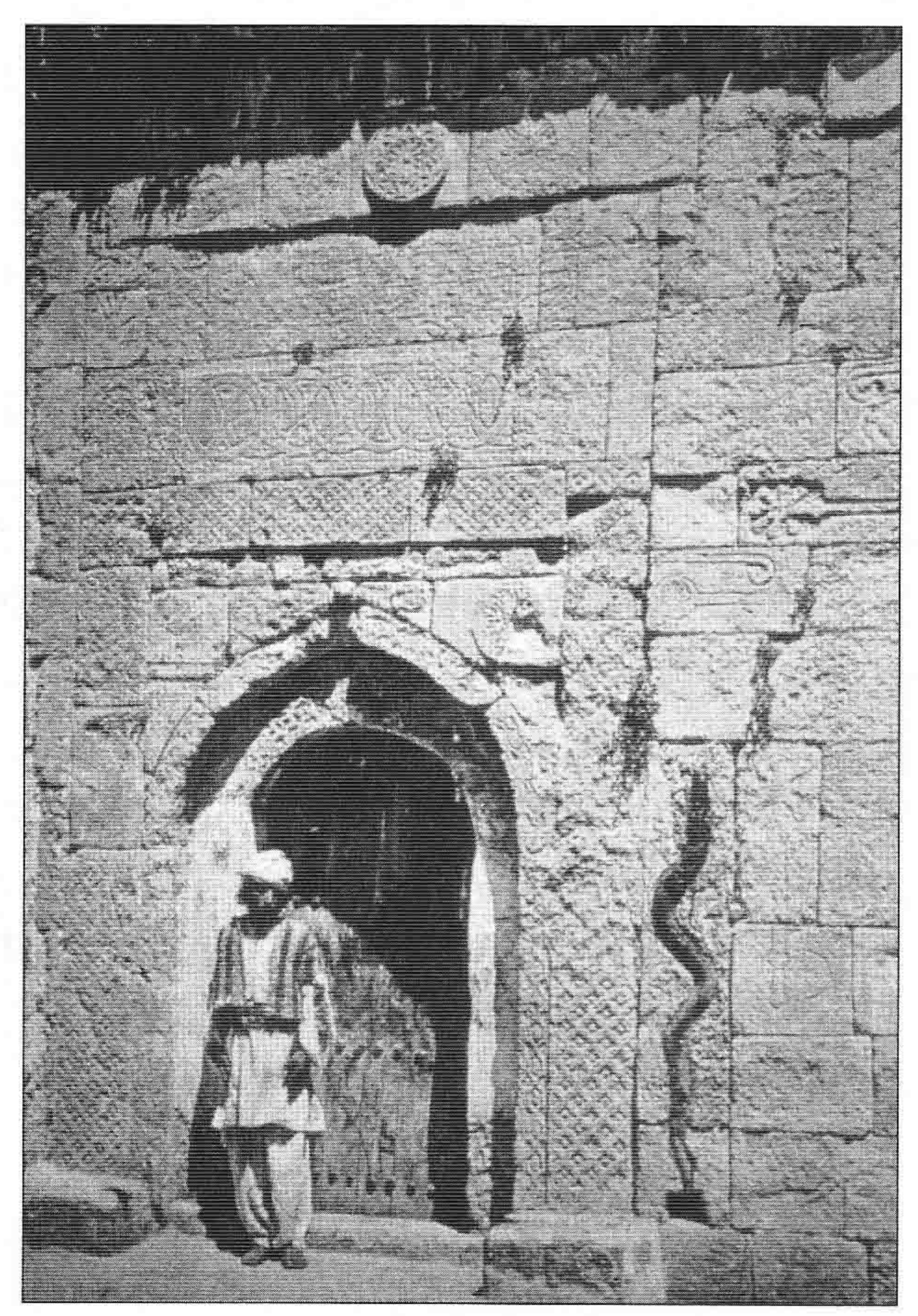
وفي أحد الأيام أحضروا قافلة كبيرة وأحلّوها في قرية (وردية) وجدلا وأبجرا وهول وعين غزال وأم ديبان وسواها ... حتى يقتلوهم في اليوم التالي.

ذهبنا ليلاً مع رجلين يزيديين إلى قرية أم الديبان وخطفنا سبعة عشر رجلاً واثني عشر ولداً وعشرين امرأة وثلاثة حمير. وأتينا بهم إلى زعيم اليزيديين المدعو (حمو شرو) الذي مدح تصرفنا وشجعنا ان نأتي بآخرين.

وقال ميخائيل أيضاً : وفي أحد الأيام ذهبت إلى زيارة رجل يدعى (محمد بيّو) الموصلي وقال لي : أبشّرك يا هذا، انني أمس خطفت ثلاث نساء أرمنيات ليس أجمل منهن في هذه المنطقة. واحدة منهن لي والأخريان لشقيقيّ وتابع قوله : وفي نفس الليلة ذهبت إلى اليزيديين رفاقي وشرحت لهم الموضوع، فجاء معي اثنان وعشرون رجلاً وقصدنا منزل الرجل وخطفنا بالقوة النساء الثلاث وأتينا بهن إلى السيد (حمو شرو). ولما علمت النساء انهن ينقلن إلى المسيحيين فرحن فرحاً كثيراً وأجهشن بعد ذلك بالبكاء على الفجوة العميقة التي أصابتهن بموت كثيرين من أهلهن وأقاربهن ...

هذه صور وحقائق مؤلمة فيها عبر ودروس وتعاليم كثيرة. سجلها المؤلف للأجيال اللاحقة. وقد سلّط الأضواء على الظلم والظالمين، ليستفيد القارىء والسامع لعلّ الشر يخف في العالم. وليس على الله أمر عسير.

أنجزت ترجمة هذا الكتاب في مركز مار مرقس
مدينة نصر في القاهرة / مصر
فجر يوم الخميس ٢٥ آذار ٢٠٠٤
وهو عيد بشارة العذراء
ولله الحمد.



مكان مقدّس لدى اليزيديين

ܐܘܟܝܬܐ

ܥܠ ܩܛܠܐ ܕܙܪܘܥܐ ܕܐܬܘܪܝܐ

ܒܣܡܝܠܘܪܝ ܫܢܬ 1933

ܗܐ ܡܢ ܫܢܝܐ ܫܒܥܐ ܕܐܫܝܐ ܐܡܬܝ ܕܦܢܝܢ
ܐܝܟ ܫܘܦܐ ܕܝܢ ܘܐܠܝܢ ܓܘܢܝܐ ܣܒܪܝܢ
ܠܥܒܕܐ ܡܟܪܣܝ ܘܠܒܬܝ ܝܘܪܐ ܫܒܝܠܐ ܡܒܪܝܢ
ܘܥܠ ܡܬܪܐ ܟܒܪܐ ܡܪܝܡܝܢ ܒܝ ܡܬܝܒܪܝܢ

ܐܘ ܡܢܝܢܘ ܫܪܟܐ ܠܡܫܘ ܕܘܪܐ ܕܫܡܪܝܢ
ܐܘ ܕܒܝܬܘ ܕܝܠܬܗ ܠܐܬܪܐ ܠܐܟܝ ܟܠ ܥܒܪܝܢ
ܐܝܟ ܠܫܡܥܬܐ ܐܝܬܐ ܡܪܝܡܐ ܗܘܢ ܠܡܫܒܪܝܢ
ܠܡܐ ܢܚܒܢ ܦܢ ܘܠܐ ܡܢܝܐ ܠܒܢ ܠܫܡܥܐ ܠܐܟܪܝܢ

ܕܠܒܢ ܩܠܐ ܗܘ ܕܡܢ ܒܠܫܢܐ ܠܐܪܥܐ ܠܐܚܪܢܝܢ
ܘܢܛܐ ܐܪܥܐ ܠܐܟܠܕܝܢ ܠܐܪܩܝܢ ܡܢ ܟܠ ܡܒܪܝܢ
ܘܠܫܡܗ ܫܢܐ ܕܡܫܝܚܐ ܠܐܪܥܠܝܢ ܡܢ ܟܠ ܐܠܗܝܢ
ܘܗܘ ܕܫܡܘܫܬܐ ܐܪܥܐ ܕܟܠ ܚܝ ܒܒܝܬܗ ܠܥܒܪܝܢ

ܗܐ ܡܫܒܚܐ ܕܫܒܐ ܠܫܢܝܐ ܦܫܘ ܡܠܟܝܘܬܝܢ
ܘܐܝܟ ܢܡܘܣܐ ܕܫܪܝܪܐ ܫܦܝܪܘ ܡܠܟܘܬܝܢ
ܘܫܡܥ ܡܢ ܕܐܝܬܐ ܠܟܝܢܐ ܫܡܝܐ ܦܪܝܩܝܢ ܐܟܪܝܢ
ܐܢܐ ܗܘ ܠܐ ܒܫܡܠܝ ܝܬܒܘܢ ܕܢܝܫܬܝ ܕܫܘܦܪܗ ܡܫܒܪܝܢ

ܡܛܠ ܕܓܠ̈ܝܐ ܐܝܟ ܦܪ̈ܚܐ ܥܒܪܘ ܒܥܠܝܡܘܬܝ
ܘܥܠܝܠ ܡܛܪܦ ܠܒܝ ܠܐܬܪܐ ܒܝܬ ܥܡ̈ܝ
ܡܢ ܒܬܪ ܗܠܝܢ ܪ̈ܘܦܐ ܓܒ̈ܝܐ ܕܗܘܐ ܡܫܬܒܪܝ
ܐܝܟ ܐܪܐ ܐܚܝܐ ܕܐܝܟ ܡܪܥܝܢ ܡܪܥܝ

ܠܝܢ ܡܢܢ ܒܠܒܐ ܚܠܐ ܕܐܡܝܢ ܡܪ̈ܐ ܚܘܐܪܝ
ܠܝܢ ܒܘܢܐ ܐܡܐ ܛܠܡܬ ܪܒܘ ܡܢܪܝ
ܐܪܥ ܘܐܥܒܪ ܐܚܐ ܐܝܟ ܘܐܠܦ̈ܐ ܕܕܪܝ
ܠܝܢ ܒܘܒܐ ܘܢܝܢ ܚܠܒܐ ܕܐܡܐ ܕܝܘܪܝ

ܪܘܚ ܕܚܕܐ ܝܘܡ ܐܦ ܦܠܚܐ ܒܠܐ ܠܐܪܝ ܦܓܪܝ
ܠܦܘܠ ܚܕܐ ܪܘܚܐ ܦܓܪܐ ܢܠܦ ܒܐܒܐ ܕܐܚܪܝ
ܡܐ ܒܠܒ ܐܚܐ ܡܐ ܒܠܒ ܐܚ̈ܝܐ ܕܒܐܪܒܥ ܡܕܝܢܝ
ܐܪܐ ܝܕܥܝ ܐܘ ܒܦܢܝܐ ܓܡܪܘ ܒܝ ܐܦܫܪܝ؟

ܗܐ ܒܢ̈ܝ ܡܪܘܗ ܒܠܠ ܒܢ̈ܝ ܐܦܘܪ ܡܘܬܐ ܓܪܝ
ܠܒ̈ܬܐ ܦܫܩܝ ܠܢܓܡ̈ܐ ܒܕܝܢ ܠܕܡ̈ܐ ܡܥܓܪܝ
ܦܪܚܐ ܕܦܠܛܘ ܡܢ ܒܥܡ̈ܘܩܐ ܕܛܘܪܐ ܡܫܬܛܪܝ
ܠܦ̈ܬܐ ܘܡܒܪ̈ܐ ܐܝܟ ܐܪܐ ܒܢ̈ܝܐ ܡܢܛܪܝ؟

ܐܘܗ ܡܢ ܓܘܚܐ ܘܒܝ̈ܬܐ ܕܠܐ ܡܫܬܠܒܪܝ
ܕܐܬܪܐ ܚܘܫܐ ܕܒܥܠ ܐܒܘܐ ܡܠܐ ܦܠܠ ܗܕܪܝ
ܡܛܠܗ ܕܒܢ̈ܘܗܝ ܡܢ ܓܢ̈ܝܐ ܒܡܛܠ ܓܡܪܝ
ܘܡܠܟܝܗܘܢ ܠܛܪܐ ܡܢܠܡ̈ܢ ܘܠܐ ܐܝܠ ܕܦܒܪܝ

ܐܝܟ ܐܪܘܚܐ ܚܝܠܐ ܕܐܬܐ ܕܛܒ ܢܫܡܬܝܢ
ܕܫܡܝܐ ܘܐܫܘܡܝܬܐ ܘܟܪܣܐ ܕܚܝܝܢ
ܒܝܬ ܐܪܥܐ ܕܐܠܒܛܢ ܒܡܘܬܐ ܟܦܪܝܢ
ܐܝܟ ܐܝܟ ܐܡܬܐ ܠܒܒܐ ܗܐ ܡܬܕܒܪܝܢ

ܘܫܡܝܐ ܗܢܘܢ ܕܒܢܝܬܐ ܫܡܝܐ ܡܗܕܪܝܢ
ܕܡܟܝܢ ܗܘܘ ܠܟܠܗ ܒܗ ܕܟܪܐ ܒܚܝܠܐ ܡܦܩܝܢ
ܐܪܐ ܒܢܫܘ ܠܒܢܝܟ ܚܝܪܐ ܡܢ ܐܝܟ ܕܒܝܢ
ܐܘ ܠܫܡܫܘܬܝܢ ܗܢܘܢ ܒܫܡܝܐ ܒܐܪܒܐ ܡܒܗܪܝܢ

ܘܒܝܬ ܬܠܡܝܕܐ ܕܒܪ ܕܒܢܐ ܘܟܪܣܐ ܕܒܘܡܝܢ
ܕܟܠ ܢܫܡܬܐ ܕܒܝܐ ܕܡܫܘܚ ܒܐܘܦܩ ܫܘܪܝܢ
ܠܟܐ ܒܠܫܡܫܬܐ ܕܒܠܗ ܕܡܪܝܐ ܒܪܒܠ ܚܝܪܝܢ
ܐܘ ܐܝܟ ܕܒܝ ܡܢ ܫܘܪܐ ܒܫܠܝܘ ܒܫܝܢ

ܡܠܟܝ ܗܢܬܐ ܘܒܠܗ ܡܘܕܥܐ ܘܟܪܣܐ ܕܒܘܡܝܢ
ܕܕܒܝܐ ܕܡܘܫܠܐ ܐܠܗܐ ܒܘܐ ܒܗܘܢ ܡܠܟܝܢ
ܠܟܐ ܪܝܫ ܫܡܫܐ ܘܫܘܪܝ ܕܓܐ ܡܫܝܚܝ ܟܠܗܝܢ
ܐܘ ܠܬܐ ܗܘܘ ܠܟܠܐ ܘܪܓܐ ܘܟܠ ܫܡܝܐ ܒܟܝܢ

ܘܐܦ ܢܫܡܬܐ ܡܟܝܢ ܠܟܠܐ ܒܪܫܡܝܢ ܘܫܡܝܢ
ܕܩܪܝ ܡܪܒܝܢ ܠܟܠܗ ܕܡܪܝܐ ܫܪܝܢ ܫܪܝܢ
ܐܪܐ ܒܕܒܠ ܟܠ ܡܢܬܐܘܗܝ ܐܠܗܐ ܘܡܟܠܪܝܢ
ܐܘ ܦܪܘܩܐ ܫܠܡܘ ܠܕܘܒܬܐܘܗܝ ܡܐܠܒܝܢ ܡܟܒܪܝܢ

ܐܘ ܒܢ̈ܬܐ ܕܐܡܗ ܟܡ̈ܬܝ ܚܢܢܐ ܘܡܪܛܐ ܕܦ̈ܩܝܢ
ܐܘ ܚ̈ܝܡܗ ܛܘܒ̈ܢܐ ܕܟܪ̈ܝ ܡܢ ܦܠ ܒܪ̈ܝܢ
ܫܪ̈ܝܪܐ ܪ̈ܘܡܐ ܕܠܦܛܪ ܢܦܩ ܚܠܕܗ ܒܟܠ ܦ̈ܝܢ
ܕܐܢ̈ܬ ܡܫܡܫܝܢ ܘܐܘܠܝ ܡܪܒܝܢ ܘܕܡܢ̈ܐ ܡܫܡܪܝܢ

ܐܡܢ ܐܠܗܐ ܥܠ ܦܛܢ̈ܘܢ ܘܥܠ̈ܝܢ ܕܐܡ̈ܪܝܢ
ܠܫܪܐ ܡܦ̈ܢܐ ܕܠܐ ܡܢܘ ܢܟܪܘܢ ܒܪܟܘ ܫܦ̈ܝܢ
ܐܢ ܥܠ ܥܒܪܐ ܡܢܛܫ̈ܬܗ ܒܐܪ̈ܥܐ ܘܟܟܠ ܛ̈ܝܢ
ܐܘ ܥܠ ܝ̈ܪܡܐ ܕܒܗ ܛܘܪܐ ܘܚ̈ܝܠܐ ܡܒܪ̈ܝܢ

ܘܟܢ ܝܘܢ̈ܐ ܠܒܢ ܡܫܒܚܬܐ ܐܢ ܡܬܐܪ̈ܝܢ
ܘܡ̈ܢܐ ܪ̈ܡܪܝܢ ܪ̈ܒܥܐ ܐܘܗܝܢ ܘܗܘ̈ܝܐ ܐܗܪ̈ܝܢ
ܐܝܪܐ ܪ̈ܟܠܢ ܘܚ̈ܢܝܐ ܟ̈ܠܡܐ ܘܡܕ̈ܒܪܐ ܝܗܪ̈ܝܢ
ܕܗܠܐ ܡܒܥܐ ܘܝܟ̈ܦܐ ܚ̈ܝܝܢ ܒܐܝܪܐ ܕܫ̈ܦܝܢ

ܡܢ ܢܛܠ ܠܢ ܐܝܟ ܡܒܥܪ̈ܦܢ ܦܘܪܬܐ ܐܝܢ̈ܝܢ
ܪ̈ܒܐ ܒܚܪܐ ܘܐܒܐ ܚܫܝܟܐ ܫܦܪ ܐܘܪ̈ܝܢ
ܕܢܛܘܢ ܒܘܠܒܐ ܠܫ̈ܪܘܪܐ ܢܛܫܗ ܚ̈ܦܝܢ
ܘܢܒ̈ܢܐ ܐܝܪܐ ܡܕܝܢܬܗ ܫܘܪܐ ܒܝܗ ܒܥܠܝܘ̈ܪܝܢ

ܘܢܫܡ ܒܢܝܢܐ ܒܘܪܟܐ ܕܪܘܡܗ ܐܡ̈ܬܐ ܒܡܫܪܝܢ
ܘܟܠܗܘܢ ܪ̈ܓܫܐ ܕܛܥܡܬܗ ܠܪܘܡܐ ܚܫܪܝܢ
ܒܚܕܐ ܚܢܝܢܐ ܕܒܟܪ̈ܝܬܐ ܛܘܒ̈ܬܐ ܪ̈ܓܝܢ
ܠܟܘܠܗܝܢ ܒܫܡ̈ܬܗ ܕܟܢ ܢܦܘܩ ܘܒܪ̈ܪܝܢ

ܓܢܙܐ ܐܟܘܪܐ ܕܟܪ̈ܡܬܐ ܐܟܝܢ ܕܠܟ ܡܫܬܝܢ
ܟܪܡܗ ܕܡܫܝܚ ܗܘ ܐܦܢܐ ܦܪ̈ܝܫܝܢ ܣܢܝܢ
ܐܡܪ̈ܐ ܟܢܫ̈ܐ ܕܟܘܠܗܘܢ ܠܡܛܠ ܕܟܝ̈ܢ
ܐܡܟܗ ܓܘܡܐ ܗܘܐ ܟܠܐ ܐܪܥܐ ܒܡܥܛܐ ܐܝܟܝܢ

ܗܐ ܓܠܝܬܐ ܐܟܝ ܕܐܟܐ ܠܟܘܢ ܗܘ ܣܡܝܢ
ܐܪ̈ܥܐ ܡܪ̈ܥܐ ܕܡܢ ܟܠܐ ܐܘܟܝܢ ܛܟܐ ܟܦܝܢ
ܟܫܝܢ ܒܟܠܝܢ ܘܟܢܫܘܬܐ ܓܘܝܫܐ ܕܟܝܢ
ܗܐ ܠܐܟܪܒܟܘܢ ܓܐܪ̈ܝ ܡܘܢܐ ܗܟܠܢ ܗܒܝܢ

ܠܘܡܟܠܐ ܗܠܡ ܦܬܚܘ ܟܢܝܟܘܢ ܘܗܘܘ ܐܘܝܢ
ܘܠܟܠ ܐܡܝܢ ܟܠܐ ܣܢܝܟܘܢ ܗܘܪܘ ܟܕ ܟܝܢ
ܘܗܘ ܚܕ ܟܠܗܝܐ ܘܡܢ ܐܠܗܐ ܟܪܘ ܐܟܕܝܢ
ܕܡܟܢ ܗܘ ܓܙ ܕܝܠܗ ܟܪܟܗ ܗܘܐ ܡܣܒܪܝܢ

ܡܫܝܚ ܡܟܢܝ ܐܘ ܕܡܘܠܟܢܘܗܝ ܛܟ ܚܪܝܢ
ܗܐ ܛܟܝܢ ܗܫܡ ܡܘܐܐ ܡܟܠܝܢ ܕܛܟ ܡܪܝܢ
ܟܕ ܠܐ ܡܒܟܘ ܟܡܫܟܐ ܕܙܘܗܟܐ ܒܓܡܫܝܢ ܐܟܝܢ
ܘܐܡܗ ܘܟܟܐ ܟܛܘܪܐ ܘܕܟܪܐ ܕܝܠܗ ܢܠܝܢ

ܚܘܪ ܟܡܛܝܠܐ ܕܗܘܡܝܢܘܗܝ ܟܟܠܐ ܕܘܡ ܟܪܝܢ
ܐܝܟ ܕܦܫܝܢ ܘܐܝܟ ܕܡܫܛܝܢ ܘܐܝܟ ܕܡܫܝܢ
ܐܝܟ ܕܡܪܡܝܢ ܘܐܝܟ ܕܣܪܚܘܗܝ ܟܫܝܠܐ ܕܡܝܢ
ܘܐܝܟ ܕܟܡܟܝܢ ܟܟܦܠܗ ܐܟܠܐ ܣܢܠ ܛܡܝܢ

[illegible]

[illegible]

[illegible]

1933

هذه القصيدة العصماء المرثاة التي تذيب الجماد، نظمها **ملفونو عبد المسيح نعمان قره باشي**، على أثر المجازر التي حلّت بالشعب الآشوري في العراق بواسطة الملك غازي، الذي بإشارة من الحكومة البريطانية أباد المسيحيين في شمال العراق، وفي مقدمتهم الشعب الآشوري الذي كانت كارثته الكبرى في مدينة (سيميلا) بتاريخ ٧ آب ١٩٣٣ ويسمّيها المؤرخون الخيانة البريطانية للآشوريين. تأمل أيها القارىء ما علاقة هؤلاء البريطانيين بالمسيح والمسيحية.

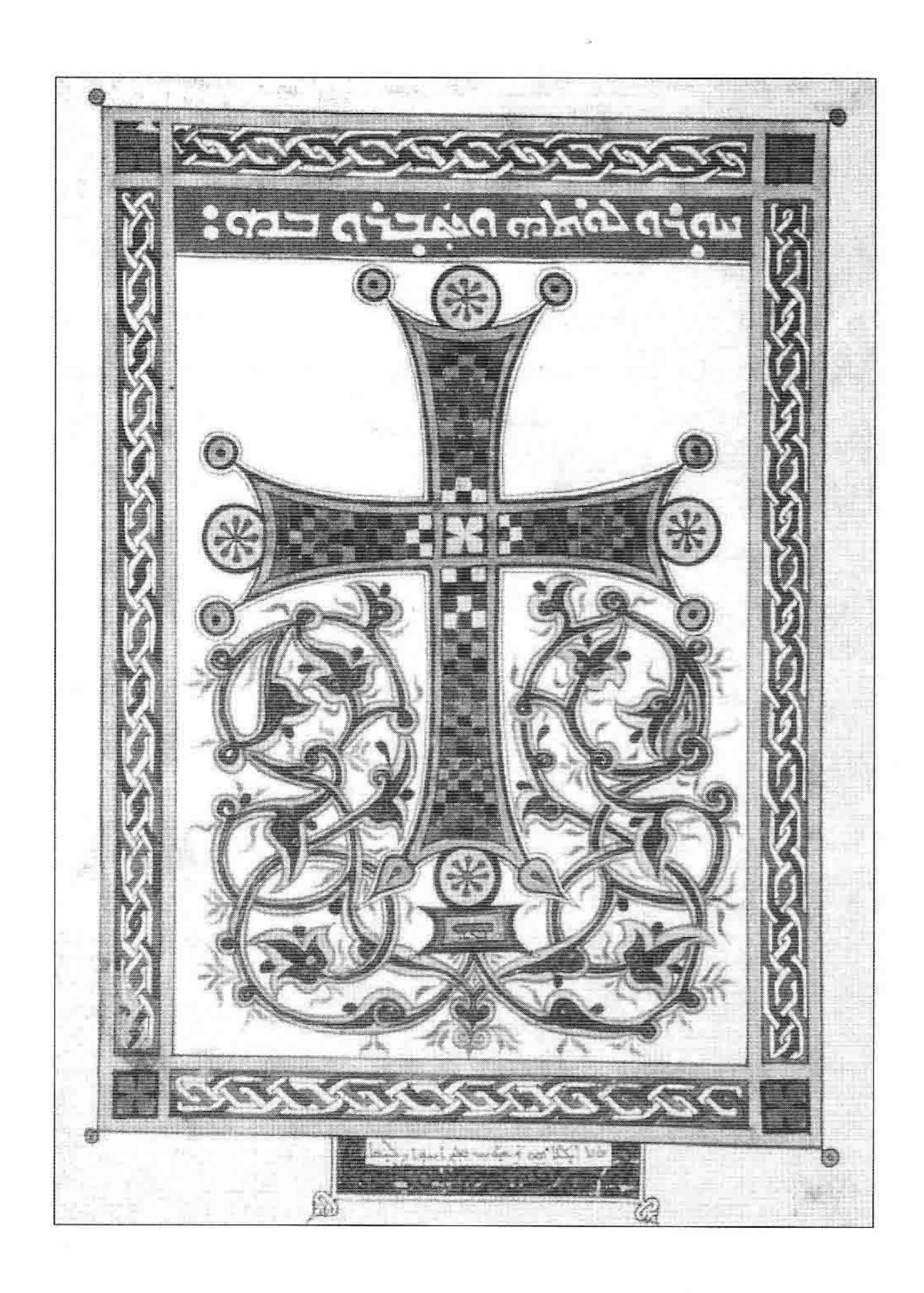
وفي البداية والنهاية، السياسة لا ذمة لها وقد قال وينستون تشرشل الزعيم البريطاني : في السياسة لا توجد صداقات دائمة ولا عداوات دائمة، بل مصالح دائمة. وما أشبه هذه الحوادث بما تقرأ في هذا الكتاب.

وقد ضمنّاها هذا الكتاب لموضوعها الهام والمناسب للأحداث الواردة فيه وفي الوقت عينه للغتها الرائعة وشاعرية المؤلف الفريدة والنادرة. وبالإجمال فإن **ملفونو قره باشي أديبٌ سريانيٌّ ملهمٌ وشاعرٌ مطبوعٌ**، ونتمنى أن يكون للسريان أمثاله، فالدهر بأمثاله، لضنين. (المترجم).

ܘܠܐܠܗܐ ܫܘܒܚܐ

ܘܥܠܝܢ ܪ̈ܚܡܘܗܝ ܠܥܠܡܝܢ

ولله الحمد وعلينا مراحمه إلى الأبد



The Shed Blood

The book depicts calamitous events and polestars of human massacres to wich Christians in general and Syrians in particular have been exposed in Mesopotamia.

It is written by the notable professor malfono **Abdel Masih Karabachi,** the known Syrian erudite and poet, who lived the episodes and witnessed much of them; as a student at Zaafaran monastery near Mardin, Turkey, then the citadel of the Patriarchate of Antioch and all the east for the Orthodox Syrians, during the first world war 1914-1918, continuing thereafter to be eye witness of such calamities.

These massacres form the gloomy and black pages of history of the world, when, as a result of struggle among nations over greedy aims, speaking of Germans, British, French and the Ottoman Sultanate, hundreds of thousands of innocent Christians were sacrified as rams of the holocaust and wood to kindle the fire of their grudges and greed, both religious and political.

The Great People lost hundreds of thousands of martyrs, with their property, belongings, monasteries, churches and the most precious land of grandfathers and ancestors, second in sanctity after the Holy God.

The minority or rater the little group escaping from swords of tyrants had to roam over the Earth and today, we find under every star an immigrant, a refugee called once Syrian, who has lost his people and the most sacred land to live in compulsory estrangement, with no identity, creed or heritage. The remaining little group is on the way to perish, unless the All Merciful and Benevolent GOD should bestow his grace and preserve them.

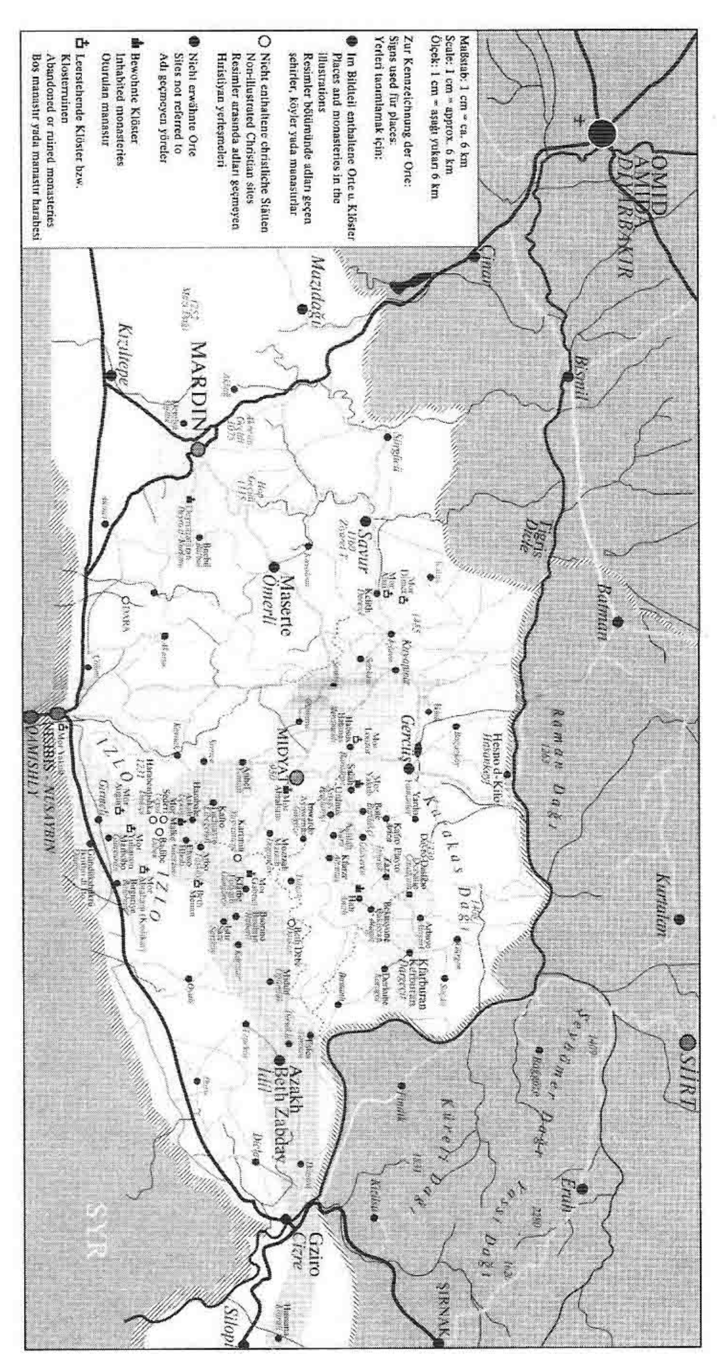
We do hope that the reader should find in this book the true story of the persecuted people in the lair of their fathers, grandfathers, on the land of their heritage, civilization and days of glory, for all to be admonished and learn that tyranny is abhorred and rejected by God and the people, for rulers and decision makers to revert to conscience, for the world to be reformaed and peace, justice and conciliation to prevail all over and all are assured that God's punishment is coming no way.

We are wondering if we were to ask GOD for vengeance or for pardon as taught by our Holy Gospel.

We leave it to the ruling of Heaven and GOD is able to transform the severity of the crisis into the glorious salvation.

Mount Lebanon
May 1, 2005

Archbishop
Theophilus G. Saliba
Translater



خريطة طورعبدين – ܛܘܪ ܥܒܕܝܢ – جنوب شرقي تركي

الفهرس



ܡܛܒܥܬܐ ܬܐܘܡܐ

أنجزت مطبعة توما طبع كتاب الدم المسفوك

بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١٥

سد البوشرية – جبل لبنان

تلفاكس : ٨٨٠٧١٠ – ٠١

للمراجعة : مطرانية جبل لبنان للسريان الأرثوذكس

شارع الفردوس / البوشرية

هاتف : ٦٩٠٣١٢ / ٠١ – ٦٩٠٣١٣ / ٠١

فاكس : ٦٩٠٣١٤ / ٠١

الدم المسفوك

The Shed Blood ܕܡܐ ܐܫܝܕܐ

هذا كتابٌ يصوّر وقائع ومحطّات مأساويّة من مجازر الإبادة التي تعرّض لها المسيحيّون عامةً والسريان خاصةً في بلاد ما بين النهرين. كتبه ملفونو **عبد المسيح نعمان قره‌باشي** الأديب الكبير والشاعر السرياني الشهير، كشاهد عيان رافق الأحداث وعاصرها وعاين كثيراً منها، حيث كان تلميذاً في دير الزعفران بقرب ماردين – تركيّا، وكان يومها مقرّ بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس، وذلك خلال الحرب العالميّة الأولى ١٩١٤ – ١٩١٨ وما بعدها.

هذه المجازر هي صفحة حزينة من تاريخ العالم، راح ضحيّة هذه المذابح هؤلاء الأبرياء من المسيحيين نتيجة صراعات ومصالح للأمم الطامعة والمتصارعة: **الألمان والإنكليز والفرنسيين وسلطنة بني عثمان.**

أجمع الكلّ أن يكون المسيحيّون الوقود للنار وأكباش محرقة لأحقاد وأطماع دينيّة وسياسيّة. وفقد هذا الشعب العظيم مئات الألوف من الشهداء بالإضافة إلى الأملاك والمقتنيات والأديرة والكنائس والأرض التي لها القداسة والكرامة بعد الله. وأُجبرت البقيّة الباقية الناجية من سيوف الظالمين أن يهيموا في الأرض، **حيث ترى اليوم تحت كلّ كوكبٍ سريانيّاً مهاجراً لاجئاً فقد أهله وأقدس مقدّساته ليعيش في غربةٍ قسريّة فاقداً الهويّة والعقيدة والتراث، اللهمّ في بقيّة ضئيلة هي في طريقها إلى نفس المصير ما لم يرفق الرب ويحافظ عليها.**

فعسى أن ينال القارئ في مطالعته معرفةً صحيحة عمّا أصاب هذه الفئة المضطهَدة في عرين آبائها وأجدادها وتربة تراثها وحضارتها ومجدها، ويتّخذ الكلّ عبرةً، إنّ الظلم مرفوض من الله والناس، فيعود الحكّام وأصحاب القرار إلى ضمائرهم، فتصطلح الدنيا وترفرف أعلام السلام والعدالة والمصالحة في كلّ الأرجاء، ويتأكد الكلّ إنّ الله يمهل ولا يهمل.

تُرى هل نسأل الله لينتقم من هؤلاء المجرمين، أم نطلب لهم الغفران ونسامحهم كما يعلّمنا إنجيلنا المقدّس؟

نترك ذلك، لقرار السماء، والله قادرٌ أن يوجِد من المحنة خلاصاً.

المترجم